

جامعة وهران

كلية العلوم الاجتماعية

قسم علم الاجتماع

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع السياسي .

الموسومة بـ :

التحول الديني المسيحي الإنجيلي في الجزائر .

دراسة سوسيو سياسية لحالة المتحول الديني ذو الأصول القبائلية بمدينتي وهران و تيزي وزو .

إعداد:
مداني فواتيح صافية

إشراف :
أ. د.مولاي الحاج مراد

2014/03/06

أعضاء لجنة المناقشة :

د.نجاح مبارك	أستاذ محاضر	جامعة وهران	رئيسا
أ.مولاي الحاج مراد	أستاذ التعليم العالي	جامعة وهران	مقررا
د.الزاوي مصطفى	أستاذ محاضر	جامعة وهران	مناقشا
د.بوزيدي الهوا ري	أستاذ محاضر	جامعة وهران	مناقشا

السنة الجامعية : 2014/2013

«...إن الاعتقاد الراسخ، بأن على كل أعضاء المجتمع كافة أن يتقاسموا علانية منظومة المعتقدات نفسها ، هو اعتقاد عبثي ، و لا يمكن أن يفضي إلا إلى قهر مستدام . »

(أوليفيه روا ، 2012.)

كلمة شكر

إلى الأستاذ مولاي الحاج مراد من أسعدني بقبوله الإشراف على مذكرتي وبتوجيهاته ، إلى الأستاذ الزاوي مصطفى رئيس مشروع الماجستير من قدم لي النصائح السديدة ، لكما والى كل أساتذتي على مدى سنوات التكوين أبهى عبارات الشكر والامتنان.

إلى والدي من ساندني و شجعني ، إلى أخي عبد الرحمان

إلى كل أعضاء فرقة البحث التابعة لمركز البحوث في الأنتروبولوجية الاجتماعية والثقافية الخاصة بمشروع بحث الانجيلية في الجزائر

إلى كل أعضاء عائلتي المهنية C.D.E.S كل باسمه ....

إلى كل من أخلصوا في مساعدتي ...

أقول شكرا من أعماق قلبي

الإهداء

إلى كل أعضاء الأسرة الجامعية

إلى أساتذتي و إلى كل طالب علم

إلى كل أفراد عائلتي ، إلى والدي من ساندني و شجعني ، إلى أخي إلى جدتي العزيزة بدعواتها ، إلى الوافدين الجدد في عائلتي

إلى أعز ناس على قلبي إلى إخوتي نوشة ،زينب ، فضيلة ،حفيظة .

إلى من قبلوا كشف هويتهم والحديث عن تجربته

في التحول الديني رغم خصوصية التجربة

أهدي ثمرة بحثي .

الملخص :

- **الملخص** : حاولنا من خلال هذه الدراسة الاستكشافية تسليط الضوء على ظاهرة التحولات الدينية التي تخترق المجتمع الجزائري ، و التي يشكل التحول الديني الانجيلي جانبا منها . فالحقل الديني في الجزائر في السنوات القليلة الماضية أصبح مفتوح على معطيات جديدة بفعل ظاهرة العولمة التي تنشط انتشار حركات دينية جديدة كالحركة الانجيلية العالمية .

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة على اشكال متعلق بتحديد عوامل التحول الديني عند مجتمع بحث محدد وهو : المتحولون الانجيليون من الأصول القبائلية، ومحاولة من جانبنا إلى تقديم تحليل سوسيو سياسي للظاهرة في السياق الجزائري (الثقافي،السياسي،الاجتماعي ،الديني ...الخ) .

أسفرت هذه الدراسة على العديد من النتائج ، أهمها : التحول إلى المسيحية بالانضمام إلى الكنيسة البروتستنتينية الانجيلية يمثل فضاء بديل لإنتاج و إعادة تنظيم العلاقة مع المجتمع فيما يخص النماذج الأسرية ، الاجتماعية و السياسية . الحضور المتضمن (الكامن) للبعد السياسي في تفسير عوامل التحول الديني الخاصة بحالة المتحول الديني ذو الأصول القبائلية . يشكل التحول الديني شكل من أشكال التعبير على النقد الموجه للمجتمع ...

-المفاهيم المفتاحية : الإسلام ، المسيحية ، التحول الديني ، المتحول ، الحركة الانجيلية ، شهادات التحول، العولمة ، الهوية الدينية ، الهوية الثقافية ، الهوية الاثنية .

- Résumé : On a tenté à partir de cette étude exploratoire de mettre en exergue le phénomène des conversions religieuses qui pénètre la société algérienne, dont la conversion évangélique fait partie .Le champ religieux en Algérie devint de plus en plus ouvert à des nouvelles perspectives notamment avec l'expansion de la mondialisation qui a permis aux nouveaux mouvements religieux comme le mouvement évangélique de prendre l'ampleur .

Cette étude vise à rependre à la problématique suivante : comment déterminer les facteurs moteurs de la conversion religieuse, auprès d'une population de recherche bien définie : les convertis évangéliques d'origine kabyle ? À partir d'une analyse sociopolitique dans le contexte algérien (culturel, social, politique, religieux …ex) .

Cette étude a révélé plusieurs résultats : la conversion au christianisme par affiliation à des églises protestantes évangélique représente un espace alternative pour la production et la réorganisation des rapports avec la société, concernant les modèles familiaux, sociaux, politiques. La présence implicite du d'émotion politique comme un facteur moteur de la conversion religieuse relative au cas des convertis d'origine kabyle. La conversion religieuse représente une forme de critique envers la société …

-Les notions clefs : islam, christianisme, la conversion religieuse, le converti, mouvement évangélique, témoignage de conversion, la mondialisation, identité religieuse, identité culturelle , identité ethnique .

خطة الدراسة

مقدمة عامة

المقاربة المنهجية للدراسة :

- إشكالية الدراسة
- فرضيات الدراسة
- محفزات الدراسة
- أهداف الدراسة
- تحديد المفاهيم
- اختيار المقاربة الميدانية
- تحديد الإطار الزماني والمكاني للدراسة
- اختيار المنهج
- اختيار حالات الدراسة
- الصعوبات الميدانية
- عرض فصول الدراسة

- الفصل الأول : " سوسيولوجية التحولات الدينية "
- مقدمة
- ظاهرة التحول الديني من المجال الديني إلى ميدان علم الاجتماع
- فاعلون اجتماعيون جدد وعولمة الظاهرة الدينية .
- خلاصة

مقدمة عامة

مقدمة عامة :

« ثمة ظاهرتان تلعبان دورا رئيسيا في طفرة الديني اليوم ،هما زوال الصفة الإقليمية وفقدان الهوية الثقافية ، ولا يرتبط زوال الصفة الإقليمية بانتقال الأشخاص فحسب - الذي لا يعني سوى نسبة ضئيلة بالنسبة لسكان العالم ، بقدر ما يرتبط بانتقال الأفكار والمواد الثقافية والإعلام وأنماط الاستهلاك بعامة في الفضاء غير الإقليمي ... » [1]. إن انفصال الظاهرة الدينية عن إطارها الثقافي يحدث في سياق شامل وهو "العولمة الدينية" ، فلم تعد المسيحية غربية ولم يعد الإسلام عربي بالضرورة . فيمكن للمسيحية إذن أن تجد لها أتباع خارج إطارها الثقافي التقليدي عن طريق التحول الديني الذي أصبح اليوم مرتبط بخيارات فردية تحت قاعدة العرض والطلب، فالعالم اليوم يشهد تصاعد ظاهرة التحول الديني المسيحي conversion Christianisme بقيادة الكنائس الانجيلية التي تمثل أسرع التيارات الدينية المتعصبة انتشارا و أقواها مند الحرب العالمية الثانية . فمن مجرد أربعة ملايين نسمة من أصل 560 مليون نسمة في الأربعينات من القرن العشرين إلى 500 مليون نسمة من قرابة ملياري مسيحي ، أي أنهم يمثلون ربع المسيحيين في العالم .[2] يتوقع (هارفي كوكس) أنه بحلول منتصف هذا القرن سوف يصل عدد الانجيليون إلى نصف مسيحي العالم، فهؤلاء المولودون ثانية كما يقولون عن أنفسهم يؤمنون باتصالهم المباشر بيسوع كاتصال رجل مع رجل أو رجل مع الله . إن الانتشار العالمي للحركة الانجيلية يتوقف على طبيعة الأيمان الإنجيلي الذي يرتكز على مجموعة آيات من الإنجيل تجعل إيمان كل مسيحيي مرتبط بنشاط تبشيري أو بتبليغ ما يسمى "بالوصية العظمة "[3].

---

[1] أوليفيه روا ، الجهل المقدس (زمن دين بلا ثقافة) ترجمة : صلاح لأشمر ، دار الساقي ، 2012 ، ص20 .

[2] زينب عبد العزيز، تنصير العالم، دار الكتاب العربي، دمشق، الطبعة الأولى، 2004، ص 9.

[3] **تنص الوصية العظمة على :**

« Allez, faites de toutes les nations des disciples, les baptisant au nom du Père, du Fils et du Saint Esprit - et enseignez leur a observer tout ce que je vous ai prescrit » Matthieu 28 :19-20

لكن أهم سؤال يطرح في هذا الصدد : من يحمل على عاتقه هذه الوصية عندما يتعلق الأمر بتصدير العقيدة الإنجيلية خارج بيئتها الثقافية ؟ من المنطقي أن من يتحمل مسؤولية التبشير يكون مؤمن بهذه العقيدة ، ويعمل ضمن مبادئها ووصاياها ، ومن أجدر من ذلك غير الولايات المتحدة الأمريكية ، أول بلد انجيلي من حيث عدد متبعين هذه العقيدة التي انتقلت من مجالها الديني إلى الحقل السياسي الداخلي ، ومن ثم العالمي تحت شعار الدفاع عن السلم العالمي ، أوضح path Robertson في مؤلفه "البيان العالمي" الدور التبشيري لأمريكا قائلا « لن يكون هناك أي سلام عالمي قبل أن يتولى بيت الله وشعب الله دورهم القيادي في زعامة العالم...»[1] و يضيف الراعي" فنسن سينان" قائلا «... في الوقت الذي قرر فيه الانجيليون أن يستثمروا الساحة السياسية، فان الجامعة كانت كل مهامها هي تكوين قادة وتعليمهم كيفية الاندماج في المجتمعات الإسلامية للقيام بمهامهم ».[2]

إن التركيز على العالم الإسلامي في تاريخ الحركة التبشيرية يرجع على الأقل في الواجهة إذا ما حاولنا الإجابة بصفة ارتجالية :

- إن نسبة المسلمين في العالم أكثر من نسبة اليهود وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى.

- اعتقاد المبشرين أن بين المسلمين والمسيحيين أرضيات مشتركة يمكن البناء عليها مثل قصص التوراة والقرآن وقبولهم للمسيح و العذراء مريم على عكس الديانات الآسيوية التي يصعب فيها إيجاد مثل هذه الأرضيات .

ان الحقل الديني في الجزائر يشهد مند سنوات قليلة دخول مجموعات مسيحية جديدة ، مقابل الكنائس التقليدية الكاثوليكية المسماة تاريخية التي ارتبطت بالحضور الاستعماري في منطقة المغرب العربي إجمالا، وأصبحت مع الاستقلال في الجزائر مؤسسة دينية وطنية_تحض باعتراف وإحصاء

[1] زينب عبد العزيز، المرجع السابق ، ص 9.

[2] نفس المرجع ، ص 10 .

إداري لأماكن العبادة والجمعيات والمقابر الكاثوليكية ، ومعترف بها سياسيا وداريا من خلال القرارات التي تتخذ من قبل وزارة الداخلية فيما يخص أيام العطل بالنسبة للمسيحيين الجزائريين والأجانب... . تندرج هذه المجموعات الجديدة ضمن تيار الطائفة الانجيلية التي تمارس نشاط تبشيريا ينتهي بتسجيل منخرطين جدد"المتحولون الجدد" الذين لم يسجل إلى حد الآن عددهم ويكتفي الاتحاد الكنائس البروتستنتينية E.P.E بإعطاء عدد أماكن العبادة التي تقدر ب32 مكان . إن هذا الرقم الذي يعطيه مجمع الكنائس البروتستنتانية غير مضبوط لسبب واحد على الأقل لأن الانجيليون لا يعترفون بقداسة الفضاءات بمعنى لا تشترط وجود كنيسة حتى تتم العبادة ، فقد تكون البيوت العادية أماكن للعبادة وهذا ما يقف أما مصداقية العدد الذي صرحت به الجهات المسيحية. حسب التقديرات الإحصائية غير الرسمية التي قدمها تقرير الحريات الدينية في الجزائر لسنة 2012 الذي صدر عن الخارجية الأمريكية فان عدد المسيحيين في الجزائر يقدر بين 30.000 و70.000 مسيحي مقارنة بالتقرير الصادر في 2009 الذي يقدر عدد مسيحي بين 15000 و50000 ويشكل الانجيليون أكبر طائفة مسيحية حسب التقدير الأمريكي.[1] أما الجهات الرسمية تقف عاجزة أمام إحصاء عدد المسيحيين الجزائريين "المتحولون" و تكتفي بتقديرات متباينة و تعزوا هذا العجز في حصولها على الإحصائيات المدققة كون أن الظاهرة تدور في الخفاء وأن المتحولون الجدد لا يسعون إلى تسجيل أنفسهم ويرفضون إظهار هويتهم الدينية الجديدة .[2]

بدأت تسجل حالات التحول الديني في الجزائر مع أوائل سنوات 1990، لكنها لم تطرح على النقاش العام إلا في سنة 2004 ، بعد نشر مقال صحفي بتاريخ 24 جويلية 2004 في صحيفة الوطن الناطقة باللغة بالفرنسية ، يقدم هذا المقال معطيات أثارت جدل في الوسط الإعلامي والرسمي بحيث دفعت القائمين على الحكومة في إصدار قانون تنظيم الشعائر 2006 لغير

---

[1] **أدرجت هذه الإحصائيات في جريدة الخبر ، تحت عنوان «تقرير أمريكي ناعم عن الحريات الدينية في الجزائر » ، للمزيد من المعلومات حول المقال طالع العدد التالي من الصحيفة : الخبر 22 ماي 2013 .**

[2] **هذا التصريح حصلنا عيه من المقابلة التي أجريناها مع مدير الشؤون الدينة السيد "حسين بلقوت" بتاريخ 2013/02/26 بمقر مديرية الشؤون الدينية بوهران .**

المسلمين . قدمت الجريدة تقرير عن أعمال ملتقى أجري بجامعة العلوم الإسلامية "الأمير عبد القادر" بقسنطينة طرح هذا المقال إحصائيات لم يعلم مصدرها والتي تم تقديمها من طرف باحث جامعي، بحيث قدر عدد الكنائس بمدينة "تيزي وزو" حوالي 15 كنيسة و31 % من سكان الولاية يترددون على هذه الكنائس و أضاف أن 74 % منهم حصلوا على مساعدات مالية .[1] أظهر هذا المقال حجم الظاهرة و فعالية التبشير البروتستانتي خاصة في منطقة القبائل – المنطقة التي سبق وأن شهدت في أواخر القرن 19سياسة تبشيرية كاثوليكية ، أثناء التواجد الاستعماري بقيادة الكاردينال لافيجري والآباء البيض– .

إن الإسهامات السوسيولوجية في علاج ظاهرة التحول المسيحي في الجزائر تبقى إلى حد اللحظة جد محدودة سواء ما تعلق بالجانب التاريخي للظاهرة ، أو ما يرتبط بالتحليل الراهن لها (على محدودية الظاهرة قديما وحديثا) ، هذا إذا ما استثنينا بعض الجهود الفردية ، في مقدمتها أعمال الباحثة الجزائرية كريمة ديراش سليماني ، التي لم نتمكن من الحصول عليها في رفوف المكتبات ، إلا ما استطعنا جمعه من مقالات و تعليقات المنجزة المنشورة في المواقع الالكترونية المتخصصة . قدمت الباحثة قراءة تاريخية اجتماعية لظاهرة التحول الديني في إطار تفسير وتحديد أسباب تكون جماعة من المسيحيين ذو الأصول القبائلية باستناد على الأرشيف الخاص بالمشيرين بروما و الوثائق الموجودة على مستوى الكنيسة الكاثوليكية بالعاصمة، جمعت الباحثة معطيات خصبة فيما يخص سجلات التعميد والحالة العائلية والاجتماعية الخاصة بالمتحولين في تلك المرحلة ، والمعلومات المتعلقة بالحالة الصحية والطبية ، والمحيط الخاص بالأفراد والعائلات المتحولة . و استعمال تقنية المقابلة التي أجريت مع شهود عيان والمنحدرين من عائلات مسيحية و الذين وضعوا بين أيديها الوثائق الخاصة بهم من كتابات وصور فوتوغرافية.[2] إضافة إلى دراسة

---

[1] Karima, DIRECHE,« **La mondialisation des espaces néo-évangéliques au Maghreb** » ,Revue Méditerranée , Numéro116-2011,P62.[revue en ligne] : http://www.cairn.info/revue-annales.

[2] BOUAYED ,Anissa , **compte-rendu de l'ouvrage de Karima Direche –slimani : chrétiens de Kabylie 1873-1954 : (une action Missionnaire dans l'Algérie coloniale , Paris , Edition Bouchene 2004 -153 pages , Bibliographie , annexes (textes et iconographie)** , Revue Insaniyat, n°25-26 Juillet- décembre, 2004 p 314-317 .

تعتبر الأحدث محليا في علاج ظاهرة التحول الديني الانجيلي ، حصلنا عليها في شكل مقال علمي يلخص الجهود الميدانية للأكاديمية كريمة ديرش سليماني في الفترة الممتدة من 2004 إلى 2008 في ثلاثة مناطق في الجزائر : العاصمة ، الغرب الجزائري ومنطقة القبائل بالاعتماد على مقاربة سوسيو سياسية ، وظفت من خلالها الباحثة الرصيد التاريخي و السياسي لمنطقة القبائل كفضاء جغرافي يحمل خصوصية ثقافية و هوياتية جعلت منه تاريخيا فضاء مقاوم للسلطة المركزية سواء ما تعلق بالوجود العثماني في المنطقة أو الاستعمار الفرنسي، ثم مرحلة الدولة الوطنية . أين شهدت المنطقة حركة احتجاجية مع مطلع سنوات الثمانينات ، و التي اعتمدت عليها الباحثة في تقديم تحليلها لظاهرة التحول الديني الخاصة بحالات التحول ذات الأصول القبائلية بالاعتماد تقنية المقابلة ، باستجواب 62 شخص متحول ما بين 20 و 70 سنة الذين تحولوا منذ 1962 . استندت الباحثة في تحقيقها على ما يعرف بالوسيط الذي هيئي لها الاحتكاك و التواصل المباشر بمجتمع البحث (امرأة من أصول قبائلية تحولت إلى المسيحية الانجيلية في سن 20) . [1]

خلصت هذه الدراسة إلى نتيجة أساسية : إن ظاهرة التحول الديني المسيحي التي تتم لصالح الكنيسة الانجيلية ، تعكس أحد مظاهر الاختلال بين المطالب الاجتماعية المتزايدة وبين سياسات سلطة الدولة الغارقة في شموليتها و تمثلاتها التاريخية الجامدة .

«… en ce sens, le phénomène de conversion aux Eglises néo-évangéliques apparait comme un des révélateurs du décalage croissant entre des demandes sociales de plus en plus exacerbées et des politiques du pouvoir d'Etat fossilisées dans leur autoritarisme et dans des représentations historiques figées.»[2]

[1] Karima, Dirèche, « **Dolorisme religieux et reconstructions identitaires** » **Les conversions néo-évangéliques dans L'Algérie contemporaine,** [Revue en ligne]**:** http://www.cairn.info/revue-annales-2009-P1141.

[2] Ibid. P 1162.

إن ما حصلنا عليه من دراسات خاصة بظاهرة التحول الديني المسيحي في الجزائر إلى حد الآن وحسب إطلاعنا ، لا تكتفي لتشكيل رؤية واضحة متكاملة حول الظاهرة . خاصة وأن هذه الدراسات تصنف ضمن المحاولات الاستكشافية التي تسعى إلى وضع ملامح و عناصر تحليل لا زال ينقصها المزيد من الإسهامات ، في سبيل إزالة الستار عن ظاهرة تخترق المجتمع الجزائري كغيره من دول الجوار في سياقات متنوعة . على هذا الأساس يسعى عملنا هذا إلى الإجابة بصفة جدية على الآليات التي تسير الظاهرة في السياق الجزائري، من خلال استغلال المفاتيح التاريخية والسياسية التي تساعدنا على التحليل والفهم.

__المقاربة المنهجية للدراسة __

إشكالية الدراسة :

التركيز على البعد القبائلي في علاج ظاهرة التحولات الدينية التي تتم اليوم على **مستوى الأفراد** يرجع لاعتبار أساسي : وهو طبيعة مجتمع البحث كجزء من جماعة (القبائل الأمازيغ) تميز بانخراطها الواسع في العمل السياسي ، من خلال الأحزاب ذات الطابع الثقافي الهوياتي المحسوبة على التيار الائكي (RCD/FFS) كأهم سند في نقل المطالب اللغوية والثقافية ، هذه الأخيرة التي شكلت منذ الاستقلال مصدرا للاحتجاجات المطلبية التي شهدتها منطقة القبائل و التي أدخلت هذه الجماعة في مواجهة مع السلطة منذ سنوات الثمانينات وصلت إلى حد العنف الدموي (أحداث 2001) :

طرحت مسألة الهوية في الجزائر مع سنوات 1949 عندما انفجرت الأزمة المسماة بربرية داخل حزب الشعب الجزائري PPA ، ظهرت هذه الأزمة نتيجة الصراع الإيديولوجي بين عناصر الحركة الوطنية الذين نادوا بشعار " الجزائر عربية إسلامية " و بين من نادوا بشعار " الجزائر جزائرية " وهم القيادات التي أطرت الحركة البربرية في سنوات الأربعينات . إن اختزال معادلة الهوية الجزائرية في تعبير " العربية الإسلامية " ظهر في العهد الاستعماري نتيجة الحاجة في تأكيد الأنا الجماعي مقابل الآخر المستعمر هذا الأخير الذي كان ينظر إليه على أنه فرنسي مسيحي ، فلا ينقص إذن إلا أن يتم تفعيل عناصر المعارضة معه ، والتي تتلخص بالنسبة للجزائري في اللغة العربية و الإسلام و بالتالي تكتسب الثورة شرعيتها [1]

مع الاستقلال و بعد انتهاء الحرب التي عبئت كل الجزائريين ضد عدو مشترك ، سوف ينبعث على الساحة الوطنية صراع داخلي تشكلت معالمه بصفة واضحة مع سنوات الثمانينات ، سجلت هذه المرحلة ديناميكية حقيقية على المستوى السياسي و الديني واللغوي في الجزائر عامة و منطقة القبائل على وجه الخصوص ، بتصاعد ظاهرتين هما التعريب ، الذي أخد بعدا قانونيا و مؤسساتيا تعود جذوره إلى عام 1966 و الذي أخد مسار أكثر شمولية مع دستور 1989 الذي صدر بموجبه

[1] Abderrezak , DOURAIRI ,**Les malaises de la société Algérienne d'aujourd'hui : Crise de la langes et crise d'identité** ,Ed CASBAH , ALGER , P 133.

قانون تعميم استعمال اللغة العربية في 1991/1/16 [1] ، ومن جهة أخرى تصاعد المطالب الاحتجاجية المرتبطة باللغة و الثقافة الأمازيغية التي أصطلح عليها فيما بعد بأحداث الربيع الأمازيغي و التي كانت الجامعة منطلقا لها ، وهي أول مظاهرة تخرج عن الإطار الشرعي للتنظيمات التابعة لجبهة التحرير الوطني[2]، و أول حركة في تاريخ الحركات الاحتجاجية و السياسية في الجزائر لا تستند إلى النصوص و الشخصيات الدينية ، فلقد حملت الحركة الطابع اللائكي منذ بدايتها. [3]

شهدت الحقل البربري الأمازيغي واقع وقفزة نوعية بعد أحداث أكتوبر 1988 ، التي ترتب عنها فتح المجال أمام التعددية الحزبية : تأسيس حزب سياسي– التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية "RCD "، إضافة الى الجمعيات الثقافية البربرية في منطقة القبائل وفي المناطق الناطقة باللغة القبائلية كالحركة الثقافية البربرية "MCB" ، الفيدرالية الوطنية للجمعيات الثقافية الامازيغية FNACA... كل هذا العمل التنظيمي يضاف إلى حزب عتيد هو جبهة القوى الاشتراكية FFS لحسين ايت أحمد الذي اهتم أساسا بالمسألة الثقافية واللغوية البربرية في برنامجه السياسي منذ 1979 .

[1] للإطلاع على القوانين الخاصة بالتعريب تصفح المرجع التالي : عز الدين مناصرة ،المسألة الامازيغية في الجزائر و المغرب ،دار المشرق للنشر والتوزيع ،عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ، **1999** ، **ص ص 25-29 .**

[2] بعد منع محاضرة للكاتب مولود معمري حول الشعر القبائلي القديم المقرر إجراءها في جامعة تيزي وزو في **10** مارس **1980** ، انطلقت حركة احتجاجات من الجامعة و انتشرت في كل منطقة القبائل . هذا المنع الرمزي الصادر من والي ولاية تزي وزو ، سوف يؤدي إلى ظهور حركة احتجاجات واسعة . نظم الطلبة في اليوم الموالي اجتماع عام قرروا فيه إجراء مسيرة سلمية في شوارع الولاية والذين قرروا بعد ذلك توقيف الدراسة في **13** مارس **1980** . في غضون ستة وعشرون يوما **7** أبريل كانت الجزائر العاصمة مسرح هذه الاحتجاجات . في **16** ابريل **1980** إضراب عام شل منطقة القبائل ، استجابة لدعوة من كاتب يسين و المغني فرحات مهني إضافة إلى **115** آخرون. أمام هذه الحركة المطلبية أعلن الرئيس الشاذلي بن جديد في **17** أبريل " أن الجزائر بلد عربي مسلم جزائري " ، و أضاف " أن الثقافة الجزائرية تشكل مكسب عشرون مليون جزائري نقول هذا لمن يريدون استغلال هذا الموضوع لأهداف سياسية " .

[3] Kamel , CHACHOUA , « **Le piège : Kabyle de lange , arabe de religion** », Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée (En linge) , 124 / novembre 2008 , mis en ligne le 12 octobre 2011 , consulte le 30 janvier 2013 [Revue en ligne]**:** URL : remmm. Revues. Org /6028.

إن المقاربة الجديدة التي تبنتها الدولة في التعامل مع المجال السياسي منذ 1989 لا تعني تغير موقفها الإيديولوجي في ما يخص اللغة و الثقافة ، ينص الدستور الذي صدر 23 فيفري على التالي : [1]

- المادة 2 الإسلام دين الدولة.

- المادة 3 : العربية كلغة وطنية ورسمية.

شهدت الاحتجاجات القبائلية تراجعا في الحقل السياسي مع العشرية السوداء(1992−2002) بتوقيف المسار الانتخابي في جانفي 1992.[2] بعد عشر سنوات من الجمود في المعارضة السياسية القبائلية سوف تسجل أحداث 2001 .[3] التي لم تحمل حسب المحللين الطابع الهوياتي فقط فالأزمة الاقتصادية (خوصصة المؤسسات الوطنية القديمة ، الاكتفاء بالمحروقات الذي أدى إلى خلل في الاقتصاد وانخفاض ملحوظ في الاستثمارات . نهاية النموذج الاشتراكي أدى إلى فقدان المعالم الاقتصادية الواضحة ، تصاعد نسبة البطالة أزمة صارخة في السكن...) تسببت في إيجاد أرضية خصبة للاحتجاجات في هذه المرحلة ، فلقد وجدت المطالب الاجتماعية الاقتصادية مجالا واسع في احتجاجات 2001 إلى جانب المطالب السياسية و الثقافية ، خاصة وأن منطقة القبائل لا تمتلك الكثير من الثروات هذا ما وضع الكثير من الشباب محل بطالة ، و بالتالي دون مشروع مستقبلي، إن مصطلح "الحقرة " لطالما عبر عنها في أحداث 2001 " لا تستطيعوا قتلنا فنحن أصلا مقتولون ! ".[4]

[1] Chaker, SALEM, **Quelques évidences sur la question berbère,** Revue CONFLUENCES, Méditerranée n° 11 ,1994, P 106.

[2] Nassim, Amrouche, **De la revendication amazighe : d’une contestation locale a une revendication globale,** Revue L’ANNEE DU MAGHREB ,ED CNRS, 2009 P 151.

[3] **إن ردود الأفعال التي تسببت فيها وفاة الشاب"ماسينيسا ڨرماح" الطالب الثانوي بمقر الشرطة في أوج الاحتفال بذكرى الربيع الأمازيغي ، تسبب في أعمال عنف سرعان ما ثم تأطيرها من طرف تنظيم اجتماعي وسياسي لها جذورها في تقاليد المنطقة : العروش هو تنظيم مرتبط بالعرش وهو تجمع واتحاد مختلف القبائل بهدف الدفاع عن فضاء جغرافي مشترك في حالة اعتداء خارجي خطير . فالعروش هو تشكيل له استمرارية تاريخية في الصراع البربري. ظهر هذا الشكل من التنظيم آخر مرة في سنوات 1870 ضد السيطرة العسكرية الفرنسية.**

[4] Nassim, Amrouche**,** Op cit .P 151 .

إن استدعاء هذه الإطلالة التاريخية الموجزة الخاصة بالحركة الاحتجاجية المطلبية التي شهدتها منطقة القبائل ، تشكل لنا مفتاح أو مدخل أساسي في سياق دراسة ظاهرة التحول الديني الانجيلي المرتبطة بحالات التحول من الأصول القبائلية ، و تضعنا أما محاولة للربط بين السياق السياسي الذي شهدته منطقة القبائل كفضاء مبادر بالاحتجاجات السياسية ذات الطابع الهوياتي مند الاستقلال وما أفرزه من ثقافة سياسية نضالية عند القبائلي مقارنة بمناطق أخرى في الجزائر لعوامل سابقة الذكر و اعتبار هذا البعد كمتغير مستقل ، وبين ظاهرة التحول الديني المسيحي الانجيلي كمتغير تابع .

تنطلق الدراسة من الفرضيات التالية :

- إن الأشخاص المتحولون دينيا هم فاعلون اجتماعيون، يحملون منطق لتحولهم و يعبرون عن هذا المنطق من خلال شهادة التحول، التي تتضمن معنى لتجربتهم الدينية.
- يأطر تجربة التحول الديني لدى حالات الدراسة - المتحولون دو الأصول القبائلية - ثقافة سياسية نضالية فيما يخص الدفاع عن المطالب المتعلقة بالهوية والثقافة القبائلية ، وبالتالي فالبعد السياسي يعتبر محرك أساسي في تحديد العوامل المتحكمة في الظاهرة .
- إن الحركة الانجيلية تتيح للمتحول أن يتجاوز الشعور بحالة الإقصاء السياسي و التهميش الاجتماعي و تهيئ له الاندماج في السياق العالمي ضمن هوية دينية معولمة .

إن الحقل الأكاديمي الجزائري فيما يتعلق بالدراسات السوسيولوجية في السنوات القليلة الماضية طرح مواضيع لطالما كانت مهمشة ، أو من قبيل المواضيع المسكوت عنها أو حتى غير المفكر فيها . يتعلق الأمر بالمواضيع الأكثر حساسية على المستوى الاجتماعي و السياسي فالتغيير الذي يشهده المجتمع الجزائري سواء كان هذا التغيير بفعل تأثير عوامل داخلية أو خارجية فتح المجال أمام نقاشات عامة على صفحات الأنترنيت، على القنوات الفضائية خاصة مع فتح المجال السمعي البصري ، بدليل أن ظاهرة التحولات الدينية في الجزائر أول طرح لها كان إعلامي

من خلال الصحافة الوطنية الناطقة بالفرنسية خاصة (تقرير 2004 في جريدة الوطن) ، وهذا ما يشجعنا اليوم على طرح ظاهرة التحول الديني وتجاوز التصنيفات بين ظاهرة قابلة للدراسة وأخرى غير قابلة ، مادامت الظاهرة موجودة باعتراف رسمي من خلال قانون تنظيم الشعائر 2006 لغير المسلمين الذي سعى إلى تأطير سياسي- قانوني لظاهرة يراد مراقبتها أو تنظيمها ، خاصة و أن موضوع التحولات الدينية يتجاوز الفضاء الخاص للمتحول ليطرح إشكالية المواطنة، فماذا بعد التحول الديني ؟

يعد انخراطنا كمحققين ضمن فرقة بحث التابعة لمركز البحوث في الأنتروبولوجية الاجتماعية والثقافية "CRASC " والذي طرح موضوع "الانجيلية في الجزائر" كمشروع بحث دافعا حقيقيا في اختيار الموضوع " التحولات الدينية " عن طريق ربطه بطبيعة تخصصنا في ميدانه علم الاجتماع السياسي ، في محاولة لجعل دراستنا مستقلة من حيث الإشكال المطروح و من خلال التركيز على مجتمع بحث محدد وهو "المتحولون الانجيليون ذو الأصول القبائلية " .

- محفزات الدراسة : لا ندعي في هذه الدراسة أننا سوف نجيب عن الإشكال المطروح بكل أبعاده ، ولكننا نريد أن نضع بعض العلامات على الطريق ، أو بعد المؤشرات من أجل تطوير محور البحث مستقبلا. عموما يمكننا تقديم الأهداف التي تقف وراء اختيارنا لهذا الموضوع ، في نقطتين أساسيتين :

– أولا : مواكبة الانفتاح الفكري الذي تشهده الجامعة الجزائرية في طرح مواضيع لطالما كانت محظورة في السنوات سابقة ، و أصبحت تطرح اليوم بدون حساسية أو بتحفظات أقل .

– ثانيا : إثراء الإسهامات السوسيولوجية حول ظاهرة التحول الديني في الجزائر و تقديم قاعدة معطيات ميدانية قد يستفاد منها في بحوث لاحقة . خاصة وأن الكتابات حول الظاهرة حسب اطلاعنا لا تلبي حاجة الباحث بالنظر إلى ما يعرض في رفوف المكتبات الجامعية .

تحديد المفاهيم :

إن التعريف بالمفاهيم التي تبني الإطار الابستمولوجي والمنهجي لهذه الدراسة، يبدو أمر في غاية الأهمية :

1- التحول الديني :

التحول (la conversion): حسب الدلالة الاشتقاقية للمصطلح، يدل la conversion باللاتينية على كلمة conversion و التي تعني العودة ، تغيير الاتجاه . تدل هذه الكلمة على كل نوع من العودة أو تغيير للوضعية. إن الكلمة اللاتينية conversio لها علاقة بكلمتين باللغة الإغريقية متناقضتين، من جهة كلمة epistrophê والتي يقصد بها التغير في الاتجاه و يدمج فكرة العودة(العودة إلى الأصل، العودة إلى الذات)، ومن جهة أخرى كلمة metanoïa والتي تعنى التغيير في التفكير ، التوبة وتدمج فكرة التحول،الميلاد من جديد la renaissance، يوجد إذن في مفهوم la conversion تعارض داخلي بين فكرة العودة إلى الأصل و فكرة الميلاد الجديد . [1]

التحول الديني : هو الدخول في معتقد جديد سواء تعلق الأمر بالتحول في نفس الدين من الإسلام السني إلى الإسلام الشيعي مثلا ، أو الانتقال إلى دين أخر كالتحول من الإسلام إلى المسيحية.

- التوظيف الإجرائي للمفهوم :

يرتبط مفهوم التحول الديني بالسياق الذي تتم فيه عملية التحول، والمقصود به طبيعة الدين الذي ثم التحول منه واليه و الإطار الجغرافي، التاريخي والاجتماعي ، إن هذه السياقات تجعل من مفهوم التحول الديني مفهوما إجرائيا في الأساس مما يفرض علينا التعامل النسبي مع

[1] ENCYCLOPADIA, UNIVERSALIS, Ed Paris, 1996, p 497.

الظاهرة في حد ذاتها مع الأخذ بعين الاعتبار طبيعة مجتمع البحث . في حالة دراستنا نقصد بالتحول الديني : اعتناق المسيحية بالانضمام إلى الكنيسة البروتستنتينية الانجيلية في الجزائر، يرفق هذا التحول بفعل رمزي و هو التعميد (Baptême) الذي يعبر عن ميلاد جديد بالنسبة للمتحول ، والذي يتم حسب العقيدة الانجيلية بسكب الماء على الرأس أو بالتغطيس ، و يعلن عنه بشهادة التحول أمام الكنيسة .

إن التحول الديني كمفهوم متداول في الدراسات السوسيولوجية الغربية والعربية له ما يقابله في الذاكرة الشعبية الجزائرية والموروث الديني، وهما مفهومين :

-الردة(l'apostasie) : الردة عن الإسلام أي الرجوع عنه، والردة في التشريع الإسلامي تعتبر إثم وكفر لا يغفر لصاحبه ما لم يعد: فكل مسلم راشد يفارق إراديا وبشكل معلن ورسمي دينه يحكم عليه كمرتد[1] . كما جاء في التنزيل الكريم ﴿ **من يرتد منكم عن دينه** ﴾[2]

-مطورني (Mtourni sa veste): هي عبارة دارجة في الثقافة الشعبية ، للدلالة عن المرتد في الجزائر. يرجع أصل هذه العبارة إلى المرحلة الاستعمارية ، فالجزائري الذي كان يعيش وضعية الأهلية بمعنى أنه محروم من حقوقه المدنية والسياسية وحتى يرتقي إلى درجة المواطنة يجب أن يقبل بقانون الأحوال الفرنسي وبالتالي التخلي عن قانون الأحوال الشخصية المبني على الشريعة الإسلامية وكل من يقبل بهذا يعتبر خائنrenégat تبنى هذا الموقف جمعية المسلمين على وجه الخصوص [3].

---

[1] **قبيل وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) - وعند وفاته ارتدت عدة قبائل عربية عن الإسلام.عرف التاريخ الإسلامي عدد من المتنبئين ،من أبرزهم الأسود العنسي ، طليحة بن خويلد الأسدي ،سجاح بنت الحارث بن سويد بن عقفان ،للمزيد من الإطلاع حول طبيعة هذه الردة و حربها و قتالها أدينية كانت ضد دين الإسلام ؟ أم سياسية ...كانت ضد "دولة " الإسلام ؟ ارجع إلى الدراسة التالية :محمد عمارة ،الدولة الإسلامية بين العلمانية و السلطة الدينية ، دار الشروق،** 2002.

[2] **أنظر سورة البقرة، الجزء الثاني، الآية 217 وسورة آل عمران الجزء الرابع، الآية 137**.

[3] Mouna,Mohammed Cherif, « **La conversion ou l'apostasie entre le système juridique musulman et les lois constitutionnelles dans l'Algérie indépendante** ,Cahier d'études du religieux Recherches interdisciplinaires [Revue En ligne], Numéro spécial | 2011, mis en ligne le 07 février 2011, consulté le 13 février 2013.

من المفاهيم المرتبط عضويا بظاهرة التحول الديني :

التبشير، التنصير،الدعوة الدينية(christianisation -évangélisation −Prosélytisme)
يحمل كل مفهوم من المفاهيم هذه بالرغم من تقاربها مجموعة من الدلالات حسب الجهة التي تتعامل معه

- التبشير :

لغويا : كلمة التبشير في اللغة العربية هي مصدر للفعل "بشر"، واسم المصدر"البشارة"وهو أصل استخدامه اللغوي تعني إيصال رسالة أو خبر يؤثر في بشرة الوجه ويحدث تغيرا ملحوظا .[1]

اصطلاحا: التبشير هو إيصال الأخبار السارة إلى الأفراد والجماعات رجالا ونساء ليقبلوا المسيح (ربا ومخلصا) من خلال عضوية الكنيسة وفي حالة عدم إمكان السعي لتقريب المعنيين من أفراد وجماعات من حياة النصرانية يستعمل شتى الوسائل لصرفهم عن دينهم .[2]

- **التنصير :**

لغويا: كما هو واضح في الاشتقاق اللغوي فان كلمة تنصير مصدر للفعل نصر، ينصر أي جعله نصرانيا.

اصطلاحا: التنصير هو الدعوة إلى دين النصرانية و محاولة نشرها في أنحاء العالم بالوسائل و الأساليب المتنوعة.[3]

---

[1] محمد صالح عثمان، النصرانية والتنصير، أم المسيحية والتبشير دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلالات، مكتبة ابن القيم، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، 1989، ص 31.

[2] نفس المرجع، 41

[3] نفس المرجع،ص 41.

- الدعوة الدينية Prosélytisme:

هي الحق لأي شخص في نشر معلوماته الدينية ومعتقداته وتعتبر شكل من أشكال حرية التعبير خاصة عندما يتم دعوة أشخاص إلى اعتناق عقيدة معينة بوسائل سلمية ، هذا إذا ما أخذنا بالمادة 18 من الاتفاقية الدولية المرتبطة بالحقوق المدنية والسياسية.[1]

يميز(Gianfranco Rossi) بين نوعين من الدعوة الدينية Prosélytisme الدعوة الدينية العادية Prosélytisme normal والدعوة الدينية التعسفية Prosélytisme Abusif. يحدد هذا التميز على الشكل التالي : " لكل شخص حق في نشر دينه ومعتقداته ومحاولة إشراك المتلقي الذي يكون جاهز للاستماع وبالتالي يكون ممارسة الدعوة بضوابط مبنية على احترام حقوق الأخر التي تكون مفرغة من كل اشكال الضغط الاقتصادي الجسدي والنفسي ... وما عدا ذلك فالدعوة تكون تعسفية لا ترتبط باحترام حرية التفكير والضمير."[2]

- اختيار المقاربة : إن ظاهرة التحولات الدينية قديما وحديثا يحكمها منطق المسكوت عنه" les non dits" فالباحث هنا يتعامل مع هويات مشار إليها بالوصم الاجتماعي من خلال النعوت التالية : مطورني ،خداع ، بايع دينه مسخوط، حركي ...الخ ، فيفترض عليه أي الباحث أن لا يعيد إنتاج هذه الأحكام القيمية ، وأن لا يدين الظاهرة ، وعلى هذا الأساس يبقى دور الدراسة السوسيولوجية ، البحث عن الحالات والغوص في أعماق الوقائع الامبريقية . يؤسس كليفورد غيرتز (1926) لمقاربة أنتروبولوجية في التعامل مع الظاهرة الدينية من خلال

[1] GEORGES, Naol , **les chrétiens dans le monde arabe et la Question de l’Apostasie en Islam,** Revue Maghreb machrek ,numéro 209 ,2011 **,** P110

[2] Ibid. P110.

كتابه "الإسلام ملاحظا" الذي درس فيه أشكال الخبرة الدينية في مجتمعين مسلمين (في جاوة باندونيسيا و المغرب) ومن أجل فهم التنوع الإسلامي فيهما. [3]

تولي مقاربة غيرتز الاهتمام في المقام الأول لإنتاج المعنى ، الذي يقوم الأفراد بإضفائه على أفعالهم والذي يقوم على توجيه مصيرهم الاجتماعي وهذا ما يسمى" بالوصف المكثف " و يتمثل في الإجابة عن السؤالين التاليين : ماذا يقول هؤلاء الأفراد عن أفعالهم ؟ وكيف ينتجون المعنى؟ على هذا الأساس شكل غيرتز قراءته للتغيرات الدينية بحيث يعتبر " أن الأفراد لا يغيرون بصورة آلية من النمط الديني بل يقومون بتبني استراتيجيات متكيفة وملائمة حسب حاجاتهم في لحظة من لحظات إنتاج المعنى ومن أجل فهم حسب تصوراتهم التغيرات التي تحدث في المجتمع" ، إن انتقال الأفراد حسب "غيرتز" من تمسكه بنوع من القداسة (أو أسلوب ديني) إلى أسلوب أخر لا يعني أنهم يرفضون بصورة قطعية هذا الأسلوب و إنما يعتبرونه غير يقيني .

إن هذه المقاربة " لكليفورد غيرتز" يمكنها أن توصلنا إلى فهم المنطق الذي يحكم ظاهرة التحولات الدينية و الإجابة على إشكالية الدراسة ، من خلال فسح المجال أمام الفاعل في الظاهرة أي المتحول الديني في تقديم قراءة و إعطاء معنى لتجربته الخاصة في التحول من خلال شهادة التحول récite de conversion ، هذا ما يسميه (غيرتز) بمسائلة الحقائق الامبريقية " بالنظر ما فوق الأكتاف " .[1]

- تحديد الإطار الزماني والمكاني للدراسة : بدأت الدراسة الميدانية في 2012/09/14 وهو تاريخ أول استطلاع ميداني إلى الكنيسة الانجيلية بولاية وهران - وسط المدينة - قدمنا أنفسنا في الزيارة الأولى بهويتنا الحقيقية كباحثين في ميدان علم الاجتماع ، وأبدينا رغبتنا في حضور

[3] للمزيد من التفاصيل أرجع إلى الدراسة الأصلية المترجمة باللغة الفرنسية :

« Geertz, c, **Observer l'islam. Changements religieux au Maroc et en Indonésie**, Paris, Ed. La Découverte ,1992.

[1] صالحي محمد إبراهيم ، الدين بوصفه شبكة دلالية :مقاربة كليفورد غيرتز " الإسلام ملاحظا " ، ترجمة : مرضي مصطفى، مجلة إنسانيات ، العدد 50 ، أكتوبر – ديسمبر ، 2010 ص 41 .

الاجتماعات الخاصة بالمسيحيين وبعد موافقة القس القائم على الكنيسة قمنا بإجراء زيارات متكررة للميدان ، أين تمكنا من الاحتكاك بمجتمع البحث :

"L’Eglise est l’espace de la communion et de rencontre avec dieu mais aussi le lieu ou les nouveaux convertis officialise son acte et acquiert un nouveau code de vie " [1]

استمرت الزيارات الميدانية لمدة أربع أشهر (كل جمعة من كل أسبوع وهو اليوم الذي يجتمع فيه المسيحيون لأداء الصلاة) ، وبعد مدة من التحقيقات الميدانية في ولاية "وهران" وجهت لنا دعوة للتنقل إلى منطقة القبائل من قبل المسيحيين "المتحولون الجدد" الذين يترددون على الكنيسة في وهران ، وبالفعل كانت لنا زيارة إلى الكنائس الانجيلية في منطقة القبائل مدينة "تيزي وزو " دامت لمدة أسبوع ، استطعنا الخروج بجملة من المعطيات حول تاريخ الحركة الانجيلية في الجزائر .

-زيارة منطقة القبائل : جاءت هذه الزيارة في إطار الجهود الخاصة بمشروع بحث (الانجيليين في الجزائر) الذي قامت عليه مؤسسة البحث الجامعية (CRASC) و الذي كنا مدمجين فيه بصفتنا محققين . قمنا باستخدام المعطيات التي تحصلنا عيها في هذه الزيارة بعد ترخيص من الأساتذة القائمين على المشروع. شملت هذه الزيارة أهم الكنائس الانجيلية في ولاية " تيزي وزو" و الدوائر التابعة لها بحيث أجرينا مجموعة من اللقاءات مع أباء الكنيسة الانجيلية و بعض المتحولين من أصول قبائلية .

أجريت المقابلات داخل الكنيسة ، للاعتبارات التالية :

- إن الكنيسة مكان موثوق فيه بالنسبة للمبحوث فالحديث عن المسيحية لا يدينه ولا يعرضه لمسائلة قانونية بتهمة التبشير.

- عدم ثقة المبحوثين في أي طرف غير مسيحي خاصة إذا كان هذا الطرف يلح على معرفته واقتحام حياته الخاصة، وبالتالي فاختيار الكنيسة كمكان لأجراء المقابلات هو اختيار مدروس

[1]Samia, Sahri **, Etude des pratique et des conduites religieuse chez les convertis au christianisme en Kabylie** , Université mouloud Mammeri ,Tizi Ouzou, 2011, P4.

بالنسبة للمبحوث وخاصة أن الحس الأمني و الخوف من التغطية الصحفية شعور ملازم لكل متحول ديني.

- اختيار المنهج :

إن منهج المستخدم في هذه الدراسة بناء على المقدمات السابقة هو منهج "دراسة الحالة " الذي وجدناه يتناسب مع طبيعة البحث و خصوصية الظاهرة . يساعدنا منهج دراسة الحالة على إنتاج معرفة حول عن حالات الدراسة كجزء من مجتمع البحث، بالتعرف على أفكارهم،اتجاهاتهم، علاقاتهم، تفاعلاتهم ،مواقفهم من العوالم المحيطة بهم قبل فعل التحول الديني وهذا ما يسمى في منهج دراسة الحالة بالتصور الاسترجاعي " Flash Back"[1] ، الذي يعتمد على أن الخصائص الحاضرة تقتضي العودة للماضي لفهم هذه الخصائص في الوقت الراهن .

- اختيار حالات الدراسة :

خضع اختيار الحالات الدراسة إلى درجة تقبل الحالة في أن تصبح محل دراسة سوسيولوجية ومدى اقتناعها و ثقتها في دوافع حضورنا ، وعلى هذا أساس لم يتم اختيارنا للحالات بناءا على الالتزام بالمحددات السوسيولوجية (السن ، الجنس ، الحالة العائلية ، المستوى الدراسي...الخ)، و إنما حاولنا قدر الإمكان أن تكون حالات الدراسة متنوعة ومعبرة ويمكن أن تشكل ثراء في تصنيف دوافع ومحفزات التحول الديني . عموما حالات الدراسة هي عبارة 20 مبحوث بينهم امرأة واحدة، تتراوح أعمارهم مابين 23-67 سنة من مستويات دراسية و تصنيفات مهنية مختلفة ، هذا إذا ما استثنينا بعض الحالات التي كانت لنا معهم مقابلات استكشافية في مرحلة الاستطلاع .

[1] محمد، ياسر الخواجة ، البحث الاجتماعي أسس منهجية وتطبيقات علمية ، مصر العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى، 2010، ص 133.

- التقنيات المتبعة :

*الملاحظة بالمشاركة (Observation empathique et autonome) **:** تظهر تقنية الملاحظة بالمشاركة كوسيلة أساسية للحصول على المعطيات في مثل هذه الدراسات ، أين نجد المسكوت عنه أكثر من المنطوق. لقد شكلت الكنيسة الانجيلية حقل للملاحظة. طبقنا تقنية الملاحظة بالمشاركة من خلال ما يعرف بأسلوب المشارك الملاحظ[1] مكننا هذا الأسلوب من ملاحظة ومشاهدة المبحوثين مع علمهم بوجودنا كمشاركين ملاحظين ساعدنا هذا الأسلوب من كسب تعاطف المبحوثين إلى حين . ومن انتقاء حالات الدراسة ، من خلال تشكيل شبكة من العلاقات مع مجتمع البحث .

- المقابلة النصف الموجهة : تعتبر تقنية المقابلة ركن أساسي في الدراسات الميدانية فهي وسيلة للتأكد من المعطيات التي سبق وأن جمعناها في مرحلة الاستطلاع بإرفاقها بتقنية تحليل الخطاب ، تمكننا هذه التقنية من الخروج بتصنيفات لأهم دوافع و محفزات الدينية وغير الدينية في اعتناق المسيحية من خلال خطاب المتحول المنطوق وغير المنطوق الذي يوصلنا في الأخير إلى الإجابة عن الإشكال المطروح.

حرصنا في إجراء المقابلات على راحت المبحوث وتبديد الشكوك التي كان يحملها ، بمراعاة التفاصيل التي قد تشكل حساسية وتضعنا محل تصنيف إما صحافة أو جهة أمنية ، كالأسئلة التي لها علاقة مباشرة مع السياسة أو الأسئلة الخاصة بالدعم المالي، بحيث تركنا المبحوث يتحدث عن تجربته في التحول في بداية اللقاء، وهذا ما يسمى في التقاليد الانجيلية بشهادة التحول، الذي يعطي من خلالها المتحول معنى لتجربته الدينية ، من خلال عرض لعلاقته مع محيطه العائلي قبل الدخول إلى المسيحية .ثم علاقته مع الإسلام ، المحرك الأساسي وراء اعتناقه للمسيحية وفي سياق حديثه عن تجربته كنا نطرح جملة من الاستفهامات التي كنا نراها ضرورية و التي أغفلها المبحوث عن قصد أو عن غير قصد ، و التي تختلف من مبحوث إلى آخر نظرا لخصوصية

[1] Pierre , BOUVIER , **La socio-anthropologie** , Ed ARMAND COLIN , Paris ,2000.P70.

التجربة ، بمجرد إنهاء المبحوث لعرض شهادة التحول يفعل دليل المقابلة الذي شمل كل حالات الدراسة . استطعنا من خلال الاحتكاك مع مجتمع البحث من اكتساب قاموس من المفردات الخاص بالانجيليين ، من أجل استعطاف المبحوث وخلق علاقة ثقة معه ، مثلا (المحبة،الحياة الأبدية، يسوع ، الخلاص، الإيمان يوم الدينونة...الخ).

- المقابلة مع مدير الشؤون الدينية : أجريت بتاريخ 02/26/ 2013 مع السيد "حسين بلقوت " مدير القطاع بولاية وهران .التي تعتبر مركز أساسي في تكوين الانجيلي لمتحولون الجدد عن طريق الدورات التكوينية ، التي تتم على مستوى الكنائس الانجيلية الموجودة فيها .

الصعوبات الميدانية : إن المقاربة الميدانية لظاهرة محكوم عيها بالصمت على جميع المستويات كالظاهرة قيد الدراسة إذا ما استثنينا بعض النقاشات والدراسات هنا و هناك ، يضع الباحث أمام مهمة "مارتونية" تتوقف على مدى قدرته في نسج شبكة من العلاقات تمكنه من الولوج ضمن ظواهر من هذا النوع ، و اختيار التقنيات المناسبة ومدى قابليتها في الإجابة عن الهم المعرفي للباحث.

- دوافع اختيار الموضوع : إن انخراطنا ضمن فرقة بحث بمركز البحوث في الأنتروبولوجية الاجتماعية والثقافية (CRASC) الذي طرح موضوع التحولات الدينية كمشروع بحث وطني وان كان محفزا أساسيا في اختيار الموضوع ، لأنه سهل لنا مهمة التعرف على مجتمع البحث من خلال أول حالة أجريت معها مقابلة لصالح المشروع ، وهو متحول مسيحي من أصول قبائلية و يشغل وظيفة قس في الكنيسة الإنجيلية بوهران ، و الذي وضعنا على أول الطريق من خلال الحضور الأول في الكنيسة ، إلا أن هذا الحضور سرعان ما أصبح غير مرغوب فيه وخاصة بعد التحقيق الصحفي الذي قامت به قناة الشروق الجزائرية حول الطائفة الإنجيلية ، في منطقة القبائل و نحن في خضم الدراسة الميدانية .

أثر هذا التحقيق بشكل واضح على مسار بحثنا ولحسن الحظ كنا قد أوشكنا على إنهاء المقابلات و إلا كانت دراستنا سوف تجهض قبل ولادتها ،خاصة أن هذه الدراسة بالذات تتوقف على درجة الثقة بين الباحث والمبحوث، وهو ما حاولنا على مدى الدراسة أن نحققه .

لقد شكل لنا الميدان صعوبة حقيقية على المستوى النفسي ، فليس من الهين مع فقر التجربة الميدانية أن يقتحم باحث مبتدأ مثل هذه الدراسات ، التي تحتاج إلى مرافقة و تهيئة بسيكولوجية دائمة ، و في نفس الوقت يستلزم منا أن نتخذ مسلكا منهجيا حذرا يمكننا من محاولة فهم علمي للظاهرة و الاحتفاظ بالمسافة - الضرورية ابستومولوجيا- إزاءها .

- عرض فصول الدراسة :

قمنا بتقديم هذه الدراسة في ثلاثة فصول، بشكل يمكننا من العرض المتوازن للمعطيات النظرية المتاحة حول الظاهرة، و المعطيات التي أفصح عنها الميدان:

- الفصل الأول :

الجزء الأول : عرض الأدبيات السوسيولوجية العالمية التي تناولت ظاهرة التحولات الدينية.

الجزء الثاني : التعرف دور الحركات الدينية الجديدة الوجه الأخر للعولمة ، في تأطير ظاهرة التحولات الدينية وعلى رأس هذه الحركات الحركة الانجيلية .

- الفصل الثاني :

الجزء الأول : عرض قراءة تاريخية حول ظاهرة التحول المسيحي في الجزائر ، ترتبط هذه القراءة بالاستعمار الفرنسي وأهم الاستراتيجيات التي اعتمدت عليها الكنيسة الكاثوليكية في تسجيل حالات التحول الديني.

الجزء الثاني : عرض كرونولوجي للتحولات الماكرو سوسيولوجية التي شهدها الحقل الديني في الجزائر .

- الفصل الثالث : يقدم هذا الفصل تحليل سوسيو سياسي لظاهرة التحول المسيحي الانجيلي في الجزائر استنادا على المعطيات الميدانية ، و ما توفر من قراءات نظرية في سبيل الإجابة عن الإشكال المطروح .
- الجزء الأول : عرض ظاهرة التحول الديني الانجيلي في سياق الجزائري، انطلاقا من ظاهرة التبشير التي ترتبط عضويا بموضوع الدراسة ، ثم التطرق إلى الموقف الرسمي في التعامل مع الظاهرة على مستوى الخطاب و النصوص القانونية .

الجزء الثاني : البحث عن عوامل و محفزات التحول الديني لدى المتحول الانجيلي ذو الأصول القبائلية .

الفصل الأول :

" سوسيولوجية التحولات الدينية "

«...التحول الديني ليس فقط حصيلة نقاش فكري وتحرر مفكر فيه و مبرر، فهو أيضا مشاركة اجتماعية في جماعة تتسم بسمات و إيماءات خاصة ، وكل هذا يعبر عن تغيير في الهوية الاجتماعية. »

Mary : 1998

- مقدمة :

انتشار التحولات الدينية ظاهرة تطبع المشهد الديني العالمي للقرن الواحد و العشريين في سياقات جغرافية تاريخية و ثقافية مختلفة تماما في إطار العولمة ، هذه الأخيرة التي تخدم ظهور و تنشيط حركات دينية جديدة بخصائص سوسيولوجية مميزة ، خاصة عندما يتعلق الأمر بالتحول نحو المسيحية ، الذي يسجل لصالح الحركات البروتستنتينية الانجيلية و الخمسينية الجديدة ، في مقابل تراجع الكنائس الكاثوليكية التاريخية - من المؤكد أن في كل المراحل التاريخية توجد تحولات دينية إما بشكل فردي أو جماعي،إرادي أو تحت ضغط - .

يشكل هذا الانتشار للظاهرة مجالا للالتقاء و التفاعل المفضل بين العلوم الاجتماعية بمختلف تخصصاتها و البحوث في الحقل الديني ، هذا المجال من البحث ظل لفترة طويلة غير مستقل خاصة في المجتمعات التي تشكل فيها الرموز و الانتماءات الدينية الهويات الاجتماعية و الثقافية ومصدر شرعية السياسية . طرح ظاهر التحولات الدينية في ميدان علم الاجتماع يستدعي تحليل موضوعين متلازمين، الأول خاص بالمتحول ، الذي يعتبر كشاهد لفعل التحول، ومن جهة أخرى قصة أو شهادة التحول ، التي تهيئ لنا فهم فعل التحول والمعنى الذي يعطيه المتحول لتجربته وقراءته الخاصة لهويته الدينية القديمة والجديدة وهذا ما يكمن أن نسميه :

« une conversion attestée est une conversion racontée »

1. ظاهرة التحولات الدينية من المجال الديني إلى ميدان علم الاجتماع ؛

1.1. ظاهرة التحولات الدينية في حقل العلوم الاجتماعية :

تعتبر الدراسات الأنجلوسكسونية في علم النفس الديني رائدة في مجال البحوث الخاصة بالتحولات الدينية ، ففي سنة1902 نشر William James دراسة ركزت على تجارب ميدانية على رجال دين مسيحي توصل من خلال هذه الدراسة إلى تصنيفين متناقضين بين رجال دين متفائلون (healthy minded) وبين رجال دين يعيشون في ألم دائم و معاناة كبيرة (sick souls) ، وحتى يشعرون بالراحة والسعادة يقومون بتجربة تحول، وبالتالي يصبح التحول الديني هنا حل سيكولوجي ويكتمل هذا التحول عندما يكون في وقت أزمة . تعطي هذه التجربة إحساس عميق بالسلم والتناغم وتهيئ المتحول أن يستقبل كل ظروف الحياة .

ساهمت دراسة حالة التي قام James في ظهور دراسات أخرى منها على سبيل المثال البحث الذي قام به Edwin Starbuck أجرى هذا دراسة ميدانية طلب فيها من 192 أمريكي دو انتماء بروتستنتي أن يكتبوا تقارير بيبيوغرافية لتجربتهم في التحول ، و عن حياتهم الروحية بعد التحول توصلStarbuck أن التحول الديني ظاهرة ترجع إلى المراهقة والتي تبرر عادة بالخوف من الهلاك الأبدي .[1] إلى غاية سنوات 1970 لم تطرح ظاهرة التحولات الدينية في المجتمعات الغربية بشكل صريح وذلك تحت تأثير العلمانية والعلمنة (sécularisation) لكن كان هناك نوع من المراقبة للظاهرة مع بداية تشكل حركات دينية جديدة، بعد سنوات1970 مع عودة الظاهرة الدينية في هذه المجتمعات[2] تشكل في ميدان العلوم الاجتماعية فضاء تفكير ابستمولوجي حول ظاهرة التحولات

[1] Claude, Rochon , **Abus sexuels et conversion religieuse Une approche narrative fondée sur la triple *mimèsis* de Paul Ricœur** , Université de Montréal , Décembre 2009, P6.

[2] **ملاحظة هامة : إن عودة الديني في المجتمعات الغربية ظاهرة سياسية بالدرجة الأولى ليس لها من الديني سوى الاسم ، فهي غير مرتبطة بأي تطور كبير على الصعيد تطوير العقيدة الدينية من الناحية اللاهوتية و السياسية والتعبيرات الإيمانية ، فنجد أن تجديد القراءة المسيحية الحرفية للعهد القديم (الكتاب المقدس) التي اكتسحت الولايات المتحدة الأمريكية يستخدم في إضفاء الشرعية على توطيد الامبريالية جديدة وفي المقابل ازدهار الأصولية في العالم العربي كأنموذج أولي لتركيب الهوية كفعل سياسي مضاد للغرب .للمزيد من الإطلاع حول عودة الديني في المجتمعات الغربية ارجع إلى المؤلف التالي :جورج قرم ، المسألة الدينية في القرن الواحد و العشرون ، ترجمة : خليل أحمد خليل ، دار الفارابي ، الطبعة الأولى ، 2007.**

الدينية. [1] كما يجدر الإشارة إلى أن البحوث التي ظهرت في هذا الميدان انطبعت بتوجهات وأراء الباحثين لأنهم كانوا جزء من الظاهرة إما كمتحولين(Jules-Rosette, Rambo) أو أنهم ينتمون إلى الدين الذي سجل إليه التحول (Köse, Setta) .

طبعت ظاهرة التحول الديني على وجه الخصوص الأديان التي تنادي بالقطيعة (les religions de rupture)، أين نجد أن الدعوة اللاهية تسببت في تغيرات جذرية على مر التاريخ . رسالة 'الله' الموجهة إلى الإنسان و التي غالبا ما تحملها كتب مقدسة تفرض اندماج مطلق ، و قطيعة نهائية مع الماضي و التزاما كامل لكلا الذات البشرية . هذه الأديان هي تبشيرية لأنها تريد أن تكون عالمية ، موجهة إلى كل إنسان[2].

النموذج المسيحي في هذا المجال يعالج الظاهرة انطلاقا من اعترافات القديس (سان أوغسطين) الذي قدم مفهوم التحول الديني كتجربة روحية متعالية ولكنها في نفس الوقت ذاتية بالضرورة و حميمة ، يسجل التحول الديني حسب اعترافات "سان أوغسطين " ، من خلال قصة التحول التي تشهد عن مسار التوجه نحو المسيحية ، والتي تتمحور حول دور الإيمان وكل ماله علاقة بالأمور الداخلية (الاستبطان) والرقابة الذاتية .[3]

ظهرت قصص التحول الديني من خلال المحاولات الأولى للتبشير . يبني المتحول الديني نحوى المسيحية قصة تحوله من خلال شهادة التحول التي تدور حول الخطيئة الأصلية لآدم (عيه السلام) والشعور بالذنب الذي تم التخلص منه عن طريق السيد المسيح الذي صالح بين الإنسان والله أو ما يعرف بعقيدة الخلاص التي تعتبر مركز التفكير المسيحي. [4]

---

[1] Géraldine , Massière**, La conversion religieuse : Approches épistémologiques et polysémie d'un concept**, Université de Montréal, Septembre, 2007, P 3.

[2] ENCYCLOPAEDIA UNIVERSALIS, op .cit. P 499.

[3] Christian DECOBERT, **Conversion, Tradition, Institution**, Arch. de Sc. soc. Des Rel., 2001, 116 (octobre-décembre), PP78-80.

[4] **هذه الفقرة من واقع المعطيات الميدانية في تعاملنا مع شهادات التحول الديني .**

لكن الأمر يختلف في الإسلام، فالتحول الديني هو تعبير عن تغيير في الهوية الاجتماعية فالدخول إلى الإسلام يعني الانضمام إلى جماعة المسلمين " الأمة". إن طبيعة الإسلام كدين مبني على الإيمان وعلى أساس الأعمال والممارسات و الطقوس اليومية التي يعبر من خلالها المتحول عن كامل طاعته وخضوعه "لله" كالصلاة والصيام وقراءة القرآن. إن المتحول إلى الإسلام يدخل في إيمان جديد ولكن أيضا في معتقدات وممارسات جديدة، فالإسلام ليس دين فقط ولكن نمط حياة (دين ودنيا) على عكس التحول في المسيحية.

يقدم علماء الاجتماع المختصون في تفسير ظاهر التحول الديني نحو الإسلام في المجتمعات الغربية التي تشهد تنامي ملحوظ للظاهرة ، نموذجين للتحول : الأول ما يسمى بالتحول العقلاني (La conversion rationnelle) يكون هذا النوع من التحول خلاصة لجهد فكري و تجربة شخصية يحدد (Franck Fregosi) المختص في الإسلام خصائص هذا النوع على النحو التالي : الأشخاص المعنيين بهذا الشكل من التحول هم غالب أشخاص منحدرين من أوساط غنية يمتلكون رصيد ثقافي غني يبحثون عن الروحانيات والذين يهتمون بشكل خاص بالصوفية.أما الشكل الثاني فهو التحول العلائقي (La conversion relationnelles) ، يكون التحول هنا كنتيجة للعلاقة التي تربط المتحول بأشخاص مسلمين إما جيران أو رفاق وعادة ما يكون شباب نجدهم في أوساط اجتماعية فقيرة عكس.هؤلاء المتحولون يعجبون بالإسلام الذي ينادي بالمساواة و العدالة الاجتماعية. لكن في الواقع هناك خليط بين النوعين ، فقد يتحول الشخص فكريا من جملة القراءات التي يطلعها حول الإسلام، ثم بعد ذلك يجد الشخص الذي يوجهه .[1]

أما في الديانة اليهودية تشكل الممارسات الدينية الفضاء الأساسي للتعبير الهوياتي كتعليم الجسد بعلامات معينة ، قواعد مرتبطة بالهندام فالمرأة تلبس التنور العريضة و الشعر المستعار بالنسبة للمرأة المتزوجة ، الختان بالنسبة للرجال .

[1] للمزيد من المعلومات حول تحليل Franck Fregosi لظاهرة التحول الديني نحو الإسلام في فرنسا طالع المقال الذي نشر في صحيفة le Quotidien N° 5723 /19 2013/09 تحت عنوان : Islam : qui sont les nouveaux convertis ?

إن هذه القواعد تساهم في جعل كل من يعتنق اليهودية لا يتحول فقط روحيا (conversion spirituelle)، و لكن تحول مرتبط أيضا بالانضباط الخارجي للجسد (conversion physique).[1]

[1] Géraldine, Massière, op.cit. P5

2.1. ظاهرة التحولات الدينية وإسهامات علماء الاجتماع :

إن مسألة الدين لا تنفصل عن موضوع السوسيولوجية ، هذا الأخير الذي يتحدد بالنشاط النقدي الذي يحتويه و الذي عرفه ألان تورين بأنه « رفض الاعتقاد في كل التأويلات ابتداء من التبرير الذي يقدمه الفاعل عن نشاطه إلى غاية المعنى المتجسد في التصنيفات الإرادية التي تبدوا على أنها بعيدة من أن تكون محملة بالنوايا » إن هذا التشكيك العام الذي يشمل كل مظاهر الممارسة الاجتماعية يجعلنا تزيح ستار الفهم الشائع و تخليص موضوع علم الاجتماع من اليقين الاجتماعي والأحكام المسبقة . إن عملية النقد هذه تسمح بضمان شرعية معرفة اجتماعية بالاجتماعي حسب طرائق مبادئ و مناهج المعرفة العلمية، التي تحدد العمل السوسيولوجي كتلك التي طرحها ا.دوركايم في كتبه قواعد المنهج، تشمل هذه المعرفة التصورات الميتافيزيقية (الدين) للعالم و خصوصا تلك التي تقبل و تطلب تدخل قوى متعالية على الإنسان في التاريخ .[1]

تأثرت المقاربات النظرية تجاه الدين تأثرا كبيرا بالآراء التي طرحها ثلاثة من كبار المنظرين الذين أسهموا في وضع الأسس لعلم الاجتماع وهم : ماركس ، دوركايم و فيبر .

ينطوي الدين عند كارل ماركس على عنصر إيديولوجي قوي ، إذ أن المعتقدات و القيم الدينية تستخدم في أكثر الأحيان لتبرير جوانب اللامساواة في مجالات الثروة و السلطة ، فلقد أعلن ماركس في أحد عباراته أن الدين هو" أفيون الشعوب" فالدين برجي السعادة والجزاء إلى الحياة الأخرى ، و يدعوا الناس إلى القناعة و الرضي بأوضاعهم في هذه الحياة . [2]

- أمضى ا.دوركايم جانبا من جهده في دراسة الدين مع التركيز خاصة على الاعتقاد الديني في المجتمعات التقليدية الصغيرة و علاقته بطبيعة المؤسسات المجتمعية ، بحيث يعتبر مؤلفه (الأشكال الأولية للحياة الدينية 1912) من أبرز جهوده في هذا المجال . إن موضوع العبادة في

---

[1]عبد الباقي ،الهرماسي و آخرون ، الدين في المجتمع العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2000، ص 172.

[2]أنتوني ، غدنز ، علم الاجتماع ، ترجمة : فايز الصياغ ، المنظمة العربية للترجمة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 2005 ، ص 580.

نظر دوركايم هو المجتمع نفسه الذي يسعى إلى أن يؤكد ذاته بذاته ، ويرسخ شرعيته وقيمه فالآلهة هي صورة المجتمع وليس العكس .[1]

- بالنسبة لماكس فيبر فكتاباته عن الدين تختلف عن سابقيه من حيث تركيزها على الترابط بين الدين والتغير الاجتماعي . قام فيبر بدراسات مسهبة للهندوسية ، البوذية ،الطاوية ، اليهودية القديمة ، كما أنه درس أثار المسيحية في تاريخ الغرب في عدة مؤلفات من أبرزها (الأخلاق البروتستنتينية و روح الرأسمالية 1976) تختلف أراء فيبر للدين عن ماركس فالدين لا يمثل بالضرورة قوة محافظة ، بل إن بعض الحركات و التوجهات الدينية ساهمت في إحداث تحولات اجتماعية في المجتمعات الغربية . فلقد كان أتباع كالفن الزعيم البروتستنتي من الأوائل الذين بادروا بالمشروعات التجارية ، وساهموا في انطلاق التنمية الاقتصادية الغربية فالنجاح المادي بالنسبة إليهم علامة من علامات العناية اللاهية وطريقهم إلى الخلاص الذي ينشدونه .[2]

تشكل دراسة ظاهرة التحول الديني جزء من اهتمام علماء الاجتماع بالظاهرة الدينة بشكل عام. إسهامات علماء الاجتماع في علاج الظاهرة تنطلق من اعتبار التحول الديني انفصال الفرد عن محيطه الاجتماعي و الاندماج في جماعة جديدة ، وهو البعد المهم في الظاهرة . هذا التغيير في الانتماءات الاجتماعية يساهم في إعطاء الظاهرة خاصية "الأزمة " و ما تستدعيه من تشويش في شخصية المتحول . هذا الانتقال من جماعة إلى أخرى يصحب بحيرة روحية نتيجة التخلي عن تقاليد عائلية أو وطنية و صعوبة في التكيف و الفهم ، و من جهة أخرى أن الأفراد ينتزعون déracinées لسبب أو لأخر بشكل مؤقتا أو بشكل دائم عن وسطهم الأصلي. يجب ملاحظة أن أحد المحركات الأساسية للتحول الديني تكمن في الإغراءات أو وسائل الجدب التي تمارسها الجماعة المستقبلة بجو من الترحيب الذي يستطيع أن يسود : في حالة المسيحية البدائية و بعض الجماعات المنحدرة من حركات النهضة الدينية .[3]

[1] نفس المرجع ، ص 581 .
[2] نفس المرجع ،ص 582 .

[3] ENCYCLOPAEDIA UNIVERSALIS, Op. cit. P499.

يقدم عالم الاجتماع (Hervieu-léger) ثلاثة تصنيفات تعبر أساسية في التعامل مع ظاهرة التحول الديني للظاهرة:

-التصنيف الأول : خاص بالأفراد الذين "يغيرون الدين (changent de religion) إما لأنهم يرفضون هوية دينية موروثة ويعتنقون عن طريق تحولهم هوية دينية جديدة، أو أنهم يتخلون عن هوية دينية مفروضة عليهم لم يعتقدوا فيها بشكل شخصي طوال حياتهم حتى يدخلون في فضاء إيماني جديد .[1]

إن هذا التغيير يبرر عند المتحول الديني من خلال شهادة التحول إما لأن هويته الموروثة غير قادرة على حمل أجوبة وتفسيرات لأزماته ،أو أنها لم تنتج السند الفعال للجماعة.

– التصنيف الثاني : خاص بالأفراد الذين لم ينتمون طوال حياتهم إلى تقليد ديني والذين يكتشفون من خلال مسار شخصي خط إيماني يتم اختياره بشكل إرادي ،يسجل هذا النوع من التحول في المجتمعات المعلمنة أين تعتبر التنشئة الدينة العائلية هامشية.في هذا النوع من التحول يعتبر المتحول كباحث روحي (un chercheur spiritual) .

- التصنيف الثالث : المتحول الداخلي(convertis de l'intérieur) يكون المتحول هنا مدمج ضمن تقليد ديني عائلي مند الولادة ، والذي يكتشف أو يعيد اكتشاف هوية دينية تظهر رسمية أو تعاش بطريقة متوافقة مع القيم الدينية لمجتمعه.

إن هذا النوع من التحول كنمط خاص لبناء هوية دينية تضع الانتماء الديني والنظام العادي (régime ordinaire) في تساؤل بحيث يعمل المتحول على إعادة تنظيم أخلاقي وروحي لحياته أين يصنع الخصوصية لمساره الفردي داخل نفس التجربة الدينية وهذا ما يكمن انجده في المسيحية كما في الإسلام واليهودية فالتحول هنا يكون انتقال معرفي .[2]

[1] Jean-Cassien, Biller**, la conversion peut-elle etre une liberté ?** Revue Cahier d'études du religieux. Recherches interdisciplinaires, n°6. sans pagination [Revue en ligne] **عند معاينتنا للمقال للمرة الثانية للحصول على الرابط سحب المقال من الموقع**

[2] Ibid. son pagination

في كل هذه التصنيفات يظهر للمتحول أن الهوية الدينية التي اختارها هي الهوية الحقيقة . إن فعل التحول الديني يشكل التزام شخصي من قبل الفرد ، الذي يشهد كذلك ببراعة على استقلاليته على المستوى الإيماني ، فالتحول الديني يشكل بوضوح نموذج فعال لبناء الذات في ظل فضاء معولم يشهد هشاشة الهويات الجماعية أين لا يوجد أي مبدأ مركزي ينظم الخبرات والتجارب الفردية و الاجتماعية .[1]

صاحب دراسة ظاهرة التحولات الدينية جملة النقاشات طرحتها الدراسات السوسيولوجية و غيرها من الدراسات الاجتماعية المهتمة بموضوع التحولات الدينية ، خاصة في السياق الغربي الذي شكل مناخ خصب لظهور ونضج مثل هذه النقاشات ، و الذي رافق تطور مفاهيم أخرى كالفردانية الحداثة غيرها من المفاهيم المرتبطة بالمجتمعات ما بعد الحداثة .

من بين أهم هذه النقاشات :

- التحول الديني و مسألة الهوية : يظهر التحول الديني موضوع مرتبط بشكل عميق بمسألة الهوية لكنه في الوقت نفسه يحمل أوجه متغيرة فالانخراط أو إعادة الانخراط للفرد في دين معين يفرض أنه يغير الهوية العميقة للفرد لكن هذا التحول في الوقت ذاته فعل عام (Public) وليس خاص (privé) ، لأن الفرد المتحول سوف ينخرط ضمن جماعة تصنع هويته لكن في واقع الأمر هناك مفارقة في تناول هذه المسألة على مستوى المقاربة بين مسألة الهوية الشخصية والاعتراف : فالتحول الديني ظاهرة الأكثر خصوصية وحميمة و الأكثر عمومية في الوقت ذاته لأن هذه الحميمية "intimité" تبحث عن رغبة في اعتراف .

إن التمييز بين العام والخاص حتى وان كان تطور طرحه في النظريات الغربية الحديثة إلا أنه لم يحسم في مسألة التحول الديني فيما يخص الرغبة في الاعتراف .

[1] Dictionnaire de la sociologie de la religion, P 191.

-السلبية والايجابية في فعل التحول :إن النمط السلبي(le mode passif) في تفسير ظاهرة التحولات الدينية يفترض أن هناك قوة تعلو الفرد وتجتاحه وهو يقف موقف الاستجابة للنداء الذي توجهه هذه القوة الخارجية فالتحول هنا يكون فعل سلبي خاضع إلى تصور شبه خيالي .

أما النمط الثاني فهو التحول الايجابي (le mode actif) فهو تحول مقنع وواضح فهو مرتبط بمسار تدريجي واعي و إرادي من طرف الفرد يحدد من خلاله هويته الشخصية والدينية .[1]

- هل التحول الديني حرية ؟ من أحد النقاشات وأعنفها التي طرحت في سياق تناول ظاهرة التحولات الدينية إشكالية مدى حرية الفرد في تغير الدين الذي يتقاسمه مع بقية أفراد مجتمعه فالتحول هنا يفترض أن الفرد يخرج عن عنصر من عناصر الإجماع السائد في مجتمع من المجتمعات وهو الانتماء الديني، وقد يكون الأمر أكثر حدت في المجتمعات أين يشكل الدين مصدر الشرعية السياسية و أساس البناء والتماسك الاجتماعي ، لكن في نفس الوقت مدى حرية الفرد في تغير الدين سؤال يعتبر بديهي بالنسبة لكل المجتمعات من وجهة نظر قانونية ، فالإعلان العالمي لحقوق الإنسان ينص في المادة 18 أن فعل التحول يعني "حرية تغيير الدين والاعتقاد "هو من بين حقوق الإنسان. لجنة حقوق الإنسان تنص في المادة 18.2 للاتفاق المرتبط بالحقوق المدنية والسياسية " لا يمكن لأي شخص أن يكون محل إكراه فيما يخص تقليص حريته في اعتناق دين أو معتقد من اختياره ". [2]

يمكننا إذا أن نتوقع وضعية مثالية إذا ما أخذنا بهذه القوانين بالطريقة التي عملت بها الديمقراطيات الليبرالية المعاصرة أين انجد الفصل بين المسائل الدينية و المكانة المرتبطة بحقوق المواطنة التي تجعل أن التحول من غير الوارد أن يكون محل اشكال في التنظيم اليومي للحوار الأخلاقي و السياسات العامة . ترتكز الديمقراطيات الليبرالية على الفصل بين الديني وبين القانوني– السياسي (فالردة) هي إذن ليست انحراف أو جريمة مند قرون، فهي حرية فردية مضمونة.

[1] Dictionnaire de la sociologie de la religion, Pris ,P 192.

[2] Jean-Cassien Biller, Op cit. sans pagination.

ثراء مفهوم التحول الديني يشكل صعوبة في التوصل إلى تعريف نظري جامع للمفهوم ، أو التوصل إلى منهج مطبق لدراسة الظاهرة ، هذا التعريف الذي يخضع إلى الزاوية التي يعالج من خلالها الموضوع حسب طبيعة التخصص بين علماء التاريخ ، اللاهوت، علماء الاجتماع الاثربولوجية و علماء النفس ، بل و وقد تصبح جدوى دراسة ظاهرة التحولات الدينية محل تشكيك من قبل بعض الباحثين كموضوع دراسة علمية .

إن صعوبة التوصل إلى إجماع بين الباحثين الذين اهتموا بدراسة الظاهرة في التوصل إلى تعريف موحد وجامع يظهر خصوصية مفهوم التحول الديني المرتبط من جهة أخرى بشكل وطبيعة بالرهانات الاجتماعية في سياقها الزماني والمكاني.

يثير اهتمامنا في هذا المجال أعمال علماء الاجتماع فلقد كشفت دراساتهم أنه في المجتمعات الغربية يمكن للأفراد أن يتحولون أكثر من مرة في مسار حياتهم و يكتسبون هويات متتابعة، فالفرد ففي هذه المجتمعات قد يفضل بناء تدريجي لهويته الشخصية والدينية .

3.1. تجربة التحول الديني من شهادات التحول :

تشهد حركات التحول الديني عن التغييرات الاجتماعية والسياسية التي تحدث في فضاء الذي تظهر فيه ، يشكل فعل التحول الديني نوع من الاحتجاج لهوية الفرد، أين نجد أن الانتماء الديني مرتبط بشكل حميمي بالوضعية السياسية ، تحت هذا العنوان نستدعي ما يعرف في الأدبيات السوسيولوجية الغربية التي تناولت الظاهرة التحولات الدينية بـ (la figure de converti) .

إن فعل التحول الديني مطبوع بالرهانات الهوياتية والصراعات الدينية التي تجتاح أي مجتمع من المجتمعات، ويشكل اليوم معلم من معالم العولمة التي عملت على تهيش أشكال التدين التقليدي ، في مقابل تطور الاحتمالات الفردية في توليف جملة من المعتقدات بالاستناد على المصادر المتوفرة لدى الفرد النابعة من تقاليد وتيارات دينية مستعارة لا ترتبط بالضرورة بانتماءاتها الاجتماعية خاصة في المجتمعات الغربية وهو ما أطلق عليه *Meintel* : (Un bricolage identitaire)[1] ، كنتيجة لهذه للتحليل فالتحول الديني بالنسبة للفرد لا يظهر كانتقال خاص وفردي للمعتقدات فقط ولكن أيضا تغييرات أكثر شمولية في الفهم الفردي للذات ولانتماء المتحول للجماعة فالمتحولون هم أفراد في بحث عن تكيف وذلك من خلال الاستناد إلى النصوص الدينية خاصة في المسيحية ، ولكن أيضا مع ما يتوافق مع قدراتهم الخاصة :

« التحول الديني هو تجربة روحية تبحث عن إطار مفاهيمي (conceptualisation) لاهوتي ملائم »[2]

---

[1] Géraldine Mossière**,** op cit .P20.

[2] Jean-Marie Donegani, L**es expressions du religieux dans la société Le religieux a «la carte » : une individualisation des pratiques et des croyances,** Revue Cahier français, n°340, P44.

إن هذا البعد في التعامل مع الظاهرة الدينية جعلت الدراسات الحالية فيما يخص ظاهرة التحولات تهتم بمسارات الأفراد ، التي تختلف باختلاف التجارب الدينية الخاصة و التالي تعتبر شهادات التحول كتقنية مستعملة لمقاربة الظاهرة و كشاهد عن اختلاف هذه التجارب.

يتم بناء شهادات التحول بشكل قصصي يعرض فيه التحول كفعل خاص، لكنه في الوقت نفسه يعرض بشكل متشابه بين مختلف شهادات التحول (stéréotype) وخاصة عندما نتحدث عن التحول في التقاليد المسيحية أين يعبر عنه بشكل أساسي من خلال شهادات التحول الديني .[1]

تعرض قصص التحول الديني على شكل قطيعة بيوغرافية جذرية في دورة حياة المتحول بين ما قبل وما بعد فعل التحول الذي يمثل بالنسبة للمتحول ميلاد بيولوجي جديد ، تبدأ قصص التحول في المسيحية عادة بوقت أزمة(une crise) يمر بها الفرد أي مستقبل متحول و تظهر أعراضها من خلال تغير في السلوك ، فمثلا قد تظهر الأزمة من خلال الإدمان على المخدرات ،السكر المفرط التشرد ، العنف والتي يحاول أن يجد لها الفرد حلول أو تفسير من خلال البحث "la quête" الذي يعتبر مطلب ديني ، إن هذه الانحرافات لا تؤخذ من جانب المتحول أو لا تؤول كأعراض للفوضى الاجتماعية أو كنتيجة للتخلي عن القيم المشتركة للجماعة في هذا السياق يشير السوسيولوجي Patrick Williams : أن المتحول في استدعائه لماضيه يقوم بعكس ما يقوم به عالم الاجتماع هذا ما يجعنا نقول أن المتحول يقدم نفسه من خلال شهادته كفاعل وليس كمريض ، هذه الاستقلالية التي يشعر بها المتحول تجعله يقدم ويطالب في نهاية مساره الشهادة باعتبار فعل تحوله كخيار حميمي و شخصي.[2]

وضع كل من (Charles E. Farhadian –Lewis R. Rambo) سبعة أوقات أو مراحل التي تمر بها عادة شهادات التحول الديني في المنطق القصصي للمتحول وهي :

1–السياق،2– الأزمة، 3– البحث ،4– اللقاء ،5 التفاعل ، 6– الالتزام، 7– النتائج.

[1] Géraldine , Massière Op cit ,P 23
[2] Christian, DECOBERT,OP .Cit . P 75.

يكتسب المتحول جدلية واعية ودائمة في بناء شهادة تحوله بطريقة مترابطة باستدعاء الأحداث التي شهدتها دورة حياته بالشكل الذي يجعل تحوله فعل شرعي وكان من الضروري أن يحدث وبالتالي فالمتحول يصبح يبحث عن معنى لتجربة التي مر بها يقنع به المتلقي لأنه - المتحول- يحمل شعور دائم في الحاجة للحديث عن تجربته . تحيلنا هذه الفكرة للحديث عن الطريقة التي يجب أن يتعامل بها المتلقي في استقبال شهادات التحول الديني : يشعر المتحول بحاجة في أن يكون مسموع ومرحب به و أن تحترم اختياراته ، لأن التحول يبحث دائما عن اعتراف عن طريق شهادة التحول التي تصبح في بعض الحالات كطقس للاندماج، في مقابل المتلقي الذي عادة ما يعتبر فعل التحول هذا كخيانة ، وبالتالي يكون هناك عدم فهم و حتى صراع مما يضع المتحول موضع التبرير والشرح .

إن كل قصة بيوغرافية ذاتية إلا وهي موجهة بالتحديد إلى قارئ أو متلقي . فمن يحكي قصة التحول هو نفسه فاعل أساسي في قصته يحتاج أن يكون مرحب به وأن يجد أذان صاغية ولكنه يحتاج كذلك أن يكون هناك صدى لقصته ، أي أنه يبحث عن التفاعل من طرف المتلقي و يزعجه الصمت الذي يقابله به – المتلقي– وهذا ما يسميه pineau بنموذج التحاور [1] ، خاصة عندما يحمل المتلقي نوع من الحكمة أو المعارف فيصبح اللقاء يشكل حالة من التناغم و وضعية مميزة للتحاور و تلاقي بين هذين الشخصين الذين يحملان معاني مختلفة، بشرط أن يسمح في هذا الحوار للعلاقات التبادل أن تلعب حسب ديناميكياتهم الجوهرية وليس حسب قواعد مستعارة.

[1]André,GIGUERE,(Se)racontersaconversion,consulté :http://www.ipastorale.ca/bibliovirtueelle/conversion/.pagiguere.htm9/2013. Sans pagination

هذا مثال عن شهادات التحول الديني في المسيحية ، يحاول المتحول أن يقدم من خلالها نفسه للآخر :

« من أنا ؟ أنا متحول ، هذا يعني : أني إنسان آخر عن الشخصية التي كانت في أول قصتي . ولكن كيف أصبحت شخص آخر ؟ ... لكن إذا أصبحت آخر من أنا إذا ؟ فلقد كنت غير وفي لما كنت عليه .كيف احترام ما أصبحت عليه؟ » فالمتحول يقدم نفسه وكأنه كان أعمى ، و الآن قد أبصر و افتح عينه : فمن خلال الرجوع إلى المسيح انزاح هذا الستار عنه.

تقدم قصة التحول عادة على شكل دعاية : " لقد كنت دائما غير راضي و الآن عندما عرفت تغير كل شيء ". يستطيع المتحول أن يقدم القصة من خلال استعارة بعض المصطلحات الدينية من قاموس الدين الذي تحول إليه ففي حالة التحول إلى مسيحية يقول المتحول مثلا : السيد(seigneur) ، روح القدس (sainte esprit) النعمة (la grâce) .[1]

[1] Jean-Cassien Biller, Op **. cit**. sans pagination.

2. فاعلون اجتماعيون جدد وعولمة الظاهرة الدينية ؛

1.2 .العولمة وظاهرة التحولات الدينية :

إن ما هو جديد في عصرنا كما لاحظ (JOSE Casanova)، الحضور المتزامن لكل الأديان وكل الأنساق الثقافية المنفصلة عن سياقها الزماني والمكاني ، والجاهزة للاقتناء من طرف المؤمنون الذين يدمجون عناصر دينية غريبة عن مجالها الثقافي الأصلي بفعل ظاهرة العولمة التي تعرض أفاق غير مسبوقة لنشر العالمي والفوري للرسائل الدينية.فالعولمة بذلك لم تهمش الديني ولكنها عملت على فصل الديني عن الثقافي وجعل الديني مستقلا .[1]

يقدم أوليفيه روا في تفسيره لارتباط العولمة بظاهرة التحولات الدينية نموذجين أو بالأحرى نظريتين أساسين:

- الأولى هي نظرية الثثاقف : تفترض هذه النظرية أن التحولات الدينية هي نتيجة لفرض طراز مهيمن يكون فيه المغلوب مدفوع لتبني العناصر الدينية للثقافة المهيمنة سواء كان بالقوة أو على نحو ألطف، ويكون ذلك بموجب تقهقر في هوية المغلوب الثقافية التي ترتد إلى طراز أصغر من الثقافة المهيمنة ، يتعامل المغلوب مع هذه الثقافة إما بالانصهار أو بالحفاظ على تدين بتغيير محتواه وذلك بإدراج نماذج الدين المهيمن .

يعطي" أوليفيه "مثال أنثربولوجي لتوضيح هذه "الهجانة" الدينية أو ما يسميه بالدين السطحي **:**إن هنود أمريكا الشمالية ينظرون إلى الكاهن الكاثوليكي أو إلى القس على أنهما المعادل الوظيفي للساحر أو العراف نظرا للمكانة التي يحضى بها كل منهما (الكاهن والعراف) في هذه المجتمعات ويطفون على الطقوس والعقائد المسيحية معاني تقليدية وبالتالي فهم يضمنون بقاء الثقافة المحلية الخاصة بهم مع استعارة الطلاء البراق لذي الغزاة .

[1] jean-François, MAYER ,**Les Courants religieux à l'horizon 2037 (religion entre mondialisation et individualisation, Religioscope,** N° 332, 2007, P 57.

إن عملية الثثاقف هذه تجعل من المعالم الدينية تابعة للمعالم الثقافية و هذا الشكل التوفيقي في الممارسات الدينية بالنسبة لمن يمارسونه لا يبدو كدين سطحي وإنما هو دين حقيقي ، و هذا التوفيق يلاحظه المراقب الخارجي للظاهرة .

- الثانية هي نظرية السوق الدينية : إن استخدام عبارة السوق الدينية مستوحى من قاموس علم الاقتصاد وهو على العموم استخدام مجازي أكثر مما هو مفهوم حقيقي . السوق الدينية هذه تفترض وجود فاعل فردي متحرر من الاكراهات الاجتماعية ،التاريخية العرقية،الثقافية والسياسية ما يتيح له الاختيار بمطلق الحرية المنتج الذي يناسبه ضمن عملية العرض و الطلب .[1]

تعتبر نظرية السوق الدينية الأحدث في تفسير ظاهرة التحولات الدينية تفترض هذه النظرية وجود حاجة دينية روحية لذي الأفراد و تلبى هذه الحاجة أو الطلب عن طريق العولمة التي طرحت سوقا دينيا عالميا ، وبالتالي فهناك مستهلكين يجدون أنفسهم أمام تشكيلة من المنتجات المتنوعة وسهلة المنال حيث ما وجدت في العالم وذلك بفعل تطور الفضاءات الافتراضية –الانترنيت ، القنوات التلفزيونية، الإذاعات– ، هذه الأخيرة التي تراعي عناصر تكيفها باستخدام لغات تسويق محلية أو لغات العولمة الكبرى وفي مقدمتها اللغة الانجليزية.[2]

[1] أوليفيه روا ، المرجع السابق، 2012 ، ص 233 .

[2] نفس المرجع ، ص 249.

1.2. الحركات الدينية الجديدة وظاهرة التحولات الدينية :

ترتبط العولمة الدينية اليوم بما يسمى بالحركات الدينية الجديدة (les nouveaux movements religieux) إن أول من استخدم هذا المفهوم هو السوسيولوجي البريطاني EILEEN BARKER للدلالة على مجموعة مختلفة من الوقائع السوسيو دينية التي تطورت في العقود الأخيرة تحت تأثير جماعات غير معروفة أخذت مكانة على الواجهة الدينية في المجتمعات الغربية وغير الغربية .

تحتفظ هذه الحركات بمجموعة من الخصائص، فهي في أغلب الأحيان ما فوق الحداثية على مستوى تنظيمها وتقنيات انتشارها ، إعطاء قيمة للتجربة فالأفراد مدعوون إلى التجربة أكثر من الإيمان في مجموعة من المعتقدات هذه التجربة تمنحهم الحكمة، الراحة والسعادة ، والشبكات التي تنسج من طرف هذه الحركات هي عالمية وتؤسس قيم ما فوق الوطنية كالخير والخلاص.

إن هشاشة المعتقدات وبساطة الممارسات ، و ميوعة الانتماءات التي تميز هذه الحركات تسهل التنقل والعبور من جماعة إلى أخرى .[1] تطور هذه الحركات نظرة توفيقية بين المتناقضات الكلاسيكية كالعلاقة بين الفرد والمجتمع والعالم الخارجي ، العلاقة بين الروحي والمادي .

يحدد (هاينريش فيلهم) خصائص الحركات الدينية الجديدة على الشكل التالي : « تعتبر هذه الحركات من ناحية رد فعل على أزمات، ومن ناحية أخرى تتصرف بطريقة تتواءم مع الإمكانات والضغوط " الفرص والقيود »[2]

---

[1] JEAN-PAUL, WILLAIME, **Sociologie des religions**, Ed PUF, paris, 2005 , P 64.

[2] هاينريش فيلهم ،صراع الأصوليات ،(التطرف المسيحي التطرف الإسلامي و الحداثة الأوروبية)، ترجمة :صلاح هلال ، الطبعة الأولى 2012 ، ص 22.

تعتمد الحركات الدينية الجديدة لتعبئة أعضائها بدرجة كبيرة على التأويل ذي مغزى لظروف الحياة وهذا ما يسري بالدرجة الأولى على مواقف الأزمات. و من الأمور المساعدة على التعبئة بصفة خاصة "الحرمان النسبي" :أي خبرة أنه بالمقارنة مع الأشخاص الآخرين فان الفرص والتوقعات المستقبلية الخاصة بهم محجوبة وأن الانحدار الذي يتهدد البعض لا يمكن إيقافه. تعمل تلك التأويلات الدينية مثل خبرات الحرمان تلك غالبا على إبراز فتعمد إلى استخدام تصورات دينية للزمن – مثل نهاية العالم – منطقا للتعبئة .[1]

من أهم الحركات وأبرزها على الساحة العالمي الحركة الخمسينية الكاريزماتية (Pentecôtisme charismatique) التي تحض بانتشار وتوسع عالمي في المائة سنة الأخيرة حيث سجلت كأول ديانة عالمية ومحلية وهي فرع نشط من المسيحية الانجيلية البروتستنتينية. [2] تأخذ هذه الحركة إسمها من الكلمة اليونانية charis التي تعني "نعمة" و كلمة mata التي تعني "مواهب". إذاً (Charismata) تعني مواهب النعمة ، وهي تؤكد على إظهار مواهب الروح القدس. هذه المواهب تعرف أيضاً بأنها المواهب الروحية الكتابية . من المواهب البارزة التكلم بألسنة والنبوة (guérison, prophétie, glossolalie). يؤمن الكاريزماتيين أن إظهارات الروح التي أعطية للمؤمنين في القرن الأول ما زال يمكن اختبارها وممارستها اليوم بالنسبة لكل مؤمن يفتح قلبه للمسيح. هذا الشكل من الإيمان العاطفي الانفعالي ترجع جذوره إلى نهضة عام 1960 تحت رعاية الكنيسة الميثودية و المعمدانية [3] نشوء هذه الحركة كان متزامن في الولايات المتحدة الأمريكية (خاصة عند السود) ، الشيلى ،البرازيل ،جنوب إفريقيا الهند ...الخ .

---

[1] نفس المرجع السابق ، ص 22.

[2] MAYER, Jean-François, op cit , P 5.

[3] **الميثودية : هي حركة دينية مسيحية منحدرة من حركة الصحوة داخل الكنيسة الانجليكانية بفعل تأثير الأخوين "شارل وجون ويسلي" ، والميثودية نسبة إلى أتباع المنهج الحقيقي الذي وضعه الأخوين. تأكد هذه الحركة على حرية الإنسان في مقابل الكالفنية الجبرية ، يقدر أتباعها في العالم حوالي 50 مليون نسمة أما الكنيسة المعمدانية : وهو اسم يطلق على الكنائس البروتستنتينية الأصولية التي تعمد الراشدين بالتغطيس الكامل بعد المجاهرة بالعقيدة الدينية وتسمى كذلك بالكنيسة المعترفين لا تؤمن إلا بسلطة الكتاب المقدس والمسيح . يشكل المعمدانيون أهم طائفة تقوم بنشاط تبشيري في الولايات المتحدة .**

تميل هذه الحركة إلى الامتناع السياسي ورفض المشاركة في الحياة العامة مستندة في ذلك إلى قاعدة وهي «الكنيسة ليست من هذا العالم » وبالتالي فهم يضعون أنفسهم في الجانب المقابل ،تسمى هذه الوضعية بالإضراب الاجتماعي حسب تعبير Lalive d'Épinay أحد المختصين في دراسة الحركة الخمسينية لكن مع بداية الثمانينات بدأ الخميسيون يدخلون في الحياة السياسة (على الأقل من خلال وزراء الدينيون الدين انفتحوا على السياسة) ومع 1990 شهدت هذه الحركة قفزة نوعية على مستوى العقيدة فيما يعرف الخمسينية الجديدة ظهر هذا التجديد في النقاط التالية : التأكيد على الشفاء الرباني الحرب الروحي ، و لاهوتية النجاح.[1]

[1] André,Corten, **LA SOCIÉTÉ CIVILE EN QUESTION : PENTECÔTISME ET DÉMOCRATIE**, Revue Tiers Monde (En ligne) 2005/1 - n° 181http://www.cairn.info/revue-tiers-monde-2005-1-page-167.htm

يقدم مركز الدراسات الدينية العالمي (Religioscope) ضمن قراءة استشرافية لمستقبل الأديان في أفق 2037 بهدف تتبع تطور الأديان عبر العالم ، الحضور العددي المتوقع لأتباع الحركة الخمسينية في المستقبل ضمن دراسة توقعية قام بها BARRETT David.(أنظر الجدول رقم 1)

الجدول رقم 1 – الحضور العددي للأديان الأساسية في العالم

السنوات / الديانة	1900		2000		2025		2050	
	العدد بالملايين	%	العدد بالملايين	%	العدد بالملايين	%	العدد بالملايين	%
المسيحيين	558	34.5	1999	33	2616	33.4	3051	34.2
الكاثوليك	266	16.4	1057	17.5	1361	17.4	1564	17.6
البروتستانت	103	6.4	319	5.3	468	6	574	6.4
لأورثودكس	115	7.1	215	3.6	252	3.2	266	3
الخمسنيون	**0.9**	**0.1**	**523**	**8.6**	**811**	**10.4**	**1066**	**12**
المسلمون	199	12.3	1188	19.6	1784	22.8	2229	25
السنة	172	10.3	1002	16.5	1467	18.8	1767	19.8
الشيعة	26	1.6	170	2.8	286	3.7	410	4.6
الهندوس	203	12.5	811	13.4	1094	13.4	1175	13.2
البودية	127	7.8	359	5.9	418	5.3	424	4.8
اليهود	11	0.7	14	0.2	16	0.2	16	0.2
سكان العالم	6055	100	6055	100	7823	100	8909	100

المصدر : JEAN-PAUL WILLAIME, Sociologie des religions ,P 59

2. 3. الحركة الانجيلية وانتشارها العالمي :

2. 3. 1.البنية العقائدية للطائفة الانجيلية :

إن الإطار العام الذي يحكم الديانة المسيحية بجميع طوائفها قديما وحديثا هو التمرجع إلى الكتاب المقدس Evangile وعليه فكل مسيحي هو انجيلي مبدئيا ، لكن مفهوم الانجيلية هذا أخد تدريجيا معنى آخر يرجع تاريخيا إلى حركة الإصلاح البروتستانتي التي تمت في أوروبا القرن السادس عشر على يد "مارتن لوثر" الذي توصل من خلال دراسته وتدريسه (للكتاب المقدس) وتحديدا رسالة رومية (إحدى رسائل العهد الجديد) حقيقة هامة في الفكر المسيحي التي صارت ومازالت أساس الإصلاح أو ما يعرف بالفكر اللاهوتي المصلح الانجيلي وهي حقيقة الخلاص بالأيمان وليس بالأعمال وان كانت الأعمال ثمرا من نتيجة الخلاص بالأيمان . عرفت هذه العقيدة التي أسستها حركة الإصلاح بعقيدة "التبرير بالإيمان" وصارت هذه الحقيقة محورا في تشكيل فكر لوثر وزعماء حركة الإصلاح وعليه انتفض على الكنيسة الكاثوليكية .[1]

في 31 أكتوبر 1517 علق مارتن على باب كنيسة القلعة في "وتنبرخ " وثيقة تتضمن 95 بندا يعترض فيها على بعض ممارسات التي كانت تقوم بها الكنيسة في أيامه ، منها بيع صكوك الغفران ، الاعتراف على يد الكاهن ، و سلطة البابا التي كانت تتيح له التدخل السياسي في شؤون الدولة والحكم . قد مثلت هذه الآراء تحديا قويا لسلطات الكنيسة والبابا في ذلك الوقت ، كان في هذا مراجعة لدور الكنيسة في الوساطة بين الله و الإنسان ولاسيما أن لوثر أضاف إلى الدعوة الأساسية بالرجوع إلى الكتاب المقدس أهمية رفض احتكار رجال الدين تفسير الكتاب المقدس دون سائر البشر بصورة عامة .

[1]اكرام لمعي وآخرون ، مفهوم الأخر في اليهودية والمسيحية ، دار الفكر ، دمشق ، 2008 ،ص 187.

يمكن تحديد الأسس العقائدية للطائفة الانجيلية في أربع نقاط أساسية وهي في نفس الوقت الخصائص التي تميز التيار الانجيلي على غيره ، وذلك حسب ما جاء به المؤرخ (David Bebbington) :

- الالتزام بالكتاب المقدس Biblicism : ترى الكنيسة الانجيلية أن (الكتاب المقدس) هو الدستور الوحيد المعصوم للإيمان والأعمال، وأن لكل مؤمن الحق في تفسيره، وذلك خلافا للكنائس التقليدية التي تؤمن بأن طبقة رجال الدين هم وحدهم الذين يملكون حق تفسير الكتاب. [1]
- تعطي الكنيسة الانجيلية "الكتاب المقدس " وحده السلطة العليا للإيمان والأعمال ، خلافا للكنائس التقليدية التي تؤمن بالتقليد والمقصود به كتابات الآباء وسير القديسين كسلطة معاونة لسلطة الكتاب المقدس ، وتؤمن الكنيسة الانجيلية بأن الكتاب المقدس هو سجل لإعلان الله عن نفسه ، وموضوعه الأساسي هو" الخلاص " الذي يقدمه الله بنعمته للإنسان .

تؤمن الكنيسة الإصلاحية، بأن الكتاب المقدس لم يقصد به أن يكون مرجعا علميا أو كتاب أدبيا أو فلسفيا، بل انه سجل تطور علاقة الإنسان بالله من خلال إعلان الله ذاته للإنسان بالوحي المقدس و الأنبياء والرسل ، انتهاء بالسيد المسيح الذي يعتبرونه الإعلان النهائي لله " كلمة الله" وسبيل وصول الإنسان لفهم الله والعلاقة معه .[2]

- عقيدة الصلب Le crucicentrisme : يرجع هذا المبدأ الأساسي في العقيدة الانجيلية إلى مفهوم "الصليب" النقطة المحورية في تاريخ الفكر المسيحي ،التي تعتقد أن" السيد المسيح " الذي من المفروض أنه في العقيدة ذاتها (ابن الله) ضحى بنفسه على الصليب ليمنح " الخلاص" للبشرية على شكل المعادلة التالية : الإنسان ارتكب الخطيئة وعصى أمر الله ولأن الله قدوس فعاقب بني الإنسان بإنزاله إلى الأرض و لأنه عادل في نفس الوقت فأراد أن يغفر للإنسان ويكون ذلك عن طريق الإنسان نفسه ، لكن كيف يكون ذلك ؟ !

---

[1] نفس المرجع ص 188.

[2] Universalise Religion , Ed Elisabeth GRAF , 2010,P 317.

إن الإنسان موصوم بالخطيئة ، فيجب أن يكون هذا المصلح للعلاقة بين الإنسان والله مبرأ من الخطيئة وعلى هذا الأساس كان "السيد المسيح " الذي يكتسي في العقيدة المسيحية الطابع الثنائي فهو 100% إنسان و 100 % الاه فهو قدوس إذن يستطيع أن يخلص الإنسان من خطيئته وهو في نفس الوقت بشر يحس بما يحس به الإنسان فالذنب كان من الإنسان فالخلاص جاء عن طريق الإنسان .[1]

- التحول الديني La conversion : تعرف العقيدة الانجيلية كإعادة توجيه كلي وجدري لتواجد الإنسان ، هذا التوجيه يكون تابعة لتجربة دينية إما فجائية أو تدريجية عن طريق اللقاء مع "المسيح" هذا اللقاء الذي يكون في ثلاثة مراحل متتابعة وهي **التوبة ،الإيمان ، الخضوع**. إن الهوية الدينية بهذا المعنى عند الطائفة الانجيلية غير موروثة وغير مرتبطة بالمكان ولكنها تنبع من الخيارات الفردية ترافقت هذه الخاصية مع تطور المجتمعات الحديثة المبنية على أساس الفردنة (individualisation) وهذا ما يفسر الانتشار السريع للحركة في هذه المجتمعات تحديدا.[2]
- الإلزامية العقائدية للنشاط التبشيري ويسمى في التقاليد الانجيلية L'activisme évangélique يعتقد الانجيليون أن كل متحول " converti " هو عون مبشر و داعية للأشخاص الذين لم يلمسهم المسيح والذي يدفعهم نحوى اعتناق عقيدة الخلاص التي نالها فكل متحول انجيلي هو مستقبل متحول انجيلي أخر .

إن هذا الاعتقاد ساعد بشكل أساسي في تطور الحركة الانجيلية على المستوى العالمي فهي تقدر اليوم بين 400 مليون إلى 500 مليون منخرط مما يطرح إشكالية انتقال المعتقدات من الفضاء الخاص إلى الفضاء العام عن طريق الاعتقاد في النشاط التبشيري .[3]

[1] **إن هذا الشرح لعقيدة الصلب هو أول ما ثم شرحه لنا عند أول دخول إلى الكنيسة من قبل القس القائم على كنيسة الانجيلية بوهران.**

[2] UNIVERSALIS Religion, P317.

[3] Ibid. P318.

أما على مستوى الفرائض و الطقوس فلا تؤمن الكنيسة الانجيلية إلا بفريضتين هما : المعمودية والعشاء الرباني أما الفريضة الأولى فهي إعلان انضمام الشخص إلى جماعة المؤمنين و إشهار الإيمان وتتم إما بالرش أو السكب أو التغطيس . أما العشاء الرباني والذي فيه يسكب الخبز ويشرب الخمر من قبل جماعة المؤمنين بعد مباركة القس له وهو عبارة عن تذكار للعشاء الرباني الأخير الذي تناوله السيد المسيح مع تلاميذه قبل الصلب حسب العقيدة المسيحية ."[1]

2. 3. 2. إستراتيجية الانتشار العالمي للحركة الانجيلية :

بعد انهيار الاتحاد السوفياتي أضحت الولايات المتحدة الأمريكية القوى العظمى الوحيدة في عالم يزداد تقلصا . و مع التنامي التداخل ووسائل الاتصال و العولمة في مجالات السياسة و الأمن الاقتصاد و تبادل المعلومات و الثقافة ، و نظرا إلى الدور الولايات المتحدة المركزي في معظم هذه المجالات بات من الصعوبة التمييز بين الحد الذي ينتهي عنده النفوذ الأمريكي و الحد الذي تبدأ معه العولمة .[2]

فسواء كانت العولمة مجرد شكل من أشكال الأمركة العالمية أم ظاهرة مستقلة في ذاتها فهي بالنظر إلى المعطيات العالمية الراهنة تخدم انتشار نموج حضاري يسعى إلى فرض قيمه الثقافية والدينية . بالاستناد على إدراك ذاتي قائم على فكرة الاصطفاء الرباني المسيحي للولايات المتحدة الأمريكية (النموذج الأمريكي) من خلال النبوءات المستنبطة بالقراءة النصية(للكتاب المقدس) ، أو ما يعرف بالاستثنائية الأمريكية (John Winthrop) من أهم القادة الدينيين الذين صاغوا هذه الفكرة) هذا الكيان السياسي المولود من العدم ببركة من الرب- مع التغاضي على حقيقة مفادها أن إعداد هذا الكيان تطلب أولا إبادة الشعوب الأصلية في القارة- بنى مؤسساته الحداثية بشكل يختلف نوعيا عن الحداثة في أوروبا التي أعادة صياغة و تجديد المؤسسات القائمة أو عن طريق فرض هذه الحداثة من الخارج كما حدث في الدول الإسلامية.

[1] **لقد كانت لنا فرصة حضور هذه الطقوس أكثر من مرة ، ومرافقة الحضور في إحياء لطقس العشاء الرباني الذي يتناوله إلا من كان مؤمن "مسيحي " ويعمل وفق وصايا المسيح و إلا سوف يكون عليه حجة يوم اللقاء مع السيد المسيح .**

[2] يسين السيد و آخرون ، العرب و العولمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ،2001 ، ص209.

إن الحداثة في الولايات المتحدة الأمريكية نشأت ككيان ثوري ديني جمعي : صهيون المدينة فوق التل(إن الأمة بالنسبة للمواطنين الثورة الناجحة التي أصبحت بمثابة صورة لليوطوبيا وكأنها "أورشليم" القدس" الجديدة أو نور الشعوب استنادا إلى تصورات العهد القديم عن حج الشعوب إلى صهيون والتفسير الحديث لتلك النبوءة انطلاقا من القدس السماوية في آخر الزمان) و على أساس تراث ديني إصلاحي حر بروتستنتي في ظل فصل مؤسسي بين الدولة والكنيسة .[1]

فرضية الاصطفاء التي تحرك الولايات المتحدة الأمريكية ، وتفردها من أقدم القناعات الدينية السياسية، ويتولد عنها نظرة سلبية للخارج .ففي الداخل توجد المسيحية الحقة ، أما في الخارج فهناك شيء أخر ربما يكون ذلك الشيء العلمانية أو الإلحاد أو أديان أخرى وعلى أي حال فان هذه الأشياء ليست مصطفات من الرب وليست أمريكية .

يؤسس الخطاب سياسي الأمريكي على خلاف أوروبا على هذه الخلفية الدينية . ينتج هذا الفكر الديني ما يسمى (بالطابع الأمريكي) الذي يربط بين الأمة و الرب، وينتج كذلك (نظرية توسع أمريكا بتكليف من الرب). يقول (بات روبرتسون) وهو مؤلف البيان المعروف (النظام العالمي الجديد) والذي أوضح فيه دور الولايات المتحدة قائلا « لن يكون هناك أي سلام عالمي قبل أن يتولى بيت الله وشعب الله دورهم القيادي في زعامة العالم... ».[2] إن هذه الهالة من المعتقدات الدينية والنظيرات السياسية جعلت من الولايات المتحدة أول بلد يحمل على عاتقه نشر المسيحية "الحقيقية " في العالم .

- النافدة 40/10 : سنة بعد أحداث 11سبتمبر يستفيد الرئيس الأمريكي(G.W. Buch) من حالة الصدمة الوطنية ، لإصدار مرسوم قانون يسمح بإقامة بالقرب من الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية مكتب البيت الأبيض للمساعدات الخاصة بالمنظمات الخيرية ، المرتبطة بالجماعات الدينية ، وكان

[1]هاينريش فيلهم شيفر، المرجع السابق ،ص81 .

[2] زينب عبد العزيز ،المرجع السابق ،ص 9.

لأغلب هذه الجماعات الدينية التي تم تمويلها أهداف تبشيرية ، وقيادة حرب من أجل الأرواح للدخول في هذه الحرب، فالمبشرين ليسوا بحاجة إلى أفكار جديدة و إنما إلى تقنيات جديدة.

تقول(Pat Gustin) مديرة مؤسسة التبشير العالمية للكنيسة السبتية : « إن النوافذ لطالما أثارت اهتمامي (...)، تكون مفتوحة في بعض الحالات، مرحبة، وفي حالات أخرى مغلقة تتركنا في الخارج. لكن يجب أن نضع في الحسبان أن خلف هذه النوافذ يعيش ملايين الأشخاص مبعثرون في ملايين المنازل في عشرات البلدان، هم أشخاص مثلنا لديهم منازل وعائلات، أفراح وأحزان،أشخاص مثلنا في حاجة إلى الرب ، و لكن عندما يطلون من نوافذهم لا يستطيعوا رؤيته، فهم لا يعرفون شعور الفرح بالخلاص. فيجب علينا طرح السؤال ، ماذا يمكننا أن نفعل حتى نساعدهم ؟ »[1]

إن جزء من العالم الذي يمتد من ايفريقيا الشمالية (و ايفريقيا الغربية) إلى غاية الشرق الأقصى مرورا بالشرق الأوسط الهند والصين ، أطلق المخططون الانجيليون على هذا الجزء من الكرة الأرضية تسمية مثيرة للتعجب : النافدة 40/10 (10/40 Windows) لماذا 40/10 ؟ ولماذا نافدة ؟ إذا نظرنا إلى الكرة الأرضية الشكل الذي يأخذه هذا الجزء من العالم محدد هندسيا على شكل مستطيل الذي يبدأ من 10 إلى 40 موازي لخط الاستواء، أما تسمية نافدة له علاقة بفتح ما هو مقفل عن طريق التبشير تحت شعار "العمل على التأثير في هذه الشعوب عن طريق الإنجيل".

يمكننا ملاحظة تناقض صارخ في نفس الخطاب الانجيلي بين ما قالته Gustin أن هذا الجزء من العالم وتقصد به شعوب النافدة هم الأكثر احترام للروحانيات لأن هذا الجزء من العالم مكان ازدياد كل الأديان (اليهودية ،المسيحية،الهندوسية،البوذية ،الإسلام) وبين الخطاب السابق أن هذا الجزء من العالم مملكة الشيطان والفقر الروحي!

[1] Salah, GUMRICHE, **LE CHRISTE S'EST ARRETE A TIZI-OUZOU**, Éditions, Denoël, 2011, P256 .

(Window International Network) هي منظمة انجيلية تنطلق من أطروحة " الالتزام التبشيري" بالاستناد على نصوص دينية مستوحاة من الإنجيل تأسست هذه المنظمة في 1999 أهدافها الأساسية : مهمة الإعلام ، تجهيز وتعبئة كل شبكات الصلاة للعالم من أجل التبشير ، إنشاء الكنائس وتسجيل متحولون جدد في النافدة 10/ 40 . تنشط هذه المنظمة عن طريق الشراكة التي تربطها مع الكثير من التنظيمات ذات الأبعاد الإنسانية من بين هذه التنظيمات (Branche Française portes ouvertes) تأسست هذه المنظمة في 1976 و تنشط بشكل مثير للانتباه في المغرب الأقصى ولا تخفي عملها التبشيري «... نحن لا نكتفي أن نوجه أصابعنا وأن نكتب تقارير حول الظلم ، نحن موجودون في الميدان توجهنا إلى العائلات التي تعيش الضيق و أعطينا لكل واحدة منها الأمل ولقد قمن بتكوين أباء الكنيسة والمسيحيون الذين انخرطوا في الكنيسة نحن نلازم المجروحون حتى يستطيعوا الحفاظ على إيمانهم والدعوة إلى الإنجيل لكيد الأعداء»[1] . بحسب هذه المنظمة أن هناك 43 من 50 دولة في العالم يلاقي فيها المسيحيون اضطهاد ، و أكثرهم موجودون في داخل هذه النافدة 40/10.

يرتبط اليوم العمل التبشيري العالمي بالمنظمات الانجيلية غير الرسمية (ONG) التي ظهرت في أوروبا وتطورت في الولايات المتحدة الأمريكية والتي تسجل مند سنوات السبعينات تقدما ملحوظ . يرجع هذا التفوق إلى الثقل الديمغرافي و الاقتصادي للعناصر الانجيلية الأمريكية النشطة الذي يقترب من نصف سكان البلد . يشرح هذا التطور من خلال مبررات مختلفة، داخلية و خارجية : التشكل الذي كان نوعا ما بطيء في داخل دوائر البروتستنتينية الانجيلية للوعي الاجتماعي شكل قوة داخلية حقيقية . أما على المستوى العالمي يظهر من خلال ما أفرزته الحرب الباردة و من خلال الصراع الذي استمر فيما بعد 1945 مع الاتحاد السوفيتي ، فالانجيليون كانوا في أوج الاستعداد للحرب باستعمال وسائل الدفاع الإيديولوجية واللاهوتية في الصراع بين الخير والشر المسيح و المسيح الكذاب Antichrist، ثم توحل الولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك في حرب الفيتنام وفيما بعد ما يعرف بقضية Watergate ، يفسر هذا السياق الصعود القوي للأعمال

---

[1] Salah , GUMRICHE, Op cit,P 258.

اللانسانية والخيرية مند أكثر ثلاثين سنة.[1](world vision) منظمة غير رسمية إنسانية انجيلية ، تأسست في 1950 من طرف المبشر (Pierce Bob) و مابين سنوات (1914–1976) ارتفعت ميزانيتها بشكل تقريبا مضاعف. هذا التطور لم يتراجع في نهاية الحرب الباردة إذ انتقل إلى 348 مليار دولار ليزداد بحوالي 553 في 2002 ثم إلى ميزانية غير مسبوقة بحوالي 686 مليار دولار 2003. الميزانية الظاهرة لهذه المنظمات تصرف لإغراض إنسانية طموحة تمس مجالات متعددة. نذكر من بين هذه المنظمات Habitat for Humanity ، التي تضع نفسها بين العمل الإنساني في حالة الأزمات و العمل على المدى الطويل ، هذه المنظمة الانجيلية غير الرسمية تأسست من طرف(Fuller Milliard& Linda) تجاوزت 1976 في سنة 2003 حوالي 150000 مسكن تم إنشائها من طرف المتطوعون في تاجا كيستان، بوليفيا مرورا بكينيا و رومانيا ، دورها هو إنشاء الهياكل القاعدية من السلالم إلى المجمعات السكنية والقضاء على المساكن الهشة والفقيرة و الأشخاص بدون مساكن على وجه الأرض.

إن هذه العروض الإنسانية للمنظمات غير الحكومية الأمريكية خاصة ، لا يربطها فكر علماني كما يمكننا أن نلاحظه في أوروبا و إنما تحركها خلفيات ديني[2] . يعتمد كذلك النشاط التبشيري للولايات المتحدة الأمريكية على الدعم والتمويل المالي للقنوات الفضائية والإذاعية نذكر منها :راديو المحبة ، قناة شمال إفريقيا CNA ، قناة المعجزة ، قناة LIFE –TV ، هذا النشاط التبشيري لا تحركه أهداف دينية و إنما إيجاد ثغرات الفوضى في البلدان العربية بهدف زعزعة استقرارها وإضعافها، من أجل افتعال مصطنع لصراع الحضارات المخطط له مند 11 سبتمبر في تشويه الإسلام . إن هذا النشاط يسجل في إطار سياسة الولايات المتحدة الذي يعمل على إعادة تشكيل الشرق الأوسط الكبير .[3]

---

[1] SEBASTIE, FATH, **Les ONG évangéliques Américaines,** revue science humaines N° 155,2004, P 20.

[2]Ibid , 21

[3]**للإطلاع الكامل على أطروحة جمال الدين بن شنوف في انتشار الحركة الانجيلية في الجزائر ارجع إلى الموقع التالي :**

D. Benchenouf, sur le site de tahia bladi , consultè 15/10/2013

3. 4.الحركة الانجيلية في الجزائر :

تمس ظاهرة التبشير الديني الانجيلي اليوم الإسلام أين ما وجد ، و الإسلام في الدولة العربية على وجه التحديد . تعبئ لهذه المهمة منظمات انجيلية توجه نشاطها بشكل منظم إلى هذه الدول فنجد مثلا :(Minister èvangélique parmi les nation arabophones) ،

(ex- North Africa Mission) ، (Arabe World Miniséries) ، وسعت هذه الأخيرة نشاطاتها في الشرق الأوسط منذ 1980 وهي لا تخفي أطماعها التبشيرية في الدول العربية : « إننا نبحث مع مساعدة الله للوصول إلى المسلمين في العالم العربي ، هنا أين يمكن أن نجدهم من خلال إرسال رجال ونساء مسخرون حتى يدعون بعضهم البعض ، وذلك سعيا إلى تشجيع الكنائس المحلية وإعادة ترتيبها من جديد ، هنا أين تغيب.»[1]

لم تفلت الجزائر من الموجة الانجيلية الجديدة néo-évangéliques ، كغيرها من دول المغرب العربي ، ايفريقيا و أمريكا الجنوبيتين ، بحيث أصبح يعرف المشهد الديني تحولات لا تسجل لصالح الكنيسة الكاثوليكية وإنما إلى كنائس بروتستنتينية انجيلية ليس لها تقليد تاريخي في الجزائر . ظهرت هذه الكنائس في مرحلة الاستقلال في إطار سياسة التعاون الدولي من خلال مجموعة من المبشرين البروتستانت الذين جاءوا إلى الجزائر كمعلمين، تقنين، مهندسين و أطباء و الذين مارسوا الدعوة و التبشير بشكل سري للغاية في 1970- 1980 انظم إليهم وطنيون ساخطون .كما استفاد بعض المتحولون في هذه المرحلة من تكوين لاهوتي على مستوى رفيع بالاشتراك والربط مع الكنائس البروتستنتينية الفرنسية .[2]

---

[1] Salah, GUMRICHE, Op. cit, P156.

[2] Karima Dirèche, « **Évangélisation en Algérie : débats sur la liberté de culte** », L'Année du Maghreb,V |2009[Enligne],URL :http://anneemaghreb.revues.org/596 ;DOI :10.4000/anneemaghreb. Haut du formulaire , consulté le 03 novembre 2013.

ارتبط انتشار و توسع الحركة الانجيلية في الجزائر حسب أطروحة التي قدمها (جمال الدين بن شنوف) بالظروف التي مرت بها الجزائر مع 1993 في أوج الصراع المسلح ، الذي دخلت فيه السلطة مع الجماعات الإسلامية ، هذا الصراع الذي ألقي بثقله في المجتمع أنذلك ، مما شكل فرصة مواتية لاتساع نشاط الانجيليون خاصة في منطقة القبائل . هذا النشاط الذي تقف ورائهم الولايات المتحدة الأمريكية بأجهزتها الحكومية وغير الحكومية شهد مع العشرية السوداء انتشارا في الوقت الذي تكبدت فيه الكنيسة الكاثوليكية خسائر ثقيلة وهو ما يشكل حسب " بن شنوف " نقطة استفهام كبيرة .[1] الربط نفسه نجده عند الباحثة الجامعية كريمة ديرش سليماني عندما قدمت قراءتها لأكبر حملتين للتحول الديني في القرن 19 و التي صاحبهما عنف سياسي و إيديولوجي كبير الأولى لصالح الكنيسة الكاثوليكية أين شهدت الجزائر حرب تحررية و الثانية لصالح الكنيسة الانجيلية ، في وقت شهدت فيه الجزائر حرب أهلية.

الرواية التي يقدمها القائمين على الكنيسة الانجيلية في هذا الصدد تستند على خطاب ديني يربط ظهور النواة الأولى من المؤمنين المسيحيين الانجيليين في الجزائر بمنطقة القبائل في سنوات الثمانينات والتي يسميها أباء الكنيسة بالنهضة "le réveil" ، هذه النهضة ارتبطت بحادثة لا تخلو من المعجزات حسب الخطاب الانجيلي إن رواية المبحوث " صالح" (40 سنة) وهو راعي في الكنيسة الانجيلية تجمل رؤية المسيحيين - المبحوثين - حول تاريخ ظهور الكنيسة الانجيلية في الجزائر ، وهي على النحو التالي :

[...بدأت المسيحية في الجزائر سنة 1981 في آيت بوادوا– أحد بلديات دائرة ايواضيا ،منطقة القبائل تيزي وزو– مع فريق كرة قدم يتكون من 8 لاعبين. في مرة كان أحد أعضاء الفريق مريض بالحمى فأتى مؤمن مسيحي أجنبي كان يقضي عطلته في جبال جرجرة وقال للمريض تعالى معي أعطيك دواء لتذهب عنك الحمى .فذهب معهاللاعب الذي كان ملحد ، فخيره بين أن يعطيه قرص من الدواء أو يصلي عليه حتى يشفى، و لأن اللاعب كان ملحد فأخذ الأمر باستهزاء وقال لا صلي عليا لننظر ، وبالفعل بعدها شفي اللاعب ولعب في نفس

[1] للإطلاع على أطروحة جمال الدين بن شنوف ارجع إلى الموقع التالي:

D. Benchenouf, sur le site de tahia bladi , consultè 15/10/2013

اليوم مع زملائه ، الذين استغربوا قصة شفائه وسئلوا المسيحي عن سبب الشفاء، فقال لهم أنا لم أفعل سوى أني صليت عليه. لقد آمن بعد هذه الحادثة كل أعضاء الفريق لكنهم لم يعلنوا إيمانهم في المرحلة الأولى خوفا من ردود أفعال عائلاتهم، وبفضل هؤلاء انتشرت المسيحية في منطقة القبائل،كان هذا الفريق يذهب إلى العاصمة. تفرق هذا الفريق فيما بعد،كلا في عمله وكلا في منطقته وعملوا على نشر المسيحية في الجزائر.] [1]

أما فيما يخص تقدير حجم انتشار الحركة الانجيلية في الجزائر يبقى دائما محل جدل خاصة وأن الأرقام المتوفرة إلى حد الآن تبدو متضاربة إلى حد بعيد ، بين تصريحات السيد "مصطفى كريم " رئيس " EPA " وهو الممثل الرسمي للكنائس البروتستنتينية في الجزائر ، وبين الخطاب الرسمي "وزارة الشؤون الدينية " الذي يقدم تقديرات مغايرة تماما . فحسب السيد "مصطفى كريم " يوجد إجمالا حوالي 100.000 متحول ديني انجيلي جديد ، وهو العدد الذي تتحفظ عليه الجهات الرسمية التي تقدر عدد المسيحيون الجزائريون بحوالي 1100 .[2]

إن إعطاء أرقام مضبوطة عن عدد المسيحيون الانجيليون الجزائريون يبقى دائما محل تحفظ على جميع المستويات ، فالمقابلات التي أجريناها مع أباء الكنيسة الانجيلية في منطقة القبائل لم نحصل من خلالها على تصريحات فيما يخص عدد المسيحيون ويكتفي آباء الكنيسة بالحديث عن عدد الأوفياء الذين يترددون على الكنيسة أيام الصلاة التي تكون عادة يوم عطلة (الثلاثاء، الجمعة ، السبت) . نذكر في هذا الصدد ما أدلى به السيد "جيلالي" (أوائل الأربعينات) أحد القائمين على الكنيسة الانجيلية بايواضيا:[**...لا يوجد لدينا عدد المسيحيين بشكل مضبوط، أما عدد المعمدين فلا يمكن أن أمدكم بالعدد لأن الوثيقة تعتبر خاصة بالكنيسة "une pièce interne"...لكن عموما عدد المسيحيين الحقيقي أكثر من المرئي بكثير... .**][3]

تشكل الإحصائيات الغائب الأكبر في موضوع التحول الديني الانجيلي في الجزائر كما أسلفنا القول وهذا يمكن إرجاعه كقراءة أولية إلى طبيعة العقيدة الانجيلية التي لا تعترف بقداسة الأماكن

---

[1] المقابلة رقم 06 تمت بتاريخ 17/07/ 2012 ، بمقر الكنيسة الانجيلية بوهران .

[2] Salah, GUEMRICHE, Op cit ,P 138.

[3] المقابلة رقم 19 ، تمت بتاريخ 2013/04/15 بمقر الكنيسة الانجيلية تيزي وزو "ايواضيا " .

فلا يشترط وجود كنيسة بتنظيم إداري و هرمي على شاكلة الكنائس الكاثوليكية حتى توجد الجماعة المؤمنة ، فالمسيحي الانجيلي قد لا يتردد على أي كنيسة ويكتفي بأداء الصلاة في فضائه الخاص وبالتالي يصعب على EPA كتنظيم إداري الوصول إلى عدد المسيحيين الحقيقي و لا إلى إحصاء أماكن العبادة .

- خلاصة :

حاولنا من خلال هذا الفصل عرض ظاهرة التحولات الدينية في سياقها العالمي ، وأهم الإشكالات التي تعيق التوصل إلى تعريف جامع لمفهوم التحول الديني ، الذي يبقى مرتبط في الأساس بفهم الظاهرة الدينية في حد ذاتها ، فمن يجعلنا نقول أنه لا يوجد علم اجتماع الدين وإنما علم اجتماع الأديان ، هو نفسه الذي يدفعنا للقول أنه لا يوجد ظاهرة التحول الديني وإنما ظاهرة التحولات الدينية .

إن الإسهامات الغربية في هذا المجال سواء ما تعلق بالتحول إلى المسيحية أو التحولات التي تتم اليوم في المجتمعات الغربية إلى الإسلام وعلاقتها بجملة من الظواهر كالهجرة و الاعتداءات الجنسية،المراهقة ...الخ ، شكلت لنا الأساس في هذا الفصل من الناحية الأدبيات التي وظفتها هذه الدراسات ، وهذا راجع إلى عدم تطور مثل هذه الدراسات في المجتمعات العربية هذا ما يجعلنا نأخذ هذه الأدبيات والمفاهيم التي تم تقديمها بحذر لأنها لا تنطبق بشكل تام على مجتمعاتنا، فلا يمكننا التسليم بالاتجاه الفردي (individualisme) السائد اليوم في الغرب والذي تفسر على أساسه الاختيارات والانتماءات الدينية ، فثقل الجماعة لا زال موجود في مجتمعاتنا ، ولا زال المجتمع يعتبر الدين كأحد أهم مكوناته وأهم مؤسسة فيه كمسألة محسومة لا تخضع للخيارات الفردية ، و بالتالي تبقى تجربة التحول الديني محل تكتم من جانب المتحول ومحل رفض اجتماعي وسياسي .

الفصل الثاني :

الحقل الديني في الجزائر : أهم التغيرات و التحولات

" « إن الأفراد لا يغيرون، بصورة آلية، من النمط الديني ، بل يقومون بتبني استراتيجيات متكيفة وملائمة حسب حاجياتهم في لحظة من لحظات إنتاج المعنى ، ومن أجل فهم حسب تصورهم التغيرات التي تحدث في المجتمع. »

Geertz, C ,1992.

- مقدمة :

لقد شكل الحقل الديني في الجزائر مجالا خصبا للتغيرات الكبرى التي مر بها المجتمع ، قبل وبعد الاستقلال بظهور أشكال تعبيرية ، في مقابل تراجع أخرى في التعامل مع الديني . هذا الأخير الذي ارتبط بشكل أو بآخر بالسياسي سواء في المرحلة الاستعمارية مع سياسة استئصال الهوية بالتركيز على العامل الديني ، أو في المرحلة الاستقلال أين سوف يأخذ الإسلام مكانة في بناء مشروع الحداثة المتبنى من طرف السلطة السياسية وتبرير المشاريع الاجتماعية والاقتصادية التي كانت في هذه المرحلة ، وسوف يأخذ المكانة ذاتها باستراتيجيات مختلفة في نقد مشروع السلطة من قبل حركة الإسلام السياسي ، هذا على مستوى التغيرات الكبرى التي مست الحقل الديني .

أما على المستوى (الميكرو) سوف نطرح من خلال هذا الفصل فكرة تبدو مهمة في علاج ظاهرة التحول الديني في السياق الجزائري ، مرتبطة بسؤال محوري :هل ظاهرة التحول الديني ظاهرة جديدة في المجتمع الجزائري ، أم أن للظاهرة جذورا تاريخية ؟ سنجيب على هذا التساؤل الذي يبدوا إلى حد بعيد نظري بالاعتماد على الدراسات التاريخية التي أجريت في هذا المجال وخاصة فيما يتعلق بمسالة التجنيس في الفترة الاستعمارية مع كل ما أفرزته هذه المرحلة من معطيات سوسيولوجية، اقتصادية ، ثقافية سيتم الكشف عنها في سياق هذا الفصل .

1 قراءة سوسيو تاريخية لظاهرة التحول الديني المسيحي في الجزائر؛

1.1.مسألة التجنيس وعلاقتها بحالات التحول الديني في المرحلة الاستعمارية :

بموجب الأمر الملكي الصادر في 24 فيفري 1834 الذي يعتبر الجزائر تابعة رسميا لفرنسا،هذا الربط القاطع للسكان الأصليون (مسلمون ، يهود) يجعل منهم نظريا مواطنون فرنسيون يتمتعون بصفة آلية بالجنسية الفرنسية و الحقوق المدنية بموجب قانون 1803 الصادر بفرنسا ، الذي يعطى حق التمتع بالجنسية لكل فرد و التي يتم تناقلها تماما كما ينقل الاسم العائلي بالولادة حتى وان كان هذا الشخص في الخارج . لكن بقراءة بسيطة في النصوص القانونية (أوامر، مراسيم...) التي صدرت منذ 1830 والتي تم تطبيقها على السكان الأصليون سوف تستخرج تناقضات كثيرة تصب كلها في سياسة اقصائية للجزائري وخاصة المسلمون الذين عاشوا وضعية التابع le statut de sujet [1]

تنص معاهدة التسليم التي وقع عليها باي الجزائر في 5 جويلية 1830 « أن فرنسا تتعهد بالحفاظ على حريات السكان من كل الطبقات وعلى ديانتهم » لكن سرعان ما تم خرق هذه المعاهدة بداية من ظروف بيع وشراء بالقوة للمساكن وهو أول فعل لسياسة التملك التي تليها مراحل مختلفة على مدى مرحلة طويلة من السيطرة الاستعمارية في الجزائر : الحبس غير الشرعي وهو أحد العقوبات الخاصة التي ستطيع أن تطبق على الأهالي المسلمون أو أي « انتهاك أو مخالفة لقانون الأنديجينا غير المسموح به من طرف القانون الفرنسي »[2] ، قائمة من 27 انتهاك خاصة بقانون الأنديجينا التي وضعت في 1874 وارتفعت في 1876 و 1877 والتي حملت في 1881 على

[1]Patrick, Weil , **le statut des musulmans en Algérie coloniale Une nationalité française Dénaturée in La Justice en Algérie 1830-1962,** La Documentation française, Collection Histoire de la Justice, Paris, 2005, p1

[2] Charles-Robert, Ageron, **Les Algériens musulmans et la France (1871-1919)**, Paris, PUF, 1968, vol 1, p. 171.

سبيل المثال الانتهاكات التالية : اجتماع بدون ترخيص الخروج من حدود البلدية بدون ترخيص بالسفر ، فعل غير محترم أو كلام تهجمي على عون السلطة حتى خارج أداء مهامه ، إعادة رفع الدعوة أمام نفس السلطة في وضعية تم النطق الحكم فيها وانتهاكات أهلية أخرى تستطيع أن تكون عقوبتها الغرامة المالية أو الاعتقال ، أما العقوبة يتم تحديدها في البلديات الكاملة الصلاحيات من طرف القاضي ولكن في البلديات المختلطة ذات الأقلية الأوربية الإدارة هي من يحدد العقوبة . هذه العقوبات الفردية تستطيع أن تكون جماعية تطبق على القبيلة أو على "الدوار" كحرق الأراضي الزراعية مثلا .

أما فيما يخص الحقوق السياسية أو بالأدق الحقوق العامة ، فالسكان الأهالي من المسلمون يستطيعون منذ 1866 الالتحاق بالخدمة العسكرية برا وبحرا أو حتى بعض الوظائف المدنية و لكن تمثيل المسلمون الأهالي في المجالس المنتخبة في الجزائر محدد بالثلث في المجالس البلدية في البلديات الكاملة الصلاحيات والذي خفض إلى الربع بموجب مرسوم 7 أبريل 1884 هذا العدد لا يمكن أن يتجاوز في أي حال من الأحوال 6 منتخبون حتى في المجلس البلدي في الجزائر العاصمة التي تعد حوالي 40 عضو ولكن لا يمكن بشكل قاطع أن يشارك هؤلاء الأعضاء الست في اختيار رئيس البلدية .[1]

إن الإجراء الذي اتخذه نابليون بونابرت الثالث في 14 جويلية 1865"senatus consulte في إطار سياسته (المملكة العربية) الذي يمنح الأهالي من المسلمين واليهود الحق في التقدم بطلب للتمتع بحقوق المواطنة الفرنسية والأجانب الذين تتجاوز مدة إقامتهم 3 سنوات في الجزائر هذه المساواة الشكلية بين التصنيفات الثلاثة للسكان في الجزائر اليهود" 30.000 ، ثلاثة ملايين مسلم 250.00 أجنبي أجهضت بموجب مرسوم 24 أكتوبر 1870 الذي صدر من وزارة الدفاع الفرنسية والذي ينص على منح الجنسية الفرنسية لليهود الأهالي في الجزائر (قانون كريميو) الذي حصل بموجبه اليهود على الجنسية الفرنسية .[2]

---

[1] Patrick Weil ,Op. Cit. P3

[2] Ibid . P3.

إن السكان الأصليون ظلوا إذا على هامش مسار الدمج الذي مس اليهود وحتى قانون 1865 الذي شهد تراجع تحت ضغط المنتخبون الكولون الذين طالبوا بإلغائه ، بالرغم من سيره البطيء فلقد سجل بموجب هذا القانون من 1865الى 1881 إلا 4428 متجنس أي بمعدل 276 في كل سنة .

يعود هذا العدد القليل من المتجنسين في رغبة الأهالي من المسلمين الحفاظ على قانون الأحوال الشخصية المرتبطة بالإسلام وبالرغم من أن إجراء senatus consulte لا يفرض على المسلمين التنازل أو إنكار دينهم فيستطيع أن يكون الإسلام كقانون أخلاقي أو كمجموعة من التعليمات الدينة مع احترام القانون المدني الفرنسي وهذا يعني إلغاء تعدد الزوجات، إلغاء قانون "الجبر " وهو أن يسمح الأب المسلم أن يزوج ابنه حتى سن معينة ، قانون حق امتلاك فك ارتباط الزواج تحت طلب الزوج إلغاء ما يعرف بنظرية Enfant endormi الذي يسمح بالاعتراف بالانتماء النسبي للطفل المولود من 10 أشهر إلى 5 سنوات بعد فك ارتباط الزواج، وبالتالي التجنس يعني التخلي على كل ما يترتب عن فعل التعدد .[1]

تقريبا 20 سنة بعد قانون senatus consulte صدر بموجب قانون 26 جوان 1889 مرسوم ينص على التالي : أن الطفل الذي ولد في الجزائر من أبوين ولدوا في الجزائر فهم فرنسيون مند الولادة كالطفل الذي ولد في فرنسا ، وإذا كان الأبوين ولدوا في الخارج فالطفل يصبح فرنسي عندما يرشد إلا إذا تخلى عنها في السنة التي تلي سن الرشد . عارضه هذا الإجراء الكولون في الجزائر .

إن منح الجنسية الفرنسية للأهالي المسلمون لا يتعلق فقط بالتخلي عن الحالة الشخصية بمعنى لا يجب الاعتقاد أن مع مجرد التخلي عن الإسلام تكفي في حتى يتمتع الأهلي(indigène) على الجنسية الفرنسية الكاملة. بدليل أن المسلمون الذي تحولوا إلى المسيحية الكاثوليكية والذين كانوا محل دراسة من قبل André Bonnichon في سنوات 1920 الذي حسب تقديراته حوالي بضع المئات أكثرهم تحولوا ولم يخضعوا إلى إجراءات التجنس ففي هذه الحالة المتحول غير المتجنس

[1] Ibid. P.6.

يعتبر كأهلي مسلم indigène يخضع إلى قانون الأهالي والى النظام الجزائي والبوليسي والمحاكم القمعية .

تتعلق هذه الوضعية بالتعريف الذي قدمته محكمة النطق بالحكم في العاصمة في 1903 لمصطلح مسلم والذي تعرفه كالتالي : " إن مصطلح مسلم ليس عقائدي في الأساس ولكنه يدل بالعكس على مجموع الأفراد ذوي الأصول المسلمة. ليسوا تحت إدارة قانون المدني الفرنسي فهم بالضرورة محافظين على الحالة الشخصية المسلمة، دون أن يكون هناك وجه التفرقة بين كونهم تابعين أو غير تابعين إلى الإسلام " هذا التخصيص في عملية التمتع بالجنسية الفرنسية الكاملة الذي يجعل المسلم المتحول في وضعية أنديجان ما دام أنه لم يكون موضوع تجنس أي أن تحوله لم يكن تحت قرار من السلطة العمومية مما يجعل عملية التجنيس مسالة اثنية دينية وليس فقط دينية مدنية .[1]

أمام هذه الحالة فالمسلم لا يمكن أن يتخلى عن حالته الشخصية حتى يقوم بتقديم طلب و قبول الدولة بعد إجراء تحقيق حول للمرشح الذي يتوجه إلى الإدارة الفرنسية بثمانية أوراق مختلفة : شهادة تثبت الصحة الجسمية والعقلية للمرشح الذي يعرض على رئيس البلدية(بموجب المرسوم الصادر في 21 أبريل 1866) أو إلى سلطة إدارية و يعلن أنه قد تخلى عن حالته الشخصية حتى يصبح تحت إدارة القانون المدني والسياسي الفرنسي . إضافة إلى تحقيق إداري خاص بالقدرة العقلية و خلفيات المترشح وخاصة حالته العائلية ففي حالة الموافقة ثم ينقل الملف بعد الموافقة من رئيس الدائرة إلى وزير العدل ثم إلى مجلس الدولة قبل أن يمضي كمرسوم من طرف رئيس الجمهورية.

إن الفترة الممتدة ما بين 1865–1915 أي في مدة خمسين سنة سجل حوالي 2396 مسلمين جزائريين تجنسوا بالجنسية الفرنسية أغلبيتهم عسكريون، موظفون، أو مسلمون متحولون إلى المسيحية الكاثوليكية. من أهم الإصلاحات التي صدرت حول قانون التجنيس في هذه المرحلة قانون " Clemenceau " في 1917 التي تنص على الدخول في الجنسية الفرنسية الكاملة

---

[1] Ibid. P.7

بالنسبة لكل المسلمين الجزائريين البالغين 25 سنة وما فوق الحق في تقديم طلب أما المحكمة المدنية في مكان إقامتهم إذا وفى بالشروط التالية أو أحدها : أنه يخدم في الجيش الفرنسي ، أو أن له والد توفي أثناء الحرب ، معرفة قراءة أو كتابة اللغة الفرنسية، يكون مالك أو مستأجر ، أن يكون عامل دائم في وظيفة عامة ، يكون متزوج مع أو ولد من مسلم أهلي أصبح فرنسي يبدي احترامه للقانون المدني الفرنسي وليس بالضرورة أن يتخلى عن الحالة الشخصية إلا مستقبلا : في حالة المترشح إذا كان متعدد الزيجات يصبح فرنسي ، فالقانون الجديد لا يسمح له أن يرفع عدد الزيجات بعد حصوله على الجنسية . لكن سرعان ما تم معارضة هذا القانون من قبل المنتخبون الفرنسيون الذين اعتبروا هذا القانون مقبرة للسيادة الفرنسية في الجزائر. وسوق يلغى هذا القانون بموجب قانون آخر صدر في 4 فيفري 1919 الذي وضع إجراءات تعجيزية للحصول على الجنسية الفرنسية ، من هذه الشروط إضافة إلى مسالة تعدد الزيجات ،الإقامة لمدة عامين في نفس البلدية ونائب رئيس الجمهورية أو الحاكم العام بإمكانهم معارضة الطلب لأسباب غير مقنعة بحجة أن الطلب لا يوافق حالة الأنديجينا .

بالرغم من أن فاعلية القانون "Clemenceau" كانت ضعيفة فلقد سجل عموما الفترات الممتدة ما بين 1919–1930–1934 تجنس المسلمون بحوالي 1547 طلب ، إضافة إلى 760 متجنس بموجب إجراء (1865sénatus-consulte) .

أعطلت الحرب العالمي الأولى الحق للشعوب في المطالبة بحقوقهم مما أدى إلى تشكل وعي سياسي على المستوى المحلي ظهر في تأسيس مجموعة الأحزاب السياسية بداية مع مجموعة من الشباب الذين احتكوا بالمدرسة الفرنسية أغلبيتهم من المعلمين والتجار والصناع تحت زعامة الأمير خالد الذي أسس في مارس 1919 حزب "الإقدام" الذين طرحوا بدورهم إشكالية التجنيس مع الحفاظ على الحالة الشخصية للمسلمين و التمثيل النيابي للأهالي في مقابل القبول أداء الخدمة العسكرية التي سبق وان طرحت في الميتربول ما بين 1908–1909 .

وفي فرنسا تطور حزب نجم شمال إفريقيا تأسس في 1926 تحت زعامة مصالي الحاج الذي طالب استقلال الجزائر فيما بعد . و تأسيس كل من الأهليين فرحات عباس والدكتور بن جلول

فيدرالية المنتخبين الأهليين الذين حملوا مطالب المساواة في الحقوق في الموازاة تطور حركة العلماء المسلمين التي عملت على الدفاع عن الهوية الجزائرية تحت شعار " العربية لغتنا الجزائر وطننا والإسلام ديننا "[1]. في 1936 حكومة بلوم المستوحاة من الحكومة القديمة موريس فيوليت اقترحت مجموعة صغيرة تتكون من 24000 تستطيع أن يكون لها الحق في الانتخاب مقابل 20.0000 ناخب فرنسي مستقلين في حالتهم الشخصية التي بإمكانهم الحفاظ عليها هذا العرض المتواضع لم يشجع في الجزائر إلا من قبل جمعية العلماء و فرحات عباس ورفض من قبل حزب الشعب الجزائري خاصة بعد معارضة الكولون له .مع الحرب العالمية الثانية سوف نشهد الساحة السياسية تطورات غير مسبوقة ، صدور أمر بتاريخ 7 مارس 1944 الذي ينص على إلغاء قانون الأهالي و إتباع المسلمين لنفس المحاكم و القوانين الفرنسية و إصلاحات موازية تمت على مستوى التمثيل النيابي فقانون Lamine Gueye الصادر في 17 مايو 1946 الذي يعترف بالمواطنة لكل الشعوب التابعة لفرنسا، القانون الصادر في 20 سبتمبر 1947 الذي وضع مبادئ المساواة السياسية و المدنية والمساواة فيما يخص الالتحاق بالوظائف العامة ، وفي 15 نوفمبر 1958 في إطار سياسة الدمج صدر أمر بإعطاء لمسلمين الجزائر(نساء/رجال) تمثيل نسبي من العدد الإجمالي لأعضاء المجلس(46 نائب على 67 و 22 مجلس الشيوخ على31). ولكن على المستوى العسكري والسياسي ظهرت هذه الإصلاحات متأخرة مع بداية تشكل خط ثور أدى مع 1962 إلى الاستقلال.

---

[1] Ibid. PP 14-17.

2.1.السياسة الاستعمارية في الجزائر : صنع الأسطورة القبائلية :

يقوم المشروع الاستعماري على استغلال (علم الأثنولوجية) الذي أخذ في المتصف الثاني من القرن 19 مع تشكل قوى استعمارية في أوروبا بعدا سلبيا ، بحيث وظفته هذه القوى في توسيع نفوذها وإحكام سيطرتها على الشعوب في الدول المستعمرة تحت مبدأ "فرق تسد " ومن أوائل الاثنولوجيون نجد الإرساليات التبشيرية و العسكريون ، في هذا السياق استعمال مصطلح اثني ethnie يرجع إلى تصور عام لخصه J.L.Amselle عندما كتب أن « التفرقة كانت (...) الشغل الشاغل للفكر الاستعماري وكان من الضروري "إيجاد قائد"، وحتى أنه يجب البحث في نفس المزيج السكاني للقائمين في الدول المستعمرة عن كيانات خاصة . »[1]

في الجزائر ما إن استقر المستعمرون الفرنسيون حتى بدأت الإدارة الفرنسية في التعرف على فئات الأهالي وكان الغرض من ذلك معرفة نفسياتهم و مجابهة ردود أفعالهم وتطبيق فكرة (فرق تسد) و ذلك بخلق النعرة الجهوية وإثارة روح الإقليمية ، وتشجيع النعرات القبلية وخاصة في المناطق التي تتحدث باللهجة المحلية (البربرية) ، وهكذا توافد على الجزائر عدد كبير من الرحالة و المبشرين الذين تخصصوا في دراسة عادات وتقاليد السكان بمختلف القبائل و خاصة منطقة القبائل الكبرى .

لقد أولت الآلة الاستعمارية بمجموع باحثيها ومبشريها الجنس البربري الأمازيغي اهتماما بالغ فاختلفوا فيما يتعلق بأصل هذا الجنس ، وذهبوا إلى عدد من النظريات سخروها لخدمة أغراضهم الاستعمارية في الجزائر ، فحسب جورج إلي (إداري سابق لبلدية مختلطة) أن البربر ينحدرون من الشعوب الشمالية لكون البعض منهم شقر وعيونهم زرقاء ويلتقي هؤلاء من قروينا الفرنسيين من جانب اللذة في العمل والدقة فيه وحب الأرض واكتسابهم لمفهوم الاقتصاد والصراحة والذكاء . أما

[1] MARTINE, Segalen**, Ethnologie (Concepts et Aires Culturelles),** Ed ARMAND COLIN, Paris 2011, P16.

الكاردينال لافيجري فقد ذهب أبعد من ذلك عندما صرح أن القبائل و الفرنسيين ينحدرون من سلالة الرومان . و من جهة أخرى التقارير التي كان يكتبها الإداريون الفرنسيون تظهر تغليب العنصر البربري على العنصر العربي من خلال استعمال مصطلح القبائلي الجيد (le bon kabyle) فهو عامل له قابلية للتقدم.

يعتبر العامل الديني أحد أهم عناصر التفرقة بين القبائلي والبربري يضاف إلى الخصوصية اللغوية الثقافية السوسيولوجية للقبائل ، فلقد ركز المبشرون على استخدام الديانة الإسلامية و المسيحية كمبرر للتبشير في منطقة القبائل ، حيث عمل هؤلاء على إظهار أن سكان المنطقة إسلامهم سطحي وأن القرآن لم يدخل بشكل عميق في تقاليدهم وعاداتهم كما أن هذا الدين لم يتمكن من النفاذ إلى حياتهم الاجتماعية بوجه خاص [1]،ذلك عن طريق توظيف العامل التاريخي الذي يكمن أساسا في تصور الكنيسة الكاثوليكية أن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب غلطة لا تغتفر، إن هذا الفتح حسب الكاردينال لا فيجري هو عبارة عن سيلا جارفا من العرب كان وراء اختفاء طلائع العهد المسيحي في الجزائر بسرعة مدهشة ، وأن المسيحيين فروا من شمال إفريقيا على أوربا والأخريين اعتنقوا الإسلام سواء لمصلحة أو عن اقتناع وان لم يكن هذا ولا ذاك فان أهالي هذا الوطن تعرضوا لويلات السيطرة العربية.

دعم هذا التصور مجموعة من المؤرخون نذكر موقف ستيفان غزال(SEPHANE Gsell) الذي أطلق على الفتح الإسلامي لبلاد المغرب مصطلح (هجرة الذئاب) .[2] أبعد من ذلك فقد ذهب بعض رجال الدين إلى الاستدلال على أن احتفاظ الجزائريين و بخاصة القبائل برموز النصرانية تعود إلى تلك الأوشام التي يوشم بها بعضهم وجوههم والتي تشبه في غالبيتها شكل الصليب الذي يوجد على جبهات النساء و أيديهم وعلى مداخل البيوت .[3]

---

[1] Samia**,**Sahri, Etude Op Cit ,P32.

[2]سعيدي مزيان ، النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر 1867-1892، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة الصندوق الوطني لترقية الفنون و الآداب ،2009، ص 268.

[3] Ugo , Colonna, **La compagnie de jésus en Algérie (1840-1880), L'exemple de la mission de Kabylie (1863-1880)**, Revue Maghreb Machrek , n°135 janv. Mars 1992 ,P 69.

فالأسطورة القبائلية (Le mythe kabyle) ، تأسست إذن حول مجموعة من الافتراضات التي تقرب المجتمع القبائلي بالمجتمع المسيحي بالاعتقاد أن بفكرة فتور القبائلي أو برودة عواطفه تجاه الإسلام.

3.1.إستراتيجية التبشير الكاثوليكي وظروف التحول الديني في المرحلة الاستعمارية :

إن الغزو الفرنسي في الجزائر من وجهة نظر رجال الدين ، الذين لازموا الآلة العسكرية يدخل في إطار تنشيط الدعوة المسيحية ، من خلال حركة تبشيرية في إفريقيا قاطبة و إضفاء أكبر ديناميكية ممكنة عن طريق استكمال الدور المقدس "لسان سبريان" و "أوغسطين" واستنطاق أثار "سيبون" . هذا ما أوحى إليه الكاردينال لا فيجري حين قال « عندما تكتشفون عظام جنودنا في ربوع هذا الوطن فتوجهوا لهم بالدعاء وأقيموا الصلوات تبركا بهم و لتعلموا يقينا أن هؤلاء ضحوا من أجل العدالة اللاهية ، لقد لقوا حتفهم بكل معاني البطولة ، إنهم شهداء المسيحية .»[1]

إن الكنيسة المسيحية في الجزائر إذن هي طرف أساسي في المشروع الاستعماري و استمرار هذا المشروع مرتبط بتحويل الجزائريين إلى المسيحية ، فحسب ما جاء في رسالة لوفيسو للماريشال بيجو سنة 1833 أن الجزائريون لا يطيعون فرنسا إلا إذا أصبحوا فرنسيين ، ولن يصبحوا فرنسيين لا إذا تحولوا إلى المسيحية

بلغ النشاط التبشيري في الجزائر ذروته مع جهود الكاردينال لا فيجري (1867-1892) الذي يعتبر رائد التبشير المسيحي بالجزائر قبل أن يكتمل العمل التبشيري لفائدة الكنيسة الكاثوليكية على يد الأب "شارل دوفوكو " (1901-1916) .

اعتمادا على ما يسمى التبشير الكلاسيكي le prosélytisme classique الذي يقدم عروض إنسانية خيرية للأهالي، انتعشت الجهود التبشيرية في الجزائر خاصة مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي أفرزتها المجاعة التي كانت في الفترة ما بين 1867-1868 والتي تسبب فيها زحف الجراد عام 1864 الذي اتخذ شكلا خطيرا في سنة 1866 والذي دعي بعام الجراد ، حدوث زلزال في 2 جانفي 1867 الذي مس مدينة البليدة وقرى متيجة ، انتشار القحط والجفاف فمند

[1] سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص 262 .

1865 والمطر لم ينزل إلا بمقدار وفي أيام قليلة من الشتاء ، تسببت هذه الوضعية بخسائر اقتصادية للأهالي فان الإحصائيات الرسمية تشير أن الجزائريين فقدوا نصف ماشيتهم حوالي 13 مليون رأس سنة 1867 و 8 ملايين رأس سنة 1870 كما تشير الإحصائيات أن إنتاج الجزائر من القمح الصلب قد انخفض من 87 % إلى81% من إنتاج الجزائر الكلي زد على ذلك ارتفاع أسعار المواد الأولية الأساسية فقد ارتفع سعر الشعير من 12.13 فرنك للقنطار إلى 17.16 للقنطار في سبتمبر 1886.[1]

إن كل الإحصائيات التي يمكننا أن نقدمها توصلنا إلى خلاصة حول حالة الفقر والهشاشة الاقتصادية التي كانت في هذه المرحلة ، وتنفيذا لسياسة التبشير بادر لا فيجري بجمع 1753 طفلا يتيما من ضحايا المجاعة ، وانفق على من نجا من الموت (700) ما لا يقل عن 800.000 فرنك ليصبحوا مبشرين بمواطن آبائهم ، و يكونوا دعامة للتنظيمات الرهبانية المعروفة بالآباء البيض الذين غطى نشاطهم نواحي الشلف و لأوراس ووصل إلى منطقة الهقار بأقصى الصحراء الجزائرية ، كان في طليعة هؤلاء المبشرون جوزيف رابح ،ميشال العربي ، برتيلومي بن ميرة ، " إن إدخال المسيحية إلى إفريقيا من طرف الإفريقيون أنفسهم هي الوسيلة الوحيدة لممارسة بأقل جهد التبشير بأكثر تأثير في أوطانهم وبين مواطنيهم ."[2]

أما منطقة القبائل فلقد وضع لها سياسة خاصة، فاستنادا على مجموعة من الأحكام المسبقة ظهرت الأسطورة القبائلية إلى الوجود التي تضع خصوصية المجتمع القبائلي محل تركيز الجهود التبشيرية واعتباره كمجتمع قابل للدمج assimilassions هذه الرؤية التي حملها الآباء البيض للمنطقة تشكلت حول فكرتين أساسيتين :

1-إن المسيحية تواجدت في منطقة القبائل لفترة طويلة ولم تختفي إلا مع الغزو العربي الإسلامي الذي عمل على القضاء عليها ، وهي أسطورة القبائل المسيحية :

---

[1] سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص ص 283-281 .

[2] Salah, GUEMRICHE, Op . Cit , P268.

2-الإسلام في منطقة القبائل يأخذ أشكال خاصة أكثر بساطة مما نجده عند المجتمع العربي فالقبائلي يحمل فثورة تجاه المعتقدات الإسلامية، وهي أسطورة الإسلام القبائلي.[1]

يمكن تقسيم مرحلة اهتمام المبشرين و العسكريين بمنطقة القبائل إلى المراحل التالية :

-المرحلة الأولى : تمتد إلى ما قبل 1857 وهي السنة التي تم فيها احتلال المنطقة رسميا بقيادة الجنرال راندون (RANDON) تستمر هذه المرحلة إلى 1860 وهي تعتبر مرحلة تمهيدية للتبشير عن طريق محاولة اثبات المسيحية قديما في المنطقة .

-المرحلة الثانية : تمتد من 1860 إلى 1867 في هذه المرحلة أصبح التبشير حقيقة ملموسة من خلال إرسال الأسقف "بافي" للأب اليسوعي كروزا للمنطقة سنة 1863 .

-المرحلة الثالثة : تمتد من 1867 وهي سنة تعيين الكاردينال "لافيجري "(1867-1892) على أسقفية الجزائر وهي مرحلة بلغ فيها التنصير ذروته في الجزائر عامة .[2]

تقدم الباحثة (كريمة ديرش) من خلال دراستها التاريخية لظروف تشكل جماعة من المسيحيين ذوي أصول قبائلية في المرحلة الاستعمارية مجموعة من المحددات السوسيولوجية والتاريخية المرتبطة بمنطقة القبائل في الفترة الممتدة من 1873-1954 التي وظفت لخدمة النشاط التبشيري المضني بتحريك العامل العرقي والتاريخي الذي أسفر عن حالات من التحول الديني ، هذا التحول الذي تصنفه الباحثة بـ "تحول البؤس (la conversion de la misère).

إن منطقة القبائل الجبلية الأكثر فقرا لم تحض في الفترة العثمانية بامتيازات ثم في المرحلة الاستعمارية التي أدت إلى تحولات جذرية في المنطقة ، بعيدا عن العامل التاريخي و الجغرافي

فتواجد المبشرين في المنطقة ترافق مع غياب شبه تام للزوايا في السهل وفي الجزء الشرقي من مركز منطقة القبائل ومن صدف الجغرافيا والتاريخ كما تشير الباحثة أن في قلب جرجرة خمس

[1] Ugo ,Colonna. Op. Cit. P .69

[2] سعيدي مزيان ، المرجع السابق ، ص 206.

قبائل (ايت إسماعيل ، آيت متقلات ، آيت يني ، بني دواله ، ايواضيا) مستها ظاهرة التحول الديني وهي قبائل تقع في الجزء الشرقي من المنطقة ، فعلى أرضية من الفقر والمرض–خاصة بعد فشل ثورة المقراني و الرحمانيين سنة 1871 ومصادرة جل أراضيهم – لعبت الأسطورة القبائلية .[1] بعد دراسة المبشرين للحالة الاقتصادية والاجتماعية للمنطقة ، ركزت جهودهم على الأعمال ذات الطابع الخيري في الظاهر كتوزيع الأكل بالمجان للمحتاجين ، استقبال اليتامى ، علاج المرضى، من خلال هذه الأعمال سوف تحض الكنيسة بإقبال الأهالي الذين يعيشون في وضعية حرمان وعوز كبير و الهشاشة الاجتماعية نذكر في هذا السياق أشهر حالة تحول في تاريخ المنطقة وهي قصة تحول(فاظمة آيت منصور عمروش" وهي فتاة مجهولة النسب) . هذه الأعمال سوف تشهد تطور مع نشاط الأخوات البيض في المنطقة اللواتي أصبحن كما تشير الباحثة (كريمة ديرش) كالمرابطين يطببون كل أشكال الآلام ، فلقد لعبن دور في ترقية العقليات وعلاقة الأهالي مع الطب باعتبار أن أغلبيتهن ظهرن كممرضات، واللواتي كن يتنقلن إلى المناطق التي لم تصلها الآلة العسكرية الاستعمارية ، فيد العسكري تضرب ويد المبشر تمسح الدموع عن الوجوه المضروبة .

[1]Abdbrahmane Moussaoui, « **Direche- slimani Karima, Chrétiens de la Kabylie 1873-1954 une action missionnaire dans l’Algérie coloniale.** Paris .Ed Bouchene ,2004 ,153. » Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée (En ligne) .107-110 / septembre 2005 mis en ligne le 12 janvier 2006 , consulté le 03mars 2013 .

2 . المشهد الديني في الجزائر بعد الاستقلال ؛

1.2. التوجه نحو توحيد المشهد الديني:

مع الاستقلال حملت الدولة الوطنية على عاتقها إعادة بناء البني الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وتحديث المجتمع بتحقيق مشروع تطوري في إطار وطني وبناء "إنسان جديد" في قطيعة تامة مع الفكر و الممارسات الكولونيالية ، فإذا كان الاستعمار قد ساهم في تدمير بنى المجتمع التقليدي مما قاد إلى الانشطارات الاجتماعية وثقافية ، فان الدولة – الوطنية الحديثة دخلت عملية البناء بمرجعية و بايدولوجيا وحدوية وطنية متمركزة حول العربية و الإسلام ، وإنكار المصالح المتصارعة في ظل النموذج الشعبوي للتنمية الاشتراكية و دولنة المجتمع [1]. من أهم مستويات التحديث نجد المجال الديني .

عشية الاستقلال أحصي في الجزائر حوالي 327 كنيسة لأقل من 700 معمر أوروبي مسيحي ممن لم يرحلوا مع فرنسا وآثروا البقاء . أخذت هذه الكنائس مع الوقت وضعية الأقليات الدينية وظهرت كجهة أجنبية . ولم تحض بعد الإعلان دستوريا أن الإسلام دين الدولة "المادة 2 " قبل أن تعلن في المادة 53 اعتراف بحرية الضمير بمحيط قانوني – سياسي معتبر ، هذا التأرجح بين طابع إسلامي غالب وعلمانية مكملة تركت هامش من العمل ضيق للأديان الأخرى .[2]

بالرغم أن الكنيسة الكاثوليكية في الجزائر تحض باعتراف رسمي من الفاتيكان الذي تربطه علاقات دبلوماسية مع الدولة الجزائرية ، لكن تأميم المدارس، المستشفيات المراكز الاجتماعية الذي قرر في 1976 حرمت الكاثوليك من كل إمكانية في نشاط مستقل ، ومع الصراع الداخلي الذي شهدته الجزائر في 1990 الذي أدى إلى تصاعد أعمال العنف في شكل سلسلة من الهجمات استهدفت

---

[1] صلاح الدين بن رحو، ظاهرة الإرهاب السياسي ، منشورات كلية العلوم القانونية و الاقتصادية والاجتماعية ، مراكش ، 1996،ص 135.

[2] Claude , Prudhomme, **Eglises chrétiennes au Maghreb,** Revue LES CAHIERS DE L'ORIENT, N° 48 ,1997 , P 58.

مند 1994 رجال الدين المسيحي(اغتيال الأسقف pierre Claverie 1 أوت 1996) تقلص التواجد الكاثوليكي في المجتمع إلى علاقات شخصية و إلى أشكال من المساعدات الفورية في الأحياء الشعبية. على الهامش الكنائس الأوروبية التي كانت موجودة بعد الاستقلال نجد الكنائس البروتستنتينية التي سجلت حضور بين السكان الأوروبيون من خلال الكنائس الإصلاحية والكنيسة اللوثرية، وفي السكان المسلمين عن طريق مختلف التنظيمات التبشيرية ، الأكثر شهرة في هذه التنظيمات هي إرسالية (Rolland) الموجودة في تيزي وزو.[1]

إن مركزة الإسلام في يد الدولة عمل على منع أو تحطيم أي شكل من أشكال الهيمنة والميول الجماعية ذات الطبيعة الثقافية والدينية والمقصود به على وجه الخصوص إسلام الزوايا والأولياء وهذا ما جاء ضمنيا في الميثاق الوطني "...إن الإسلام في عمقه الروحي غير مرتبط بالمصالح الخاصة لأي رجل دين وبأي سلطة سياسية " هذا على المستوى الجماعي . أما على المستوى الفردي فمؤسسة الإسلام و جعله في يد الدولة يشكل سحب الإنسان الجديد الذي يرغب في تحديثه من أشكال التدين الهامشية ، هذا يعني بشكل أخر أن الإنسان الجديد لا يسمح له أن يعلن نفسه كلائكي أو في أبعد الحالات كملحد ، فالجزائري مسلم ويجب عليه أن يبقى كذلك . لكن كيف يمكننا التوفيق بين هذا المعطى و المادة الدستورية التي تنص :أن حرية الاعتقاد مضمونة!؟ [2]

الأطروحة التي تبنتها الدولة الوطنية بعد الاستقلال هي أطروحة جمعية العلماء المسلمين التي تنادي بالإسلام الخالص الموحد بمعنى القضاء على تعددية المرجعيات الدينية وفي هذا السياق يقول ارنست جيلنر : « من المحتمل أنه لم يوجد بلد مسلم ارتبط الناس فيه بالأولياء الصالحين

[1] Ibid. P.60 .
[2] B.Mezouar ,la religion et le lien social en Algérie, P101 [Thèse en ligne], www.univ-tlemcen.dz/these/mezouar.pdf. *Consulté 2013/08/15.*

الريفيين مثلما كان الحال في الجزائر القرن التاسع عشر ، وفي نفس الوقت لم يكن هناك أي بلد ناهض الأولياء الصالحين بعنف مثل ما فعلت الجزائر بعد ذلك »[1]

على مستوى أخر ، أخذ الإسلام بعد الاستقلال بعدا توظيفا واضحا وسخر لخدمة أهداف التنمية وعلى رأسها الخيارات الاقتصادية و الإصلاحات التي تمت تحت عنوان الاشتراكية ،[2] التي حاول القائمين على السلطة أن يعطونها البعد الديني الرمزي كربطها بشخصية الصحابي (أبي ذر الغفاري) والقول بمدى تجدر الاشتراكية التي لم يتم استرادها فهي راسخة في التراث الإسلامي ؟ (الاستفهام من قبلنا)

[1]مصطفى ، راجعي ، التدين وثقافة النمو الاقتصادي في الجزائر، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع التنمية، جامعة وهران، 2009-2010، ص 40.

[2] نفس المرجع ، ص 43..

1.2. من الإسلام التقليدي إلى الإسلام السياسي :

يشكل الإسلام نسق من القيم و التمثلات، فهو ينظم كل تظاهرات الحياة الخاصة بالأيمان والممارسات الدنيوية ، يكون هذا التنظيم والتسيير في شكل ثقافة وأخلاق ورموز ويظهر أيضا كمرجعية يجب أن يستند عليها في التفكير ، فالإسلام ميراث غني من الرموز و الدلالات والعلامات بتعبير (محمد أركون) ، [1] والذي سوف يتغير مستوى التعامل معه من مرحلة إلى أخرى في المجتمع الجزائري .

لقد شجعت سياسة الاستئصال الهوياتية و الثقافية التي مارسها الاستعمار الفرنسي في ظهور وعي موحد مؤسس على هوية دينية في تعريف الجزائري مقابل الآخر المستعمر(ROUMI) ، سوف يواجه الجزائري هذه السياسية بإقباله على المدارس القرآنية (Médersa) والزوايا التي سوف تصبح فضاء للجوء (espace - refuge) وقبل ذلك الرباطات أين سوف تشكل القيادات الدينية مصدر للسلطة الدينية والدنيوية فالمجتمع الجزائري في هذه المرحلة إذا صح القول انطوى على الدين وتقاليد الأجداد حتى يحافظ على الهوية الخاصة به. [2]

ظهر الإسلام التقليدي في أشكاله الأولى في الجزائر تحت ما يسمى بالإسلام المرابطي أو الإسلام الريفي ارتبط هذا الشكل من التدين بالمرابط كشخصية قيادية كرزماتية محلية ، تحض بسلطة معنوية تتخذها الجماعة كمرجعية دينية مؤهلة للإفتاء في أمر الدين والدنيا وسند فتواها لا يناقش و تؤخذ أقوالها وأفعالها كسنن يدار بها سلوك وتصرفات الأفراد والجماعات المحلية الريفية ويستنجد ويستشهد بها في حل الخصومات[3].

[1]MERZOUK,Mohamed, **PRATIQUE ET REPRESENTATIONS RELIGIEUSE EN ALGERIE** document de travail, université d'Oran, U.R.A.S.C. 1987, P5.

[2] صالحي ،محمد ،إبراهيم المرجع السابق ، ص، ص 39 - 50.

[3] BENAROUROS, Zohra, AIT IDIR, Amokrane, MIDJEK, Fella,**L'ISLAMISME :POLITIQUE La Tragédie Algérienne**, Ed AL FARAB,2002, P22.

إن قوة حضور هذا الشكل من الممارسة الدينية (الإسلام التقليدي الريفي)في المرحلة الاستعمارية دفع (بيار بورديو) في كتابه سوسيولوجيا الجزائر لاعتبار الإسلام عامل محدد أو مسيطر على كل الظواهر الثقافية "الإسلام هو الفضاء الذي تسبح فيه كل مظاهر الحياة وهذا لا يقتصر فقط على الحياة الدينية والفكرية ولكن الحياة الخاصة والحياة الاجتماعية والحياة المهنية" . [1]

أما الشكل الثاني من الإسلام التقليدي هو الإسلام الصوفي الطرقي الذي جاء بشكل مدعم ومجدد للإسلام المرابطي الريفي. ارتبطت الصوفية في بداية النشأة بممارسات فردية قائمة على الفكر التأملي ثم تحولت إلى ممارسة جماعية في شكل مؤسسة دينية اجتماعية (الزوايا) قائمة بذاتها لها قواعد تنظيماتها وأتباعها ومريديها الذين كلما ارتقوا في سلم المنظومة الطرقية كلما حازوا على الراحة النفسية والاستقرار الأبدي لأنهم وثقوا علاقتهم مع الله عبر وساطة الشيخ صاحب المد الرباني والفيض المحمدي.[2]

إن هذا المستوى في التعامل المجتمع مع الديني سرعان ما سوف يوضع محل انتقاد من طرف العلماء واعتبار هذه الممارسات التقليدية كوضعية تعبر عن تراجع الإسلام ، وعلى هذا الأساس سوف تقوم جمعية العلماء المسلمين كتيار إصلاحي سلفي (1931) بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير إبراهيمي ، الطيب العقبى وغيرهم بمحاربة الخرافات والبدع التي شوهته بها الطرق الصوفية ودعاة المرابطية الجدد والتي سوف تعرف نفسها من خلال جريدة الشهاب كجمعية تهتم فقط بالتسيير الديني الذي يهدف إلى رفع الشعب (المسلم الجزائري) من الانحطاط الثقافي والأخلاقي إلى مستوى أعلى من الفكر و الأخلاق في الإطار الذهبي لدينهم... في كل الحالات لا يجب أن يكون للجمعية أي علاقة مع السياسة أو كل ما يقترب من المجال السياسي[3].

[1] Pierre, BOURDIEU, SOCIOLOGIE **DE L'ALGERIE**, PUF, Paris, 1961, P96.

[2] مصطفى،راجعي، المرجع السابق ،ص 44 .

[3] أحمد الخطيب ، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ،وأثرها الإصلاحي في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1985 ، ص 177.

هل يمكننا التسليم بالأطروحة التي تربط ظهور تيار الإسلام السياسي في الجزائر بالتيار الإصلاحي هذا الأخير الذي خدمه ؟

تظهر هذه الفرضية أقل احتمالا، خاصة وأن هناك اختلاف فكري جوهري بين التيارين في مقاربة الديني و علاقته بالسياسة. فالتيار الإصلاحي يرفض الدخول في المجال السياسي وهذا ما نجده في تحديد أهداف تأسيس جمعية العلماء التي تتلخص بوضع فهم و إدراك نقي للشرع الإسلامي بعيدا عن الخرافات والممارسات التي اعتبرها العلماء كشرك بالله . و استنادا كذلك على تعريف جمعية العلماء المسلمين للدين الإسلامي، التي تقسم تواجد الفرد المسلم إلى قسمين : الأول دنيوي يستوعب كل ما يدخل في إطار الممارسات اليومية (العمل الزواج،التجارة،التعدد..)، أما القسم الثاني يعنى بالحياة الروحية والتي تتلخص في تطبيق القواعد التي ينص عليها الإسلام (الصلاة، الصيام...) والامتناع عن المحرمات (السكر السرقة...) .[1]

أما الإسلاميون يقدمون تعريف للدين يتجاوز الممارسات الطقسية البسيطة بنقل الإسلام إلى الفضاء العام عن طريق طرح المسالة السياسية انطلاقا من المبدأ القائل أن الإسلام هو فكر شامل وكلي ولا يكفي بالتالي أن يكون المجتمع مؤلف من مسلمين ، بل ينبغي أن يكون إسلاميا في أسسه وبنيته[2]، وبالتالي إصلاح المجتمع لا يتوقف على الرجوع إلى الأصل كما ينادي به التيار الإصلاحي (السلف الصالح) ولكن إعادة بنا الإسلام في مجتمع صنف كمجتمع جاهلية يكون عن طريق تأسيس الدولة الإسلامية بالاستناد إلى القرآن والسنة النبوية وهو ما جاء في نصوص المؤسسة للإخوان المسلمين ، أول حركة إسلامية في التاريخ المعاصر بقيادة (حسن البنا).

ارتبط ظهور الإسلام السياسي في الجزائر بفشل مشروع الحداثة وعلى رأسه الخيار الاشتراكي الذي تبنته السلطة السياسية بعد الاستقلال ، و الذي سرعان ما أصبح محل انتقاد فردي من قبل

[1] Abdelhamid, Boumezbar, Azine Djamila, **L'ISLAMISME ALGERIEN (de la genèse au terrorisme)** , Ed CHIAB, 2002, P 21.

[2] أوليفيه روا ، تجربة الإسلام السياسي ، ترجمة : نصيرة مروه ، دار الساقي ، الطبعة الثانية 1996 ، ص 42.

الزعامات القديمة في جمعية العلماء المسلمين وبعض الشخصيات الدينية لكن هذا النشاط الفردي سوف يأخذ بعد تنظيمي مع تأسيس جمعية القيم . تمكنت هذه الجمعية التي بعد فترة قصيرة من فرض نفسها على الساحة السياسية من خلال الأنشطة التي أصبحت تمارسها في مساجد العاصمة متخذة من نادي الترقي مقرا لها إلى جانب إصدار مجلة شهرية باسم (التهذيب الإسلامي) و مع عام 1963 بدأت تدخل الجمعية في صراع منظم مع السلطة الناشئة هذا الصراع الذي نشأ عن محاولة أحمد بن بله –رئيس الجمهورية أنذلك – في تهميش الاتجاه الإسلامي دون الابتعاد عن ثلاثية ابن باديس الشهيرة الإسلام ديني ، العربية لغتي ، والجزائر وطني موظفة –السلطة– المؤسسة الدينية لتبرير مشروعها الاشتراكي مما حمل الشيخ البشير الإبراهيمي بالتنديد بهذا المشروع منتقدا اعتماد السلطة في رسم سياستها و توجيهاتها على (المذاهب المستورة) لا على أساس العروبة والإسلام ، ومع سلسلة من المعارضات والخطابات عزل الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس الجمعية من منصبه كأمين عام لجامعة الجزائر وبعد فترة من المناوشات منعت الجمعية من ممارسة نشاطها عهد الرئيس بومدين بعد اتخاذها موقف من قضية محاكمات الإخوان المسلمين في مصر، وبذلك تدخل الدعوة الإسلامية في الجزائر مرحلة السرية.[1]

بعد ثلاثة سنوات من الممارسة السرية، انتقلت الحركة إلى الفضاء الجامعي 1986–1989 عندما بادر مجموعة من الطلبة بتشجيع من مالك بن نبي بتأسيس مسجد الطلبة في جامع الجزائر ، الأمر الذي اعتبر بداية تحول في طبيعة هذه الحركة بتمركزها داخل الجامعة واعتمادها على عنصر جديد وهو العنصر الطلابي و المفرنسين منهم خاصة عن طريق سجلات مع اليسار الذي كان أغلبيته من كليات العلوم الاجتماعية .لكن رغم ذلك ظل دورها محجم بالنظر إلى الرئيس هواري بومدين كشخصية كاريزماتية فرضت تجربتها في الميدان و بعد وفاته بدأت تنشط ظاهرة "الدروس الخاصة " وهي عبارة عن دروس وعظية ذات طابع سياسي تتم في حلقات هدفها التوعية السياسية بطرح المشاكل الاجتماعية بكل مستوياتها مع تقديم البديل الإسلامي ، شكلت هذه

[1]Zohra, BENAROUROS, Amokrane, AIT IDIR, Fella, MIDJEK, Op. cit .PP 35-38

المرحلة خطوة جوهرية في نقل حركة الدعوة إلى الأوساط الشعبية وازدياد قاعدتها خاصة مع فشل مشروع الانفتاح للرئيس الشاذلي بن جديد و تراجع المعرضة السياسية الكلاسيكية الذي أعطى لتيار الإسلام السياسي مبررات الانتشار .[1]

يعتبر الإسلاميون بمثابة الفاعلين السياسيين الأكثر استفادة من الانفتاح الديمقراطي الذي أعقب أحداث أكتوبر 1988 بحيث تأسست في زمن قياسي عدد من التنظيمات السياسية الإسلامية :

1.الجبهة الإسلامية للانقاد(FIS) : تأسست في 18 فبراير1981 بمسجد السنة بباب الواد– الجزائر العاصمة ، وحصلت على موافقة وزارة الداخلية في 1989/9/16 تتركب الجبهة من ثلاث تيارات تيار متشدد (علي بلحاج) ،التيار الاصلاحي (عباسي مدني) وتيار الجزأرة (أي المحلية) و هو يضم النخب المثقفة في الجبهة (سعيد محمد، عبد القادر حشاني...) أظهرت جبهة الانقاد قدرة فائقة على التعبئة وهو ما عكسته نتائج الدورة الأولى للانتخابات التشريعية 1991/12/26 حصول FIS على 184 مقعدا (من مجموع 430) في حين لم يحصل FLN إلا على17 مقعدا، أما جبهة القوى الاشتراكية المعرض الكلاسيكي مند السنوات الأولى للاستقلال فقد حصلت على 26 مقعدا .

2.حركة مجتمع السلم (حماس) : تأسست بتاريخ 11 ديسمبر 1990 و رخص لها في 1991/3/26 يترأس الحركة محفوظ نحناح ، ويمكن اعتبار أعضاءها بمثابة النسخة الجزائرية للإخوان المسلمين المصرية .

3.حزب النهضة : تأسست في أكتوبر 1990 و يترأسها الشيخ جاب الله ، يعتبر حزبه ذو توجه إصلاحي ، ويمثل بشكل ما المثقفين الاسلامين .[2]

إن جدور حركة الإسلام السياسي في الجزائر بالاستناد على القراءة التي يقدمها الإسلاميون لا ترتبط بحركة الإخوان المسلمين في مصر ، و يرفضون اعتبارها من نتاج الثورة الايرنية أو

[1] عبد الباقي الهرماسي و آخرون ، الدين في المجتمع العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2000 ،ص 504.

[2] صلاح الدين، برحو، المرجع السابق ، ص 138.

أفغانستان و إنما بداياتها ترجع إلى زمن بعيد . وفي هذا يقول محفوظ نحناح « لعل العمل الإسلامي في الجزائر يتمثل في أول رجل حمل السلاح مجاهدا لإعلاء كلمة الإسلام و ضد العدوان الفرنسي على الجزائر ، الذي وقف كالطود الأشم أمام غزو مركز كان يستهدف القضاء على الإسلام و على اللغة العربية و الإبادة الجماعية للإنسان الجزائري المسلم .»[1]

إن العرض المتسلسل لهذه التغيرات التي مست الحقل الديني في الجزائر نظريا من إسلام التقليدي إلى الإسلام الإصلاحي إلى الإسلام السياسي ، لا يعني أن هذا التسلسل نلمسه بهذا الوضوح في الواقع الذي لا يبدو على قدر كبير من الحسم في عمليات التغيير الديني ، فبالرغم مثلا أن ما جاء به التيار الإصلاحي بقي سائد في الجزائر مباشرة بعد ما أحكمت الدولة قبضتها على المجال الديني ، و الذي رأى أطروحته تتحقق مع قيام الدولة الوطنية من خلال مفهوم الإسلام " الخالص ، الموحد والمجرد " هذه المقولات التي نجدها تتكرر في الخطاب الرسمي ومناهج الدراسية كأوضح مثالين بقي دور الزوايا حاضرا حتى وان فقدت سلطتها السياسية والاقتصادية ، فلا زالت الصوفية على اختلاف طرقها تحتفظ بأتباع و أصبحت في وقتنا الراهن مدعمة من طرف الدولة، ودخلت أو أدخلت المعترك السياسي بشكل أو بآخر . [12]

[1] حسن ،طوالبه ، العنف و الإرهاب من منظور الإسلام السياسي (مصر و الجزائر نموذجا) ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ،الطبعة الأولى ، 2005، ص 218.

[2] **أنظر التحقيق الصحفي الذي نشر في جريدة الوطن الناطقة بالفرنسية تحت عنوان** **« ces politiciens qui cherchent la baraka** des cheikhs » **بتاريخ 29 أبريل 2012**.

3.2.الدولة الوطنية ، العولمة ، الإسلام :

يرتبط مفهوم الدولة الوطنية بمفهوم السيادة من جهة ، كما يرتبط بمفهوم الشرعية من جهة أخرى. إن إحدى الوظائف الأساسية للشرعية هي أنها تعطي سببا و توفر التبرير اللازم لوجود الدولة وكذلك التنظيمات الاجتماعية و الهياكل الإدارية والوسائل الضرورية لإدامة هذه المؤسسات و الحفاظ عليها، ويكون القانون في هذه الحالة كأقوى مظاهر التعبير عن سيادة ، هذه الأخيرة التي زودت الدولة بسلطة عليا شاملة لكل شبر داخل هيمنتها الحدودية ، و التي هيئة لها التحكم في كل مساحات الحياة الاجتماعية .

هذا الطرح في تحديد خصائص الدولة خاص بفترة ما قبل العولمة ، فلم تعد السيادة في أواخر القرن العشرين بمعناها التقليدي قابلة للتطبيق « إن السيادة لم تعد ثابتة في مكان محدد حتى يمكن الدفاع عنها عنده »[1] .تسارع موجة العولمة فرض على الدولة الوطنية قواعد جديدة على جميع المستويات، فالعولمة ليست عملية تجري في كوكب أخر بعيد عنا و لا صلة لنا بها ، فهي ظاهرة تعيش بيننا ونتعايش معها بشتى الأساليب و الوسائل ، وقد دخلت سياق حياتنا الاقتصادية و الثقافية والاجتماعية من خلال مصادر غير رسمية في كثير من الأحيان مثل وسائل الإعلام و التواصل الفردي مع أشخاص آخرين من ثقافات و بلدان أخرى .

ما يهمنا من بين هذه السياقات الحياتية ما يرتبط بالمجال الديني ، فالحال أن الديني اليوم كما ذهب إليه (أوليفيه روا) ينتقل خارج أي نظام للهيمنة السياسية .[2] تواجه الدول في سياق العولمة إذن رهان الحفاظ على خصوصياتها الدينية .

---

[1] عثمان ،هندي ، نادية ، نجبر ، العولمة وسيادة الدولة الوطنية ، دار الهدى للنشر والتوزيع، 2005، ص 130.

[2] أوليفيه ، روا ، المرجع السابق ، ص 28 .

تعيش الجزائر منذ سنوات كغيرها من دول المغرب العربي هذا التحدي (الحضاري) خاصة وأن المجال الديني فيها غير مستقل عن السياسي، فالإسلام عرف كأساس للهوية الوطنية و بالتالي فالدفاع عنه يكون عن طريق المؤسسات الرسمية للدولة.

إن هذه السياسة التدخلية (La politique interventionniste) في التعامل مع المجال الديني ترجمة أساسا من خلال نشاطات موجهة لتسير ممتلكات الحبوس و مراقبة المساجد و تكوين رجال الدين و توظيفهم من قبل الدولة بهدف توزيع مبادئ دينية إسلامية مشتركة في وسط المجتمع الجزائري ، وهذا ما يمكننا أن نسجله من خلال النشاطات التي تقوم بها وزارة الشؤون الدينية ، فمنذ 1967 تنظم الوزارة ملتقيات للفكر الإسلامي ، و دروس لترتيل القرآن الكريم، و منذ 18 مارس 2009 تنشط قناة تلفزيونية للقران الكريم ثمانية سعات يومية ذلك رغبة في الحفاظ على السلطة الدينية للدولة بخصائص الفكرية للمذهب المالكي المهدد اليوم بصعود الفكر السلفي في العالم الإسلامي .[1]

ما يمكن للملاحظ للمجال الديني في الجزائر تسجيله في الوقت الراهن في مسار ترسيخ مفهوم الإسلام الوطني مقابل الوهابية و المذهب الشيعي في المشرق العربي و الانجيلية العالمية، هو تصاعد الاهتمام بما يعرف بإسلام الزوايا "Islam confrérique "، هذا الأخير الذي همش في مرحلة سابقة ، و اعتباره كمتورط مع السلطة الاستعمارية ، في حين يعتبر الآن كعنصر موافق للهوية مقابل المذاهب المستوردة .

أما التحدي الأخطر الذي تواجه الدولة في السنوات الأخيرة وان كان أقل تجليا ، ولكن أكثر تأثيرا في بنية المجتمع هو ظاهرة فردنة "individualisation "الممارسات الدينية التي ظهرت مند

[1] Papi, Stéphane, **Le contrôle étatique en Algérie : un héritage de l'époque coloniale,** Revue L'ANNEE DU MAGHREB, Ed CNRS, 2010 , VI, Paris,499.

عدة سنوات في الغرب، و التي بدأت تعرف في الجزائر كغيرها من دول الجوار من خلال التأويل الفردي للشرع الإسلامي وهذا ما لاحظه (Bernard Boutiveau)[1]

إن المواقف الفردية و الجماعية تجاه المعايير الإسلامية تغيرت مقابل تراجع سيطرت المؤسسات الإسلامية الرسمية المراقبة من طرف الدولة والتي تركت المجال مفتوح لفاعلين جدد من بينهم الإعلام ومواقع الانترنيت.

[1] Ibid. P 501.

- خلاصة:

إن حالات التحول الديني التي تمت أثناء المرحلة الاستعمارية ارتبطت أساسا بالتجنيس ، لكن هذا لا ينفي وجود حالات من التحول لم تخضع لقانون التجنيس و اكتفى أصحابها باعتناق المسيحية دون الخضوع لإجراءات الحصول على الجنسية وفي هذه الحالة يبقى المتحول كما سبق وأن أشرنا يعيش حالة الأهلية ، حالات التجنيس التي شهدتها المرحلة الاستعمارية اعتبرت من قبل جمعية العلماء المسلمين على لسان مؤسسها عبد الحميد بن باديس "ردة" ، شكل- التجنيس- منفذ للخروج من الوضعية الأهلية مع كل ما أفرزته من ظروف اجتماعية واقتصادية قاسية بالتخلي عن الحالة الشخصية الإسلامية والدخول في المواطنة الفرنسية الكاملة التي تهيئ للمتجنس التمتع بالحقوق السياسية والمدنية، هذا ما حمل الباحثة الجامعية كريمة ديرش بتصنيف التحولات التي تمت في هذه المرحلة المرتبطة خاصة بالأهالي ذو الأصول القبائلية :

La conversion de l’indigène

إن هذه التحولات الدينية عموما كانت محل رفض المجتمع المحلي وخاصة عندما نتحدث عن المجتمع تسيره تنظيمات تقليدية كانت فاعلة في هذه المرحلة فنجد على سبيل المثال : " تاجماعت" في منطقة القبائل ، "نظام العزابة " في الصحراء الجزائرية وبالتحديد بوادي ميزاب والتي تشكل سلطة معنوية قوية قراراتها نافدة ، فقد يتعرض المتجنس الذي يطلق عليه مصطلح (مطورني) إلى أقصى درجات التهميش و النبذ من القرية أو الدشرة .

الفصل الثالث :

" التحول الديني الانجيلي في الجزائر "

« لم ينتهي وقت المبشرون بعد : يجب البحث عن مساعدين حتى نخترق البلدان المقفلة في وجه المبشرين، منتجون مبدعون مستقر في أذهانهم العقيدة السليمة ، حتى يستطيعون نشر البرامج الجيدة للتبشير عن طريق الأقمار الصناعية، لغويون، خبراء و أوفياء حتى يترجمون بدون تعب الكتابات الانجيلية »

Paul GESHE, 2004Geertz, C ,1992.

- مقدمة :

نسعى من خلال عناصر هذا الفصل إلى تقديم تحليل سوسيو سياسية لظاهرة التحول الديني الانجيلي المرتبطة بحالات التحول من الأصول القبائلية ، بالاستناد على القراءات النظرية في هذا المجال و المعطيات الميدانية فيما يتعلق بالمقابلات مع المبحوثين التي أجريت على مستوى الكنيسة الانجيلية في ولاية وهران و تيزي وزو ، والملاحظات التي استطعنا جمعها طوال مدة أربعة أشهر من البحث الميداني .

إن الهدف المسطر في هذا الفصل هو الإجابة عن الإشكال المطروح باستغلال المفاتيح التاريخية والسياسية المتاحة حول تاريخ الحركة الاحتجاجية المرتبطة بالمطالب الهوياتية والسياسية التي شهدتها الجزائر في سنوات الثمانيات في منطقة القبائل، والتي تبقى إلى حد الآن مجرد فرضية تعتمد عليها في طرح عناصر التحليل الخاصة بظاهرة التحول الديني عند المتحول ذو الأصول القبائلية ، و في نفس الوقت فتح المجال أماما عناصر أخرى في التحليل بمعطيات جديدة قد يمدنا بها الميدان ، و التي لا تفسرها بشكل كامل الفرضية التي اعتمدنا عليها، وهذا ما سنتأكد منه في سياق هذا الفصل .

1. التحول الديني والفضاء العام ؛

1.1. التبشير الديني: نقل تجربة التحول من الفضاء الخاص إلى الفضاء العام

تتميز الكنيسة البروتستانتية الانجيلية في الجزائر عن باقي الكنائس بإيمان أتباعها و تطبيقهم لمحتوى النص الانجيلي ، فالتبشير الديني فكرة أصيلة في العقيدة الانجيلية تستند على نصوص دينية ، من بين أهم هذه النصوص التالي : **[** فاذهبوا و تلمذوا جميع الأمم و عمدوهم باسم الأب و الابن و الروح القدس و علموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به و ها أنا معكم كل يوم إلى انقضاء الدهر. **]**[1] . التبشير إذن اعتمادا على هذه الآية وغيرها من الآيات التي تسمى بآيات الإرساليات العظمى هو فعل شرعي(Acte légitime) وفق ما يعتقده كل مسيحي انجيلي ، الذي تكمن مهمته أن يحمل البشرى السارة بالخلاص الذي يناله كل شخص يدخل إلى المسيحية «...المؤمن عندنا الذي لا يبشر كالإنسان العقيم الذي لا يلد ... » . يتم التبشير بالخلاص الذي يمكن أن يناله الشخص من خلال شهادة المتحول وحياته ، التي تعكس صورة المسيح الذي لمسه إما بالشفاء أو الراحة النفسية أو الاستقرار الاجتماعي و غيرها من الأمور الايجابية التي يتم الحديث عنها في شهادة التحول .

يقول المبحوث (مولود في سن الأربعينات) في معرض الحديث عن أسباب انتشار الحركة الانجيلية في الجزائر : **[...التبشير هو سبب أساسي، فالكاثوليك لا يزعجون لأنهم لا يبشرون، فأنت عندما تجد كنز ترغب في نشره وهو البشارة السعيدة ، وان لم تفعل ذلك فأنت غير خاضع لله ويبقى الإيمان شيء خارج إرادتنا فالشخص يؤمن ، أو لا هذا ليس مشكلتي فأنا مهمتي نقل البشارة.]** [2]

[1] **Evangile Matthieu 28 :19-20**

[2] **المقابلة رقم 17 ، تمت بتاريخ** 2013/04/16 **بمقر الكنيسة الانجيلية بتيزي وزو.**

إن التبشير الديني إذن يجعل من تجربة التحول تتجاوز الفضاء الخاص للفرد ، لتمس أفراد آخرين ولذلك فكل متحول مسيحي انجيلي هو مستقبل متحول آخر. إن هذا الالتزام التبشيري في العقيدة الانجيلية دفع بالجهات الرسمية لإصدار قانون تنظيم الشعائر لغير المسلمين 2006 ، فإذا كان فعل التحول الديني غير مجرم قانونيا فالنشاط التبشيري (التنصيري) الذي يترتب عنه يدخل في إطار العمل غير المشروع الذي يستحق التجريم و من تم العقاب.

«... يعاقب بالحبس من سنتين إلى خمس سنوات وبغرامة مالية كل من يحرض أو يضغط أو يستعمل وسائل إغراء لحمل مسلم على تغيير دينه أو يستعمل من أجل ذلك المؤسسات التعليمية أو التربوية أو الاستشفائية أو الاجتماعية أو الثقافية أو مؤسسات التكوين أو أي مؤسسة أخرى أو أي وسيلة مالية ما ...»[1]

في إطار قانون 2006 سجلت في سنة 2008 سلسلة من الغرامات بتهمة التبشير الديني وممارسة الشعائر الدينية غير إسلامية دون ترخيص و التي بدأت بطرد الراعيHugh Johnson من جنسية أمريكية و القائم على الكنيسة البروتستنتينية بالجزائر منذ 40 سنة . صاحب هذه الغرامات إغلاق 16 كنيسة تابعة لاتحاد الكنائس البروتستنتينية الجزائري التي تأسست في 1972 (EPA) و9 كنائس بروتستنتينية مستقلة منعت من مزاولة نشاطاتها . أثار هذا القانون ردود أفعال على جميع المستويات، ما يهمنا في هذا المجال رأي المبحوثين و على رئسهم من يمثلون الكنيسة الانجيلية في وهران و تيزي وزو :

المبحوث صالح (قس في الكنيسة الانجيلية بوهران) : **[... ذلك القانون لم يساعدنا لأنه ضيق على الكنيسة ممارسة الشعائر ولم ينظم الشعائر، حتى أننا طالبنا عدة مرات رخصة بناء كنيسة ولكن دائما كانوا يرفضون، لكن صدقيني أن الكنيسة سجلت أعلي نسبة من المترددين عليها في تلك السنة.]** [2]

---

[1] قانون تنظيم الشعائر الدينية لغير المسلمين الصادر في الجريدة الرسمية بتاريخ **1** مارس **2006** الموافق ل**1** صفر **1427**، العدد **2** ، المادة **11**.

[2] أشهر حادثة فيما يخص تطبيق قانون **2006** ما يعرف "بقضية حبيبة قويدر" الفتاة الجزائرية المتحولة إلى المسيحية من ولاية غيليزان ، التي وجد في حقيبتها عدد من الأناجيل في الحافلة واتهمت بالتبشير و عرضت على الجهات القضائية بهذه التهمة أثارت قضية حبية ردود أفعال دولية مساندة لها واعتبار أن الجزائر دولة تقمع الحريات **أنظر**COURRIER INTERNATIONAL N° 920 DU 19AU 25 JUIN 2008 .P30

المبحوث عميروش (قس في الكنيسة الانجيلية بتيزي وزو) : [**ما أعرفه هو أني لست موافق على هذا القانون ، لأن التبشير هو مأمورية ويجب أن نكون شهود للمسيح ،لكن يوجد المكان المناسب و أين ، ولمن ، وكيف أنا أبشر**][1]

المبحوث جيلالي (قس في الكنيسة الانجيلية بتيزي وزو) **:[... يتحدث القانون عن تحريض شخص أن يؤمن بالمسيح فهل عندما نسمع الأذان في الليل هذا ليس تحريض ؟...إن القانون في الجزائر يطبق على أساس مسلم ومسيحي فكل الحقوق تعطى للمسلم ... الدولة فرضت دين وعلى الكل أن يتبع ، أي مسلم بمرسوم** (un musulman par décret) **]**[2]

[1] **المقابلة رقم (03) تمت بتاريخ 2013/04/16 بالكنيسة الانجيلية بتيزي وزو .**

[2] **المبحوث جيلالي ، المقابلة السابقة .**

2.1.المنظومة القانونية في الجزائر و ظاهرة التحول الديني :

يختلف القانون الجزائي فيما يخص التعامل مع موضوع (الردة) في الدول التي نجد فيها أن الإسلام دين الدولة ، إيران، أفغانستان، اليمن، المملكة العربية السعودية أين نجد أن الخروج من الإسلام يعادل عقوبة الإعدام و الدخول إليه بتم تشجيعه عن طريق مراكز الدعوة بحيث يوجد حوالي 150 مركز مكلف بدعوة الأشخاص الأجانب القائمين في المملكة إلى الإسلام ، تركيا مند 1986 القانون يعاقب من ستة أشهر إلى عامين سجن لكل شخص يوجه إهانة للدين الإسلامي (الله أو الرسول 'ص') ، في ليبيا المرتد تسحب منه آليا الجنسية، في المغرب المادة 220 تحدد عقوبة تتراوح من ستة أشهر إلى ثلاثة سنوات سجن لكل شخص متهم بالتبشير ونفس العقوبة بالنسبة (للمرتد).[1] أما في حالة بلد كالجزائر يضعنا طرح مسالة "الردة" أمام ثنائية قانونية في التعامل مع الأشخاص **(**المرتدين**)** . فبينما ينص المشرع الجزائري في ديباجة دستور 1996 على « أن الجزائر أرض الإسلام» وأقر في المادة الثانية منه أن الإسلام دين الدولة بل وأوجب في المادة "76" منه على رئيس الدولة عند تأدية اليمين التعهد باحترام الدين الإسلامي وتمجيده والمحافظة عليه والسهر على تطبيق أحكامه ومبادئه والالتزام بقيمه وأهدافه ، وكذلك في اعتلاء منصب الرئاسة الذي أسند لمن يكون مسلما .

يقر المشرع في الدستور نفسه على احترام حرية الاعتقاد والرأي ويسمح للجزائريين تشكيل مؤسسات في إطار احترام الحريات الأساسية للمواطنين.[2]

---

[1] Salah, GUEMRICHE, Op cit . P 25.

[2] جيلالي ،شوار ،حق الأشخاص في اختيار ديانتهم وموقف الدساتير والقوانين المغاربية للأسرة منه، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية الاقتصادية والسياسية ، العدد 03-2010 ، جامعة الجزائر، كلية الحقوق ، ص 264.

إن معالجة مسألة تغيير الديانة (الردة) من خلال المواد القانونية المتباينة والمتعايشة في الدستور نفسه تطرح اشكال كبير (فالردة) غير مجرمة قانونيا ، المرتد (التعبير المستعمل في النصوص القانونية) لا يجلد ،لا يغر ماليا ، لا يحرم من حقوقه الدستورية ما دام يمارس حقه في اختيار عقيدته حسب ما نص عليه المشرع ، لكن إذا ما نظرنا كأوضح مثال إلى قانون الأسرة الجزائري المستمد من الشريعة الإسلامية فنجد أن "المرتد" يحرم من حقوقه الأسرية. نتحدث هنا عن الزواج الطلاق والإرث وتربية الأبناء ،و هذا ما يمكن أن نستخرجه من المواد التالية :

ينص المشرع الجزائري المادة "32" من قانون الأسرة1984 قبل تعديلها على أن الزواج يبطل بسبب الردة غير أن التعديل الذي تم إدخاله بمقتضى الأمر الصادر في 27 فبراير 2005 ألغى هذه المادة أي حالة بطلان الزواج ولم يدرجها بعد ذلك لا في حالات الفسخ ولا في حالة الطلاق مما يدفع إلى التساؤل عما يترتب عن فعل الردة في حالة الزواج من الأحكام والطرق الواردة في الفقه الإسلامي . لكن في المقابل لا زال ينص في المادة "138" من ذات القانون على أنه : يمنع من الإرث اللعان والردة . في هذا الصدد يمكننا أن ندرج ما قاله لنا المبحوث (أمقران 50 سنة) كشهادة حية على تطبيق هذه المادة من القانون :

[...الميراث عندنا يكون نفس الشيء للبنت مثل الولد ، لأن الرب لم يجعل الخلاف بين الرجل و المرأة العدالة تطبق الإسلام هناك الوصية مثلا الشريعة الإسلامية تقول من كان مسلم وأصبح مسيحي لا يحق أن يورث ، أنا تعجبت لأن هذا الأمر حدث معي شخصيا أخي لديه الجنسية الفرنسية يحق أن يرث و أنا الذي بقيت وأصبحت مسيحي لا يحق أن ارث ،هل يقبل العقل هذا الأمر ،أنا اطلب من العدالة الجزائرية أن تكون حيادية.] [1]

اشترط المشرع الجزائري في المادة 62 من نفس القانون على أن تتم تربية الطفل على دين أبيه ومادام انه لا يجوز للمسلمة أن تتزوج مع غير المسلم، فانه ينبغي على الحاضنة سواء كانت

[1] المقابلة رقم 01. تمت بتاريخ 5 /09/ 2012، بمقر الكنيسة الانجيلية بوهران .

مسلمة أو مسيحية أن تقوم بتربية المحضون على الديانة التي يعتنقها أبوه، و إلا تسقط عنها الحضانة .[1]

هناك حادثة في هذا السياق تداولاتها الصحافة الوطنية : ‹ في منطقة القبائل مباشرة بعد ولادة الأم، طلب الزوج الذي اعتنق المسيحية قبل الزواج تسمية الابن باسم مسيحي ففوجئ برفض الأم وبعد تدخل إخوة الزوجة وإصرارهم على استرجاع الأم و المولود طلبت الزوجة الطلاق مع الاحتفاظ بالطفل فكان حكم القضاء لصالح الأم بل ، و أكثر من ذلك منع القاضي كل اتصال للأب مع ابنه لسبب ردته . › [2]

[1] تشوار جيلالي ، نفس المرجع ، ص 277.

[2] جريدة الخبر اليومية، الخميس 16 نوفمبر 2006.

3.1. تعامل الخطاب الرسمي و الإعلامي مع ظاهرة التحول الديني :

إن ظاهرة التحول الديني في الجزائر لم تبقى في إطار القناعات والممارسات الفردية ، ذلك بفعل النشاط التبشيري (الالتزام التبشيري) للإنجيليين ، فلقد أصبحت الظاهرة تشكل موضوع رأي عام حتى وان كان إلى حد الآن محصور في بعض التصريحات من قبل القائمين على السلك الديني في الجزائر أو من قبل الإعلام ، الفاعل البارز في هذا المجال فمن خلال احتكاكنا بمجتمع البحث (المتحولون المسيحيون) يشكل الإعلام الهاجس الأكبر بالنسبة لهم لأنه يعمل بشكل أو بآخر على إثارة الرأي العام حول وجود طائفة دينية تمتاز بعنف خطابها الديني ، و استعمالها للإغراءات المادية ،سواء تعلق الأمر بالمساعدات المالية للأشخاص المهمشين أو منح الفيزا من أجل تحويل الجزائريين عن دينهم في بلد يدين أهله بالإسلام. خاصة عندما نتحدث عن الصحافة الناطقة بالعربية (المستقلة) و بالتحديد (الشروق) كجهة إعلامية مستقلة تملك الوسائل السمعية البصرية ركزت على الظاهرة بشكل كبير ، من جهة أخرى نسجل اختلاف واضح لدى الصحافة الوطنية الناطقة بالفرنسية (المستقلة) على مستوى المقالات التي تعالج ظاهرة التحول الديني، باعتبارها مسألة التحول الديني ممارسة مشروعة تعكس حريات الأفراد فيما يخص تغيير أو التعبير عن المعتقدات الدينية ، نتحدث هنا عن صحيفة (الوطن) بالتحديد فمن خلال تصفح المقالات التي نشرت حول الظاهرة نجد أن الصحيفة تنقل مطالب المتحولون فيما يخص فضاء المواطنة، عرض شهادات التحول الديني للأشخاص الذين اختاروا نشر تجربتهم في التحول . تعتمد الصحيفة في مقالاتها التي تطرح ظاهرة التحول الديني على متخصصين و باحثين أكاديميين سعيا منها لإعطاء تحليلاتها الطابع الموضوعي .[1]

---

[1] للمزيد من المعلومات طالع جريدة الوطن الناطقة بالفرنسية ، الأعداد التالي :

- El Watan – vendredi 17-samedi 18 mars 2006 . - El Watan – jeudi 29 mai 2008 .
- El Watan- vendredi 11 novembre 2011.n°136.

عموما الاختلاف في علاج الظاهرة بين الصحافة الناطقة بالعربية وأخرى الناطقة بالفرنسية هو اختلاف راجع إلى سياسة الصحيفة وتوجهاتها الفكرية ، واختلافها في هذا الصدد هو مثلا بسيط من جملة اختلافاتها في مواضيع متعددة .

أما بالنسبة للخطاب الرسمي فهو لا يخرج كونه خطاب إيديولوجي يحمل رهانات واستراتيجيات في توجيه الخطاب ، هذا ما يمكن أن نلحظه على جميع المستويات و طرح ظاهرة التحول الديني لا تخرج عن هذه الإستراتيجية . إن الحديث عن وجود حالات تحول ديني في الجزائر يطرح على المستوى السياسي و الإداري إشكالات متعددة فيما يخص تنظيم الحقل الديني الذي أصبح مفتوح على مدخلات جديدة و غريبة على المجتمع مسلم سني، مالكي الأمر لا يخص فقط التحول الديني المسيحي وإنما هناك تحولات تتم نحو المذهب الشيعي ، لكن التسيير هنا لا يطرح إشكالات جوهرية حتى وان كان التشيع هو أيضا ظاهرة تدور في الخفاء و تمس بالإجماع السني لغالبية الأفراد في المجتمع الجزائري .

إن ما يمكن نصطلح عليه بنظرية المؤامرة نجد عناصرها حاضرة في الخطاب الرسمي بالحديث عن جهات أجنبية تغذي و تفتعل أقليات دينية في الجزائر . وهذا ما نجده بوضوح في تصريح مدير الشؤون الدينية السيد " عبد الله غلام الله " :

[القساوسة لم يؤتوا إلى الجزائر لأنهم يحبونها أو لأنهم يحبون المسيحية ولكن لخلق أقلية التي تعطي ذريعة للقوى الخارجية للتدخل في شؤوننا باسم حماية الأقليات نتكلم اليوم عن اضطهاد المسيحيين في الجزائر ، فهذا دليل على هذا التوجه، و أن كنت لا أوبخ المواطنون الذين تحول والى المسيحية فأنا أدعوهم إلى أن لا يتشكلوا كأقلية في بلادهم.**]**[1]

[1]تصريح لوزير الشؤون الدينية لجريدة " **L' expression** " ، العاصمة ، **17**ماي **2008** .

يدعم الخطاب الرسمي بالموازاة أطروحة أخرى ، متعلقة بالدعم المادي الذي يحصل عليه المتحول الذي يعاني من الفقر فور إعلان (تمسحه) وهذا ما أفادنا به مدير الشؤون الدينية السيد (حسين بلقوت) الذي يرى أن من واجبنا كباحثين أن لا نهول الظاهرة وأن نعطيها حجمها الحقيقي. فعلينا أن تكتفي بدراسة الحالات وأن نتوصل بعدها إلى تحديد عوامل التحول الديني .

يقدم مدير الشؤون الدينية في هذا السياق واقعة يعتبرها الغالب الأعم في دوافع التحول الديني انطلاقا من معاينته الخاصة: [**...هناك عائلة تحصل على مبلغ شهري قدره 10.000 دج مقابل حضورها الأسبوعي إلى الكنيسة وأداء الصلاة مع المسيحيين كل جمعة، لكنها في الواقع لا زالت تحافظ على إسلامها إنما تتردد على الكنيسة فقط للحصول على هذا المبلغ المالي لأنها في حاجة إليه ...** .][1]

بغض النظر عن صلاحية هذا الخطاب في تفسير الواقع الاجتماعي تبقى أطروحة الخطاب الرسمي فرضية مطروحة بقوة بالنظر إلى ما يحدث على الساحة الدولية ، وبالاعتماد على ما ذهب إليه الباحث "نور الدين بن شنوف" في هذا المجال (راجع الفصل الثاني) . عموما سوف يكون المبحث الثاني من هذا الفصل عبارة عن تمحيص للطرح الإعلامي والرسمي ، بالغوص في عمق الوقائع الامبريقية .

[1] **حصلنا على هذا التصريح من مدير الشؤون الدينية بوهران ، بتاريخ 26 /02/ 2013 .**

2.دراسة سوسيو سياسية لحالة المتحول الديني ذو الأصول القبائلية ؛

1.2.شهادات التحول الديني والبحث عن عوامل ومحفزات التحول :

تعتبر شهادات التحول الديني من أشهر التقنيات المعمول بها في العلوم الاجتماعية لدراسة ظاهرة تغيير أو العبور من معتقد إلى آخر. تتيح هذه التقنية للمتحول الفرصة للحديث عن تجربته الروحية وكل ما يحيط بها من مؤثرات اجتماعية ،سياسية ، نفسية ... التي يعتمد عليها الباحث في الكشف عن عوامل التحول الديني عن طريق تحليل الخطاب الذي يصدر من المتحول ، هذا الأخير الذي يصبح فاعل أساسي يحمل معنى لتجربته يعبر عنها من خلال سرد مجموعة من الوقائع و الأحداث يراها مهمة و التي شكلت نقطة تحول في مسار حياته . عادة ما تكون هذه النقطة عبارة عن أزمة يمر بها المتحول يبحث لها عن أنظمة تفسير التي تنهي به إلى اللقاء مع "السيد المسيح" الذي يشكل بالنسبة له ميلاد روحي جديد إذا ما أخذنا بعين الاعتبار فكرة الخطيئة الأصلية التي تحرك العقيدة المسيحية والبحث عن الخلاص الذي لا يتاح إلى الشخص إلا بالاعتراف بالمخلص وهو "سيدنا عيسى" .

يهدف المتحول من خلال سرد شهادته في المقام إلى التأثير في المتلقي وحمله على الاعتقاد أن فعل تحوله أمر كان لابد أن يحدث ويمكن أن يحدث للباحث نفسه ، إذا ما شهد الأحداث والواقع ذاتها بمعنى طرح إمكانية تحول أي شخص مهما كان درجة تدينه . تعتمد شهادات التحول الديني خاصة في المسيحية على ثقافة المعجزات التي يعتقد فيها المتحول ، فقد يتم تأويل مجموعة من الأحداث و الوقائع على أنها تفسر تحوله و ترسخه بل قد تكون إشارة اللاهية على أن الشخص مبارك أو على أنه في الطريق الصحيح

[كنت أتحدث مع أحد الأخوات على الهاتف على السيد المسيح وبعد أن أنهيت المكالمة ورأيت الرصيد تذكرت أنه لم يكن لي أصلا رصيد حتى أجري هذه المكالمة لكن ببركة "الرب يسوع" وحده تم ذلك هل رأيت ماذا يفعل ...][1]

تعتمد شهادات التحول الديني من جهة أخرى على الأحداث الراهنة ذات الأبعاد الرمزية عادة ما يتم الحصول عليها من الصحافة والتي تعطي صورة سلبية للدين الذي غادره المتحول (الإسلام)، فمثلا وضعية المرأة في المملكة العربية السعودية وحالات الاغتصاب فيها باعتبار أن المنطقة تحمل رمزيتها بالنسبة للمسلمين وهذا ما قاله لنا أحد المتحولون الانجيليون (N/A) :

[...هل رأيت ما ذا يفعل المسلمين لكن أنا لا ألومهم وان كانوا يتحلون جزء من الخطى ولكن الشريعة التي هم عليها هي من توقعهم في مثل هذه الأخطاء فلا يمكن للإنسان أن ينجو بالشريعة وإلا فشريعة موسى تكفي لوحدها ولا داعي لشريعة الإسلام ...] [2]

في سياق الثأتير الذي يطمح إليه في المتلقي قد يتم استدعاء شهادات أشخاص أخريين لها رمزيتها فقصة تحول الإمام السابق (جمال) من أصول قبائلية مثال عن الشهادات التي يتعمد المبحوثين استغلالها :

[... في منطقة "ايواضيا" بولاية"تيزي وزو" كان هناك شيخ صاحب معصرة زيتون ، يعملون عنده شخصين مسيحيين وذات يوم جاء أحدهم إلى صاحب المعصرة وقال له ألا تعلم أن هؤلاء العمال مسحيين وطلب منه إيقافهم و يأتي بغيرهما ،وكلما كان يطرد المسيحيين كانت المعصرة تغلق .فقال هذا الإمام من هذا الرب عند هؤلاء ولماذا كلما يطردون تغلق المعصرة ففي ذلك الحين حاولت أن ي فهم بحث على الإنجيل وأقام مقارنة مع القرآن أتعرفين ماذا وماذا قال ؟ قال لنا لم يجد أي خطأ ولم يجد كلام ليس طيب مثال الآية التي تقول "ذلك الكتاب المبين" لما حلل الآية اكتشف أمور عديدة وجد أن القرآن لا يتكلم عن القرآن

[1] في حديث دار بنتا وبين أحد المتحولات " فوزية " من أصول قبائلية داخل الكنيسة الانجيلية بوهران.

[2] مقابلة رقم 07 (لم يصرح المبحوث باسمه) تمت بتاريخ 2013/04/19 ¡ في مقر الكنيسة الانجيلية بتزي وزو.

لأن لو يتكلم عن القرآن لقال هذا الكتاب المبين ولكن في القرآن قال ذالك الكتاب المبين ،إذا يوجد كتاب أخر والكتاب الأخر هو الإنجيل . كما أنه يتقن اللغة العربية مثال الآية " ينال عهدي الظالمين" قال لي تعجبت كيف هذا الرب لا يعرف العربية. لأنه من المفترض "ينال عهدي الظالمون" لأن الفاعل يكون مرفوع، فقال لنا آنذاك أيقنت أن القرآن لا علاقة له بالله أو الرب.][1]

إذا كانت شهادات التحول الديني تقدم من طرف المبحوث على أنها تعكس حقيقة فعل تحوله ، فهي لا تشكل بالنسبة للباحث سوى مجموعة من التمثلات و التصورات ، ولا تعكس الواقع بالضرورة ، فالواقع أصعب و أعقد من أن نتوصل إليه بمجرد رواية يسردها المبحوث الذي هو نفسه فاعل أساسي في الظاهرة ، وهذا دفعنا أن نأخذ مسافة عن الرواية التي يقدمها المبحوث التي تخضع هي الأخرى إلى رهانات (التبشير) ، فقد تضخم بعض التفاصيل وقد يتم تجاهل أحداث مهمة هي من تحدد و تفسر واقع فعل التحول الديني عند المبحوثين .

هناك حالات عديدة صادفنها أثناء البحث قدمت لنا في بداية احتكاكنا بها خطاب لكن سرعان ما يصبح هذا الخطاب مليء بالتناقضات خاصة عندما تعتمد على أشخاص أخريين قريبين من المبحوث ، ولنا في ذلك نموذج على مثل هذه الشهادات :

(عبد الحق 23 سنة) هو حالة خاصة في بحثنا بحيث رافقنا الحالة طوال مدة البحث الميداني ، وتعرفنا على محيطها الأسري واستطعنا مع البحث المطول أن نستخرج جملة من تناقضات في رواية المبحوث فمن خلال اللقاءات الأولى مع "عبد الحق " قدم نفسه على أنه من أسرة غنية و أن تحوله إلى المسيحية جاء بعد فترة من الصراع عاشه بحثا عن الحقيقة بين الإسلام والمسيحية بعد أن قرء أول مقال عن تواجد المسيحيين في الجزائر في جريدة النهار يحمل العنوان التالي : « اللغات الأجنبية والفيزا لتنصير الجزائريين » وبعد سفره إلى لبنان حصلت له معجزة وهي رؤيته النور في غرفته المظلمة لكن اللقاءات التي جاءت بعد أن وثقنا العلاقة معه أفادنا بمعطيات

[1]قدم لنا هذه الشهادة المبحوث "أرزقي" المقابلة السابقة .

مختلفة تماما عن حياته تصل إلى حد التناقض وبعد أن تعرفنا على أسرته والجوى الذي تعيش فيه من حالة الفقر والحاجة ، علمنا أن "عبد الحق " يعاني من مشاكل اجتماعية نفسية معقدة وحاول مرات عديدة الانتحار و بحثه عن الهجرة هو من قاده نحوى المسيحية طمعا في عرض الفيزا الذي قرأ عليه في الصحافة .

تتعدد شهادات التحول الديني و تختلف فيها المحفزات بين ما هو ديني ، اجتماعي ،نفسي، اجتماعي ... هذا التعدد يرجع كون أن التحول هو تجربة فردية تحتمل الاختلاف ، كما يمكنها أن تشترك مع غيرها من التجارب في العناوين الكبرى و لكن داخل هذه العناوين توجد خصوصية يفرضها الطابع الشخصي للتجربة .هذا ما سوف نتعرض إليه ، بالتركيز على مجتمع بحث محدد وهو المتحولون الانجيليون من الأصول القبائلية ، سعيا للبحث عن العوامل التي تحرك فعل التحول الديني :

1.1.2.رفض الموروث الديني و تفعيل الأسطورة القبائلية :

يواجهنا الدين أول ما يواجهنا في صورة فكرة مسبقة أو معطى بديهي يطلب منا أن نقبله بدون نقاش وأن نمتثل لأوامره ، و إذا كان الإسلام دينا يكتسبه الناشئ في المجتمعات الإسلامية كمجتمعنا بالفطرة ، فالفرد مطالب إذن بأن يمتثل لدين لم يقم باختياره بشكل إرادي . تقوم على عملية فرض الامتثال والطاعة هذه الجماعات الأولية التي توكل إليها عملية التنشئة الاجتماعية و في مقدمتها العائلة، المدرسة، المسجد ...الخ كأهم الجماعات المرجعية في نقل و (توريث) الرموز و التجربة الدينية ، مع كل ما تحمله من استفهامات و تساؤلات يتم الخروج منها غالبا بجواب واحد «هذا حرام يعاقب عليه الله». فيظهر الدين وفق لهذا المنظور في صورة مكبل لرغبات الفرد و إرادته ورغبته في المعرفة ويظهر الله غالبا في صورة "القهار،الجبار،المنتقم"

و بالتالي يصبح الفرد داخل هذه المنظومة الدينية محاصرا [1] . يكتسب هذا البعد قوته في التفسير عند المتحول الديني (حالات الدراسة) بالاستناد أو باستدعاء الخطاب الديني الذي ساد في الجزائر أواخر سنوات الثمانينات وبداية التسعينات ، مع تشكل تيار الإسلام السياسي في الجزائر و الذي ساهم في إنتاج نظام من الاكراهات من خلال تصدير مجموعة من الأفكار المتشددة والمفاهيم لم يعهدها القاموس الديني للمجتمع الجزائري (ملتزم ، غير ملتزم ، متبرجة في مقابل محجبة،الجاهلية ، الطاغوت...) و طبعها بصبغة القداسة بدواعي امتلاك الحقيقة عن طريق التأويلات (المحرفة، لمزاجية) للنصوص الدينية بالاستناد على آيات من القران الكريم تحمل تفسيرات عدة وتحميلها أكثر من دلالة مضمونها و سبب نزولها [2]، و التي تجعل سبيل نقدها أو الاعتراض عليها مسدود كونها متعالية لأنها تنتج باسم الدين . زد على ذلك العنف الذي مارسته الجماعات الإسلامية المسلحة المرتبط إما بشرط فقدان المراقبة لدى أفرادها أو مجموعاتها بوصفها غير منشأة اجتماعيا بشكل جيد ، أو بشرط إدراك العنف كمورد للسلطة أو كإستراتيجية للوصول اليها[3]. إن هذا البعد يبدوا مهما في استخلاص عوامل التحول الديني خاصة وأن في هذه المرحلة (العشرية السوداء) نشطت الحركة الانجيلية في الجزائر، استنادا على تحليل كريمة ديرش سليماني و مصطفى بن شنوف .[4]

إن سعي الفرد (مستقبل المتحول) نحو حريته تكون إذن بالكف عن الاعتقاد الذي تجسده سلطة الأفراد (الأب، الشيخ، المعلم ، رجل الدين ...) أكثر مما تجسده سلطة الدين في حد ذاته .لكن في الواقع أن الحاجة في الاعتقاد لا تلغى تماما وإنما ترفض يشكلها القائم . فرفض المورث الديني يجعل (مستقبل المتحول) في حالة فراغ وصراع داخلي يصبح يبحث له عن حل من خلال تبني

[1] هذا التحليل مرتبط بمجموع الخطابات التي حصلنا عليها ، والتي تعبر عن رؤية الخاصة للمبحوثين في التعامل الموروث الديني .

[2] في هذا السياق يقول علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) : "إن القرآن حمال أوجه" ، كما أن الآيات لا تفسر نفسها بنفسها فقال علي(رضي الله عنه) : "إن القرآن لا ينطق بلسان" .

[3] صلاح الدين برحو ، المرجع السابق ، ص 161.

[4] للمزيد من المعطيات حول نشاط الحركة الانجيلية في الجزائر ارجع إلى الفصل الأول .

أنظمة تفكير جديدة تريحه و تفسر له واقعه ، ما قاله لنا المبحوث جمال (في أواخر الأربعينات) نموذج من الخطاب الذي نجده يتكرر عند غالبية المبحوثين في هذا السياق :

[...كان لدي فراغ رغم أنه لا ينقصني شيء ألبس جيدا و أعمل، لكن كان فراغ في قلبي و لما دخلت امتلأ الفراغ داخل قلبي ، لأني وجدت الحب ووجدت الفرح و السلام و الأخوة داخل العائلة الكبيرة منذ هذا الوقت قبلت عيسى.] [1]

إن البحث هنا عند مستقبل متحول يكون عن هوية دينية جديدة، لكنها يجب أن لا تلغي خصوصيته الثقافية واللغوية ، وإنما تكملها و تتوافق معها وهذا ما اصطلحنا عليه ارتجاليا (بالبديل الأصيل) ، خطاب المبحوث "أكلي" يجسد هذا التصور بشكل واضح :

[أنا " أكلي" أمازيغي مسيحي وهذا أصلي ... يعني أصل الأمازيغ مسيح ، أنا لم أكن يوما مسلما ولا أعرف عنه شيء ولم أجد أهلي مسلمين يعني ، حتى المنطقة تقريبا لا يصلون ولا يصومون الإسلام نعرفه من التربية الإسلامية فقط ... .] [2]

[...حنا أصولنا مسيحيين (في الدم) و عندما أصبحنا مسيحيون أحسسنا أننا عدنا إلى الإيمان الأول والتاريخ يشهد...] [3]

يبرر المتحول (حالات الدراسة) اختياراته في سبيل المزيد من الشرعية التي يسعى لإطفائها على فعل تحوله باستحضار ما يسمى بالأسطورة القبائلية ، التي تقوم أساسا على حمل سكان منطقة القبائل على الاعتقاد أنهم ليسوا عرب بل كانوا قبل الفتح الإسلامي(الغزو الإسلامي مسيحيين) مثلهم (الفرنسيين) ومن هنا يتم عزلهم عن باقي سكان البلاد كخطوة أساسية في طريق تنصيرهم. أطرت هذه الفكرة التحولات الدينية التي تمت في المرحلة الاستعمارية لصالح الكنيسة الكاثوليكية و يتم اليوم تفعيلتها بنفس عناصرها تقريبا في التحولات الدينية التي تتم لصالح الكنيسة الانجيلية .

[1] المقابلة رقم 16، تمت بتاريخ 2013/04/15 بمقر الكنيسة الانجيلية بتيزي وزو .

[2] حصلنا على هذا الخطاب من خلال محادثة دارت بيننا وبين (أكلي) في الكنيسة الانجيلية بتيزي وزو .

[3] المبحوث أرزقي ، المقابلة السابقة .

ومن جهة أخرى استدعاء الثقل السوسيو- تاريخي للمجال الأسطوري للأمازيغ قبل الإسلام، هذه الحضارة التي عملت تبقى بالنسبة له على تهميش ماضي بطولي ، وذلك بالحديث عن شخصيات سجلت حضورها في تاريخ شمال إفريقيا بداية من (سفاقس) إلى (سان أوغسطين) مرورا (بماسينيسا) و(الكاهنة) ... و غيرهم من الشخصيات التي يتم استدعائها في تحديد الهوية القبائلية مع كل ما تحمله من خصوصية والتي عمل التاريخ الرسمي على تجاهلها بعد الاستقلال.

[...لما يتكلمون عن عقبة بن نافع لماذا لا يتكلمون على الملك كسيلة !؟ الذي قتله رغم أن عقبة ليس جزائري أما كسيله هو ابن الجزائر ، أرأيت العداء الذي يخلقه الدين كيف أن عقبة بن نافع لديه تمثال أما كسيلة فلا، وهذا تمييز . وهذا خاصة في التعليم الذي حرف التاريخ البربري الأمازيغي هنا اجتماع لا ندرى كنيسة الجزائرية لأن الإسلام فرض بالسيف و عندما تلاحظين سكان شمالا أفريقيا تجديه مسلم ولكن ليس مقتنع.][1]

إذا كان الوسط الديني المتشدد يؤدي إلى تشكل مواقف معادية للدين الإسلامي ، فان الانتماء إلى أسر تسودها اللامبالاة الدينية يساهم هو الآخر في تشكيل مواقف سلبية تجاه الممارسات و الطقوس الدينية . إننا نجد في هذا الصدد خطاب المبحوث (أرزقي 67 سنة) نموذج من الخطابات التي تعكس هذا التصور السائد عند بعض حالات الدراسة في التعامل مع الموروث الديني :

[...أهلي مسلمين ولكن لا علاقة لهم بتعاليم الإسلام، أمي أحيانا تصوم ولكن ليس دائما أبى متوفي لكن نفس الشيء بالنسبة اليه ، فقلت لهم أنتم تبقون للجوع ولا تصومون ،لم أكن أرى معنى لصيامهم أن تنهض في السحور تأكل ثم في النهار تقوم بأي شيء وتفعل أي شيء ولما تؤذن المغرب تفطر ... ؟!][2]

من الجدير الذكر أن أغلب حالات الدراسة عندما تنتقد " الإسلام " لا يتم طرح إشكالات عقائدية وحتى وان طرحت يكون ذلك بالاستناد على المحاضرات التي يقدمها القس زكريا بطرس و غير

---

[1] المبحوث عميروش ، المقابلة السابقة .

[2] المبحوث أرزقي ، المقابلة السابقة

في القنوات الفضائية كقناة الحياة ،المعجزة SAT7 ... وهي قنوات مسيحية والتي غالبا ما يجهل المبحوثين أسس و مصادر تفسيرها.

2.1.2.الإسلام، المسيحية و الخصوصية اللغوية :

ارتبط الإسلام باللغة العربية ارتباطا قويا في الجزائر و في تاريخ المعرب العربي عموما لأسباب تاريخية أهمها : أن الفاتحين الذين أدخلوا الإسلام إلى هذه المنطقة كانوا عرب إضافة إلى أن انتشار الإسلام ركز في بداية الفتوحات على تدريس اللغة العربية ، لغة القرآن هذه اللغة التي كانت الوسيلة الأساسية أو الضرورية لفهم الإسلام . وبالتالي تعلم العربية يعني بداية الانتماء للعربية و الانتماء للديني الإسلامي وهذا ما يؤكده هذا المثل الدارج " أي شخص يتكلم العربية فهو عربي ". لعبت اللغة من خلال الإسلام دورا أساسيا في تكوين الهوية العربية مع كل ما تحمله من محتوى ثقافي .

إن الفضاء الاثني مع هذا التحديد للهوية العربية تراجع ولم يبقى منه إلا عامل اللغة ، فقد فتح الإسلام المجال أمام كل العناصر غير العربية وسط البربر لاكتساب الهوية العربية ، فأصبح الأمازيغ عرب و لكن ليس على قاعدة اثنية . إن الإسلام عمل على تعريب الأمازيغ فيجب تعلم العربية حتى نصبح مسلمين و نفهم الإسلام. أقبل الأمازيغ إذن على تعلم العربية بهدف ديني أولا، حتى يتسنى لهم قراءة القرءان و فهمه ، كما أن العربية كانت في أوج قوتها ، ما جعل البربر يتعلمونها حتى يتسنى لهم الصعود في السلم الاجتماعي و السياسي و التعرف على ثقافة الغير ، من الجدير الذكر أن عملية الاتصال في بدايتها التي تمت بين الفاتحين المسلمين وبين الأمازيغ شهدت صدامات و معارضة شديدة من طرف سكان المنطقة ، فالحرب الدامية التي جمعت الطرفين و امتدت إلى أكثر من خمسين سنة (من647 حتى 700م) وهذا راجع بشكل

أساسي إلى الطبيعة الاجتماعية و النفسية لسكان شمال ايفريقيا الرافضين لأي تدخل أجنبي انطلاقا من تقديسهم للحرية كقيمة سامية في شخصية المغاربي .[1]

هذه الإطلالة التاريخية للعلاقة المتلازمة بين العربية و الإسلام في تاريخ المغرب العربي وفي الجزائر خاصة يتم استدعاء عناصرها في الحديث عن تجربة التحول الديني لدى المبحوثين .

إن الانتماء الديني و علاقته بالخصوصية الثقافية وفي مقدمتها اللغة بين العربية والأمازيغية أطروحة تفرض نفسها في تحليل ظاهرة التحول الديني الخاصة بالمسيحيين ذو الأصول القبائلية حسب ما أمدتنا به الدراسة الميدانية . هذا الجزء من المقابلة التي تمت مع المبحوث عميروش (34 سنة) أحد القائمين على الكنيسة الانجيلية " بتيزي وزو" و مناضل سابق في RCD يمكنه أن يعكس التصور الذي تحمله حالات الدراسة في هذا المجال :

[... القبائل كانوا ينتظرون أشياء عديدة، حقوق، أن يتكلموا القبائلية، فالقبائلي عندما سمع على المسيحية أحبها لأنها خفيفة وسهلة ولم تحرمه من لغته، أنا لا أكره الإسلام لكن مع الإسلام تجد نفسك تصلي بالعربية تتكلم في المسجد بالعربية تقرأ القرآن بالعربية..][2]

يكمن الفرق إذا بين المسيحية و الإسلام ، كون أن الأولى تحترم القبائلي في خصوصيته اللغوية ، فهي تحافظ على هويته . و باعتبار أن اللغة معلم هوياتي أساسي ، ومن حيث كونها ناقلة لثقافة دنيوية ، فان وضعها اللغوي مرتبط هو أيضا بالوضع السياسي و الاجتماعي لجماعة المتكلمين[3] .

بعد الاستقلال مباشرة تم الإعلان دستوريا أن العربية هي اللغة الرسمية للدولة- المادة2- و بالتالي إجبارية تدريسها، والتعامل بها إداريا... بناءا على مجموعة من القوانين تعود جذورها إلى

---

[1] أم الخير ، ثومي ، الخطاب الإعلامي و الازدواجية الثقافية بالجزائر ، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع ، جامعة وهران ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم علم الاجتماع ، وهران 2009-2010 ، ص 25-29 .

[2] **المبحوث عميروش ، المقابلة السابقة** .

[3] أوليفيه روا ، المرجع السابق ، ص 157 .

عام 1966 [1]. بدأت تظهر أثار التعريب في الجزائر مع مطلع سنوات الثمانينات التي شهدت تصاعد المطالب اللغوية بداية من أحداث الربيع الأمازيغي ، فحسب (سالم شاكر) أنه للمرة الأولى في التاريخ المعروف لشمال ايفريقيا جماعة ناطقة باللغة البربرية تعلن بصراحة حقها و إرادتها في التواجد من خلال المطالبة بالاعتراف المؤسساتي للغتها وثقافتها . [2] إن المطالب اللغوية المستمرة التي حملتها النخبة البربرية و التي ألقت بثقلها في الشارع (أحداث 1980،2001) تم تلبيتها في شكل تعديل دستوري أدرجت فيه اللغة الأمازيغية كلغة وطنية ، لكن هذا الاعتراف لا يعكس بالنسبة للمبحوثين طموحهم في التعبير عن هويتهم ما دام لم يتم إدراجها كلغة رسمية ، و التعامل بنفس درجة الاهتمام باللغة العربية ، إن ما حملته المقابلة رقم (07) يعكس هذا التصور فيما يخص الاستمرارية في مطالب الاعتراف التي لم يتم تلبيتها رسميا :

[... هذا الاعتراف لا يعني شيء فهم بالعكس يعملون على تدمير اللغة بحيث أصبحت مجرد شيء في التاريخ أو مجرد فلكلور ، فعندما يتحدثون في التلفاز عن الأمازيغ يتحدثون عن أشياء ماتت لا يتكلمون إلا على الزوايا والدين، الثقافة ليست إلا الدين من الصباح حتى الليل...] [3]

إن هذا المستوى في التعامل مع الخصوصية اللغوية قد يصنع مواقف أكثر شدة في التعبير عن المطالب اللغوية التي لطالما تم تجاهلها رسميا ، بشكل رمزي . يمكننا أن نعتمد على ما قاله لنا المبحوث "جمال" (في أواخر الأربعينات) وهو قائم على إحدى الكنائس الانجيلية في تيزي وزو :

[... بعد ما أمنت لم أعد عنصري ، قبل أن أؤمن كنت أكره العرب والعربية (في الدم) تعرفين ماذا يعني في الدم لما كنت أعيش في الخارج أقول كلما وجدت عرب في بلاد ما أترك البلد وأذهب إلى أخرى ...] [4]

---

[1] للإطلاع على القوانين الخاصة بالتعريب تصفح المرجع التالي : عز الدين مناصرة ، المسألة الامازيغية في الجزائر والمغرب ، دار الشروق للنشر والتوزيع عمان ، الأردن ، الطبعة الأولى ،1999، ص 25-29 .

[2] Salem , Chaker , Op cit . P 106.

[3] المبحوث (N/A) لمقابلة السابقة .

[4] المبحوث جمال المقابلة السابقة .

إن وضعية اللغة الأمازيغية في الجزائر بعد الاستقلال انعكست على المجال الديني ، فمن الجدير الذكر أن القرآن الكريم لم يتم ترجمة معانيه إلى اللغة الأمازيغية إلا في 2007 بحروف لاتينية و التيفيناغ بحيث نشرت هذه الترجمة بطبعة : Ziryab (Ait Mansour, 2007)، وقبل ذلك نشرت طبعة(Ait Zerrad ,2003) ، وتوجد نسخة بالشلوح طبعت في المغرب : (Jouhadi, 2003) . قبل هذه الترجمات الحديثة لم يعرف ترجمات سابقة لمعاني القران الكريم بالامازيغية المنشورة أو المطبوعة في المغرب العربي .هذه الترجمات الحديثة تعبر عن التغيرات التي لحقت بالمجال السياسي والديني و اللغوي الجزائري و المغاربي عموما ،الأمازيغي و القبائلي خاصة .

يشير (كمال شعشوع) : « أن هذه الترجمات لم يكن هدفها جعل القران الكريم متاح و مفهوم للناطقين بالامازيغية ولكن هو رغبة في التعبير عن الاختلاف و الاستقلالية اللغوية مقابل العربية و الفرنسية اللغتين المسيطرتين في الجزائر والمغرب العربي » عموما إن هذه الترجمات حسب الباحث نادرا ما توجد على رفوف المكتبات و الكثيرة يجهلون وجودها أصلا ، ولا تسجل اقبل إلا بشكل ضيق جدا لأن خصائص الكتابة بالحروف اللاتينية و التيفيناغ غير متاحة بالنسبة للكثير من القبائل الذين تمدرسوا باللغة العربية . فالقبائل الذين يعرفون قراءة و كتابة العربية أو الفرنسية ليسوا بحاجة إلى قراءة هذه الترجمات بالقبائلية إلا في حالة إشباع رغبة الإطلاع أو في حالة البحوث العلمية. [1]

3.1.2.العامل المادي المحرك المسكوت عنه في خطاب المتحول :

يؤسس الخطاب الرسمي و الإعلامي في تعامله مع ظاهرة التحول الديني في الجزائر عناصر تحليله بالاعتماد على المحرك المادي : التأشيرة والمال التي يمنحهما المنصريين للأشخاص الذين يعيشون في ضائقة مالية والذين يرغبون في الهجرة . يعتبر هذا الطرح عموما تحليلا كلاسيكيا

[1] Kamel, Chachoua, Op cit8.

بالاعتماد على خلفية تاريخية للممارسات التي كان يلجئ إليها المبشرون الكاثوليك في المرحلة الاستعمارية تحت غطاء الأعمال الخيرية ... و التي يتم عن طريقها تسجيل متحولون جدد .

إن التأكد من هذه الفرضية يبقى أمر في غاية الحساسية خاصة و أننا نعتمد على المبحوث في سرد شهادته ، فمن المستبعد أن يصرح المبحوث أنه حصل على دعم مادي مهما كانت طبيعته،فالتصريح بهذا الأمر ينتقص من تجربته الروحية التي يحاول المبحوث دائما أن يجد لها عن معنى عميق يقنع به المتلقي ، بحيث يتم إنتاج خطاب مضاد يصدره كل مبحوث في شهادته . فبالرغم من أننا لم نطرح البعد المادي كسؤال مباشر أثناء المقابلات التي أجريناها مع حالات الدراسة إلا أن المبحوث هو من يبادر بل يتعمد الحديث عنه. هذا ما يمكننا أن نسجله من خلال الأجزاء التالية من المقابلات :

[... الكل يظن أنهم يعطوننا المال و تأشيرات لكي نخرج إلى الخارج و لكن هذا ليس صحيح.] [1]

[...نحن مؤمنين و ليس كما يقال يعطينا جواز سفر أو ب3000 أورو في الشهر و لو كان هذا صحيحا في الحقيقة أتى الكثير ، من أتى إلينا لهذا السبب و لم يجدوا المال و جوازات السفر و لو كان صحيح يعطوننا 5000 أورو و لو كان صحيح لأذهب إلى كل كنائس تيزي وزو، و أجمع ثورة هائلة نحن ليس لدينا أي علاقة مع هذه الأشياء.] [2]

[في يوم جاء شخص وقال لنا أن المسيحيين يقدمون 5000 أورو وعندما عاد إلى صديقه، قاله لقد كذبت عليا قلت لي أن المسيحيين يعطوا 5000 وهما يعطوا 10000 أورو (ضحك) ... لم يجد لا دينار لا دولار بالعكس هنا في الكنيسة نتا لي تعطي الدراهم ... في الجزائر هناك 30.000 ألف مسجد إذا منعت الدولة فقط 3 أشهر المال عن المساجد ما يبقى حتى واحد .] [3]

[1] لمقابلة رقم 17 ، تمت بتاريخ 2013/04/16 داخل الكنيسة الانجيلية بتيزي وزو .

[2] حصلنا على هذا الخطاب في حديث دار بيننا وبين كهينة (20 سنة) داخل الكنيسة الانجيلية بتيزي وزو .

[3] المبحوث (N/A) المقابلة السابقة .

عموما يمكننا أن نستخرج بعض المؤشرات في سبيل الكشف عن المحرك المادي لظاهرة التحول الديني بالنسبة لحالات الدراسة، و هو ما يحيلنا للعنصر اللاحق من التحليل ؛

4.1.2.الإقصاء و الإدماج داخل الكنيسة :

يدل مفهومان التهميش والإقصاء على السبل التي تسد فيها المسالك أمام الأفراد للانخراط الكامل في الحياة الاجتماعية الواسعة .[1] فقد يكون هذا الإقصاء أو التهميش نفسي، أسري، سياسي ... مما ينتج عند مستقبل المتحول رفض للمجتمع بالمنظومة القيمية التي تسيره و التي لم يستفيد منها هو شخصيا أو لم يتوصل إلى تفسيرها ، فلطالما مارست عليه ضغط من خلال الأشخاص أو المؤسسات القائمة عليها . إن المتحول الديني حسب تصنيف حالات الدراسة هو بالضرورة ذلك الشخص الذي سبق وأن عانى من حالة معينة من التهميش أو الإقصاء والتي يحاول غلبا إخفائها ، فهي ثغرة يجب أن لا تظهر في خطابه وحتى وإن ظهرت فهي من قبيل الذكريات ولا تفسر فعل تحوله الذي يحاول أن يعطيه معانى سامية غير مرتبطة بظروف تنشئته الاجتماعية و النفسية والسياسية لذيه .[2]

إن كل متحول ديني بالرجوع إلى الشهادات التي حصلنا عليها، إلا ويحمل حاجة أو طلب لم يتم إشباعهما، فقد تكون هذه الحاجة نفسية ، عاطفية لم يلبها الفضاء المحيط بمستقبل المتحول والتي بمجرد أن تعرض عليه من الخارج يستقبلها ، لأنه يكون في حالة جاهزية لتلقي يد المساعدة المعنوية من أشخاص لا تربطه بهم سابق معرفة إلا أنهم تفهوا حاجته و يعملون على تلبيتها ، وهذا ما يشكل بالنسبة له قيمة يعطيها أبعاد رمزية . فشهادة المبحوث بلعيد نموذج يعبر عن مثل هذه الحالات التي حصلنا عيها في سياق البحث الميداني :

[1] أنتوني ، غدنز ، علم الاجتماع ، ترجمة : فايز الصياغ ، المنظمة العربية للترجمة ، الطبعة الأولى ، بيروت ، 2005 ،ص 394 .

[2] استخرجنا هذا النص من واقع تصفحنا لشهادات التحول الديني للمبحوثين.

سبق و أن عانى المبحوث بلعيد من حرمان عاطفي أسري ، فكان ينظر إليه كشخص قاصر ، و بالرغم من أنه سبق وأن كان له موقف حاسم من أخيه الأصغر الذي اعتنق المسيحية و الذي طرده من البيت، إلا أنه بعد أن قرأ لإنجيل و جد فيه عبارات المحبة و الرحمة فتساؤل :هل يمكن أن يحبني شخص أكثر من والديا اللذان أنجباني ؟ (تلخيص لرواية المبحوث) . في هذه الحالة يصبح الاندماج سهلا في الكنيسة مع الجماعة المؤمنة التي أصبح يقاسمها نفس الأحاسيس ، و مشاعر الحرمان والإقصاء العائلي التي تم تعويضهما مع محيط الجديد . بحيث أصبح بلعيد أحد القائمين على الكنيسة الانجيلية في تيزي وزو.

و قد تكون حالة التهميش مزدوجة أو متعدد الأبعاد عند المبحوث ، و بالتالي يصعب تحديد مصدرها . فحالة الحرمان العاطفي و المادي و عدم قدرت العائلة على تلبية الحاجات الضرورية كالتعليم والعلاج ... الخ ، أدت بالمبحوث (موح 26 سنة) إلى اعتناق للمسيحية التي قدمت له الحل لحالة الإقصاء و التهميش ، فهو الآن أحد القائمين على فرقة الحمد (Groupe de louange) في الكنيسة و عامل في مكتبة القس و يعلم في قناة فضائية مسيحية CNA (قناة شمال إفريقيا) بالرغم من محدودية تكوينه الدراسي .

يقدم المبحوث موح ظروف تنشئته على النحو التالي :

[... ترعرعت في عائلة تحت المتوسط حتى لا أقول فقيرة، تتكون من عشرة أفراد. الوالدان، ستا أولاد وكذا بنتان.لقد تربيت تربية مختلفة عن كل أصدقائي، فأنا الأوسط بين إخوتي ،في صغري لم يكن يُسمح لي بالخروج من الدار إلى الشارع عشت في خوف من كل أصدقائي، وكنت كثير التخيلات على أشياء لا مجال للوصول إليها.أنا أتذكر طفولتي قليلاً وكثيراً. أتذكر أني كنت كثير الانعزال والانطواء، وكنت أبلل فراشي في أيام كثيرة وأنال عقوبة قاسية من أبي أو أمي، وأتذكر في أيام كثيرة عندما كان أبي الذي أهدر كل ما يملكه في الماضي عاطل عن العمل، كنا في صيام لأيام كثيرة إنه صوم و شؤم طبعاً لأنه لا إرادي...] [1]

[1] المقابلة رقم **11** تمت بتاريخ **1/ 2012/10** بمقر الكنيسة الانجيلية بوهران .

حالة الثانية هي المبحوثة "لويزة " (سيدة عجوز) تعيش بمفردها بعد هجرة أبناءها ، التقينا معها في زيارتنا إلى ولاية تيزي وزو ، وتبادلنا معها أطراف الحديث بشكل ودي ، كانت المبحوثة (لويزة) تلقائية في حديثها معنا حول وضعيتها المادية وماذا قدمت لها الكنيسة . و يمكن أن نترك الخطاب يعبر عن نفسه : **[أنا يا ابنتي الإسلام (نتاعكم) لم يفعل لي شيء ... تعرفين بؤس منطقة القبائل و أنا ولدت وكبرت وعشت قي هذا البؤس ... فهم يرون مطالبي دائما ويسألون عني دائما ولما احتاجهم أجدهم بجانبي..عملت عملية عظام لابني ساعدوني بكل ما ستطاعوا...أعطوني المال وساعدوني في الإجراءات.]** [1]

إن الشعور بالتهميش، كما سبق وأن أشرنا متعلق بحاجة أو مطلب لم يتم تلبيتهما بالنسبة للفرد أو الجماعة التي تربط بين أفرادها ظروف عيش مشتركة في فضاء جغرافي مشترك. نتحدث هنا تحديدا عن منطقة القبائل التي شهدت حركة مطلبية منذ الاستقلال حملتها النخبة البربرية في بدايتها ثم انتقلت إلى الشارع مع سنوات الثمانينات، في مقدمة هذه المطالب مسألة الهوية القبائلية بمحتواها اللغوي والثقافي. إضافة إلى مطالب مرتبطة بالوضعية الاقتصادية لمنطقة القبائل الجبلية التي لا تملك ثروات كافية بالنظر إلى مناطق أخرى من باقي ولايات الوطن والتي لم تستفد بعد الاستقلال بتنمية محلية حقيقية. إن خطاب المبحوثين في التعبير عن هذه الحاجة و في تأكيد الأنا الجماعي المرتبط بالهوية والثقافة القبائلية في المقام الأول يختلف من مبحوث إلى آخر ، وقد لا يعبر عنها بشكل صريح و يتوقف ذلك على درجة الثقافة السياسية للمبحوث ومدى ثقته في المتلقي الذي يستقبل خطابه النقدي ، الذي يسعى دائما لتجميله بعبارات دينية تخفف من حدته . هذا الجزء من خطاب المبحوث (عميروش) قس في الكنيسة الانجيلية بتيزي وزو و مناضل سابق في أحد الأحزاب السياسية (على الأغلب أحد الحزبين RCD/FFS) ، ينقل هذا الشعور بالإقصاء أو (الحقرة) المؤسساتي أو الرسمي في التعامل مع الخصوصية الثقافية لمنطقة القبائل :

[1] المقابلة رقم **15** بالكنيسة الانجيلية تيزي وزو.

[...و لأننا قبائل (DES BERBER) و تعني الرجل الحر ، أنظري ماذا شهدت القبائل من مقتل معطوب الوناس،الحقرة [1]، أنظري كم ندفع الضرائب، أنظري في القبائل بين شبر وشبر يوجد مخمرة ...نحن عقليتنا ليست كباقي 48 ولاية هناك من يضحكون على أنفسهم (كاين لي يكلخوها لرواحتيهم)...ما يفعله الإسلام أمر غير عادي، المرأة في الإسلام أمر غير عادي، الإسلام دين الدولة أمر غير عادي...إلا إذا أردتي بعواطفك أن تنفي هذه الحقيقة.] [2]

إن كل ما تم عرضه هو تعبير عن حالات من التهميش و الإقصاء بشتى أشكاله الاجتماعية والنفسية و الهوياتية التي استطعنا تصنيفها من خلال شهادات التحول الديني . فكل مبحوث يعاني من حالة أو من شكل معين من أشكال التهميش و الإقصاء إلا و يبحث عن مسلك نحو الاندماج، هذا العرض الذي تقدمه الكنيسة الانجيلية بشكل سخي ، بحيث تعمل على احتواء كل من يعاني من حالة معينة من الإقصاء مهما كان مستواه الدراسي ، وضعيته المهنية ، أصوله الجغرافية... الخ . فإذا كانت الحاجة نفسية نتيجة حرمان عاطفي نابع عادة من توتر في العلاقات الأسرية فالجماعة المؤمنة على استعداد أن تعوض لمن يقصد الكنيسة هذا النقص.

[...المسيح يحبّنا و يعلمنا الحب والتسامح وحب الآخر مهما كان لونه أو جنسه، نحن نحب بعضنا كثيرا و نأتي من كل مكان إلى الكنيسة نقبل بعضنا و نسألهم عن حياتهم و نساعدهم، نحن إخوة حقيقتين لا يهم من أين أتينا فالرب أبانا كلّنا...] [3]

أما إذا كانت الحاجة مادية ، فالكنيسة على استعداد أن توفر للمتحول(ة) موارد الرزق وحالة المبحوثين (موح) و (لويزة) نموذج عن الحالات التي استفادة بعد تحولها من الدعم و السند المادي . ومن كان يرغب في التعبير عن هويته وممارستها ، فالكنيسة تمنح للقبائلي المتحول

---

[1] **الحقرة هو مصطلح متداول في الخطاب الشعبي الجزائري والذي يمكن أن نعبر عنه بمصطلحات عديدة كاللاعدل، الظلم،الجور.**

[2] **المبحوث عميروش المقابلة السابقة .**

[3] **المبحوثة فريدة ، المقابلة السابقة .**

فرصة للتحدث والصلاة بالامازيغية ، قراءة الإنجيل بالأمازيغية ، الشيء الذي افتقده و هو مسلم ، هذا ما عبر عليه المبحوث (عميروش) في هذا الجزء المقتطع من الخطاب :

[...أنا لا أكره الإسلام، لكن مع الإسلام تجد نفسك تصلي بالعربية تتكلم في المسجد بالعربية تقرأ القرآن بالعربية..] [1]

1.2. 5.المرأة، أي خصوصية في تحديد عوامل التحول الديني :

«تعتبر قضية المرأة قضية إشكالية بامتياز في عصرنا، وإشكالية تتفاقم داخل المجتمعات الإسلامية و مع المجتمعات الأخرى، ولا تحظى بإجماع نظري و لا علمي من قبل المسلمين .»[2]

كثيرا ما نسمع تكرار نفس الكليشهات المعروفة و الشائعة عن مكانة المرأة في " الإسلام " المتعلقة بمشاكل تعدد الزوجات ، الطلاق ، الحجاب و العزل بين الجنسين و حشر المرأة في المهام المنزلية و تبعيتها الكاملة للرجل و القصور من الناحية القانونية ...الخ . خطاب المبحوثة (فريدة، 48 سنة) نموذج يعكس التصور الذي تحملنه النساء اللواتي اخترن المسيحية :

[... أنا متمردة و الإسلام يأمر الرجل بزواج ثاني و ثالث و رابع وملك اليمين . إن لم ترد الزوجة أن تجامع زوجها، إن كنت منزعجة من زوجي كيف لي أن أقيم معه علاقة جنسية؟ يقول رسول الإسلام أن في هذه الحالة تنعلني الملائكة، بل و تلعنني حتى إن أدرت له ظهري في الفراش، هذا هراء.] [3]

---

[1] **المبحوث عميروش ، المقابلة السابقة .**

[2] حسن ابراهيم أحمد ، الإسلام بين الإشكالية و الحل (سجلات فكرية مع شعار الإسلام هو لحل) ، النايا للدراسات و النشر ، الطبعة الأولى ، 2010 ،135.

[3] **المقابلة رقم 08 تمت بتاريخ 2012/09/14 ، داخل الكنيسة الانجيلية بوهران.**

إن هذه الرؤية في واقع الأمر مرتبطة باستقراء حالة المرأة في المجتمعات الإسلامية بدرجات مختلفة، فالمرأة في المجتمع الإسلامي التونسي و المصري و السوري و اللبناني و غيرها لا تعاني الظروف ذاتها التي تعانيها المرأة في السعودية و اليمن مثلا ، خاصة في مجال الحريات ، و المرأة المسلمة في إفريقيا و أسيا أو أوروبا و أمريكا ، في المناطق الحارة أو الباردة ، لا تعيش الظروف ذاتها ، و بالتالي قد تتفاوت الاكرهات في مجال اللباس أو حرية العمل أو الخروج من المنزل أو التعليم .[1]

إن وضعية المجتمع الجزائري في التعامل مع مسألة المرأة و إن كانت تحتفظ بخصوصياتها المحلية إلا أننا لا يمكننا فصلها عن السياق العام المفسر لتطور المجتمعات الإسلامية التي رافقتها في توجهها نحو الحداثة ثقافة تقليدية تحتفظ للرجل بدور بطريكي patriarcal و يحصر دور المرأة في الفضاء المنزلي ، حتى وان كانت تمارس نشاطا مهنيا . فدخول المرأة عالم الشغل لم يغير نظرة التقليدية للمجتمع إليها (التربية ، الإنجاب، خدمة الزوج ...) . إن هذه الثقافة الأبوية سوف تستند على وعي ديني مع ظهور التيارات الأصولية المتشددة. فظهور تيار الإسلام السياسي في الجزائر عمل حسب (هواري عدي) على بسط النظام العائلي في الفضاء العام و اعتبار المجتمع كعائلة كبيرة يجب أن تسير وفق أخلاق دينية ، فيتم على هذا الأساس تقسيم الفضاء الاجتماعي إلى فضاء منزلي خاص بالمرأة و فضاء جماعي إمبراطورية الرجل ، فالمرأة فتنة يجب أن تلزم بيتها أو بيت زوجها ، و إذا أرادت أن لا تقصى من الفضاء العام فعليها ارتداء الحجاب[2]. فلقد جرى وفق هذا المنظور تعويض المرأة عن دورها الاجتماعي و السياسي و الاقتصادي الفاعل بدور أخر يبرز طاقة جسدها و مفاعيله، من تقديم اللذة إلى الخصوبة و

[1] نفس المرجع ، ص 141 .

[2] Houari, ADDI, les mutations de la société algérienne (famille et lien social dan l'Algérie contemporaine) ED LA DECOUVERTE , paris 1999,P148.

الإنجاب ، بالتالي لا بأس أن يبدو هذا الجسد جميل لكن بشرط البحث عن آليات ضبط و تحكم و هنا تبدأ الثقافة الأبوية تتدخل في إنتاج آليات الحراسة بإعطائها الصبغة الدينية .

إن رفض المرأة لنظرة الاستنقاص التي تنتجها خطابات تجهل لمضمون و روح النصوص الدينية فهي حرمة ، عبده ناقصة عقل ودين، تجعلها تبحث عن سبيل للتحرر من الوصاية المفروضة عليها باسم الدين :

[...لم أجد المرأة في هذه الكتب الإسلامية إلا لخدمة الرجل و لتهميشها ، المرأة ناقصة عقل و دين المرأة لا ترث إلا نصف ما يرثه الرجل إلا ما يبقى عنه من فتات"،المرأة ملك الرجل .... ابتعدت على هذا الدين الذي يعتبرني لاشيء و لا يعطيني أي حق و لا يقبل لي شهادة] [1]

6.1.2. ثقافة المعجزات في الكنيسة الانجيلية :

إن طرح هذا البعد في تحديد العوامل المفسرة لظاهرة التحول الديني يفرض علينا العودة إلى تعريف مجتمع البحث الذي نتعامل معه. إن التحولات الدينية كما سبق وأن أشرنا تسجل اليوم في غالبيتها لصالح الحركة الانجيلية ،هذه الأخيرة التي تتعدد طوائفها ، و أهم طائفة منها تنشط اليوم في الجزائر و في منطقة القبائل خاصة ، حسب ما أفادنا به آباء الكنيسة في وهران و تيزي وزو هي الطائفة الخمسينية ولقد حدد Jean sauve العقيدة الخمسينية على النحو التالي :« اليسوع ينقد ، يشفي ، يعمد وسيرجع » . [2] ترتبط الحركة الخمسينية بما يعرف بمواهب الحكمة : التكلم بالألسنة ، النبوءة و موهبة الشفاء بروح القدس ، هذه الموهبة التي تشكل طلب الكثيرين ممن يقصدون الكنيسة الانجيلية بحثا عن التداوي الذي يمكن أن يقدمه من يملك هذه الموهبة وعادة ما يكون "القس "، سواء كانوا هؤلاء الطالبين للشفاء مسيحيين أو غير مسيحيين. و عادة ما تنتهي

---

[1] المبحوثة فريدة ، المقابلة السابقة .

[2] Patrick, WILLIAMS, **Le miracle et la nécessite : a propos du développement du Pentecôtisme chez les Tsiganes** ,Revue ARCHIVESS DE SCIENCES SOCAILES DES RELIGIONS , N° 73 , Janvier- mars 1991 , P81

قصة التداوي عند هؤلاء بإدماجهم في الكنيسة، مع اعتقادهم القوي بأن الشفاء الذي يبحثون عنه لا يوجد إلا عند السيد المسيح (عيسى عليه السلام) المعروف في المسيحية كما في الإسلام بمواهبه في اشفاء المرضى على اختلاف أمراضهم و عللهم . يمكننا في هذا الصدد أن نقدم شهادتين لمبحوثين ارتبطت قصة التحول الديني عندهم برحلة مرض طويلة و بمعجزة شفاء بمجرد ما قصدوا الكنيسة الانجيلية ، و بغض النظر عن مدى مصداقية هذا الطرح إلا أنه يبقى إحدى العوامل المحركة للتحولات الدينية حسب ما جاء في شهادات التحول في المقابلات الرسمية وغير الرسمية التي كانت مع مجتمع البحث في وهران و تيزي وزو . وحسب المعاينة الميدانية لهذه الحالات ، فمن خلال حضورنا المستمر في الكنيسة سجلنا حالات عديدة تقصد القس بحثا عن الشفاء من المرض الذي عادة ما يكون مزمن والذي لم يجد له المتحول الديني أو مستقبل المتحول مخرجا عن طريق الطب ، فتبقى الكنيسة الأمل الوحيد خاصة مع انتقال أخبار أن هناك حالات تم علاجها فعلا بروح القدس وألان تعيش حياتها بشكل عادي .

الشهادة الأولى للمبحوث (سليمان 47 سنة) ارتبطت قصة تحوله حسب روايته الخاصة برحلة مرض مزمن "السل" في سن 27 سنة الذي أدخله في حالة نفسية صعبة خاصة مع إدراكه حسب ما قاله لنا الموت المحقق. ربط سليمان بين مرضه وبين المعجزات التي عرف بها سيدنا عيسى خاصة وأن قصة سليمان لم تكن الأولى في العائلة فلقد سبقه في ذلك اخو تيه "رابح" و بلعيد الذي عرضا عليه المسيحية من هذا الباب .

فحسب المبحوث سليمان أن الدعاء الذي كان يكرره باستمرار [...**يا سيدنا عيسا، إذا كنت كلمة الله فاشفيني ... وكان هذا الشفاء بعد ثلاثة أيام من هذا الدعاء.**] [1]

الشهادة الثانية للمبحوث (يسين 36 سنة) ارتبطت قصة تحوله بمرض"القرحة المعدية" في سن 24 سنة ، وهذا جزء من شهادة يسين حول قصة تحوله :

[1] **المقابلة رقم 05 ،تمت بتاريخ 8 /2012/10 ، بمقر الكنيسة الانجيلية بوهران .**

[أنا كنت أبحث عن الشفاء لأني كنت مريض بالقرحة المعدية ولم أجد الشفاء ، كنت مسحور أتردد باستمرار على الأولياء الصالحين والطلبة و الشوافين ... في يوم ذهبت إلى الكنيسة حتى يبارك زواج أختي وعندما دخلت إلى الكنيسة ولاحظت كيف يتعامل المسيحيين الذين تعاملوا معي بطريقة جيدة وصلوا عيا وفي يوم قال لي القس أنك شفيت وبالفعل عندما ذهبت إلى الطبيب وطلبت منه أن يعطيني دواء لصداع الرأس أعطاني بالرغم أنه يعلم خطورته على طبيعة مرضي وبهذا الشكل تأكدت من شفائي ...] [1]

إن هذه الشهادات التي يقدمها أصحابها ، حول قصص الشفاء وغيرها من الشهادات التي لا يتسع المجال لعرضها ، لا تعكس إلا تصور المبحوثين حول الأزمة التي مروا بها بحيث لم تتح لنا الفرصة من التأكد منها ، فلم يكن لنا مثلا فرصة للإطلاع مثلا عن التقارير الطبية قبل وبعد التحول الذي يزعم المبحوث أنه شفي بمجرد أن صلى عليه في الكنيسة ، هذه الصلاة التي ترفق بكلمات غير مفهومة وهي اللغة اللذنية أو ما يسمى في التقاليد الانجيلية التكلم بالألسنة وهي الموهبة مرافقة لمهبة الشفاء .

7.1.2.التحول الديني كمسار فردي نحو الحداثة :

في سياق تحديدنا لعوامل التحول الديني لا يمكننا إغفال عنصر مهم في تحريك الظاهرة، و الذي يرتبط برؤية شاملة لعلاقة الديني بالحداثة . هذا الموضوع الذي أخذ حيزا كبير في الأدبيات السوسيولوجية العربية ، والذي يتضمن في حقيقته اشكال محوري يتلخص في مدى إمكانية المجتمعات الإسلامية أن تحقق الحداثة ، إما بتفعيل عناصرها الثقافية و الحفاظ على مقوماتها الحضارية أو بإحداث القطيعة معها. لا يرتبط هذا الإشكال بالمجتمع الجزائري فقط ولكن بالمجتمعات الإسلامية التي خرج أغلبيتها من حروب التحرير بفكرة الإقبال على ما يعتمد عليه العالم المعاصر من أساليب التربية و الاقتصاد ...الخ ، من أجل إرساء البنية الاجتماعية للمجتمع الحديث ، و لكن مع مرور الوقت تبين استحالة تحقيق هذه النهضة و تبين أن الغرب هو من يقود

[1] المقابلة رقم **10** ،تمت بتاريخ 13 /2013/04 ، بمقر الكنيسة الانجيلية بتيزي وزو .

الحضارة ، في مقابل انهيار البني التقليدية لهذه المجتمعات التي فقدت فاعليتها وتأثيرها . و بالتالي فالحل هنا هو البحث عن البديل ، إما بالانطواء على الذات و رفض الغرب ، أو بالانقياد للآخر في المقابل السعي جاهدا للحفاظ على الذات ، أما الفئة الثالثة فهي ترفض الذات كليا بما في ذلك الدين و تعمل أن تكون لها ولادة جديد ،فان كان ليس بالإمكان أن يختار الإنسان مولده أو أبويه أو مواطنه فانه باستطاعته في مرحلة من مراحل حياته أن يختار إلى أي حضارة يقدم (الولاء)[1].هذا ما يسميه أوليفيه روا (بالهيمنة الثقافية) التي تنطبق في نظرنا على هذه المجتمعات التي تجعل الأفراد يبحثون بشكل مستقل عن نموذج يعكس الحداثة ، في ظل العولمة التي حررت الفرد من كل سلطات الخارجية ونعني بها سلطة المسجد، الدولة ، الأسرة وحتى سلطة الديني في حد ذاته الذي أصبح يخضع للتجربة في ظل حركات دينية جديدة تعطي لهذا البعد اهتمام كبير، فالأفراد داخل هذه الحركات مدعوون كما سبق وأن أشرنا للتجربة أكثر من الاعتقاد وهو نموذج الحركة الانجيلية التي تعمل على تصدير المسيحية للمجتمعات التي لم تخرج من تخلفها ، باعتبارها (المسيحية) تعكس الوجه الآخر للحداثة التي يبحث عنها الفرد في هذه المجتمعات .

و على هذا الأساس يعد التحول الديني علامة من علامات الإحباط ، وشكل من أشكال الهروبية في سبيل التحرر من القيود التي تكبل الفرد من بلوغ الحداثة ، التي تعثر في تحقيقها مجتمعه (على المستوى الفكري و المؤسساتي) بسبب الإسلام الذي تعلق عليه أسباب و مبررات الفشل ، و بالتالي إثبات قدرة الفرد (المتحول الديني) على اختيار و نبد لوضع يرى دوره في عملية الاعتقاد مقتصرا على الإذعان و الاستسلام و التصديق و القناعة . يعبر هذا التصور عن خطابات المبحوثين الدين يرون أن سبب تخلف المجتمعات الإسلامية وعدم تحقيقها للحداثة التي وصل إليها الغرب يرجع إلى الإسلام . لكن في واقع الأمر و في محاولة نقدية يمكننا أن

[1]أمال، القرامي ، من دواعي الارتداد عن الإسلام لدى المثقفين المعاصرين ، دراسات إسلامية مسيحية ، العدد 20 ، 1994 ، ص 31.

نستند على قراءة قدمها حسن إبراهيم أحمد في دراسته (الإسلام بين الإشكالية الحل) في إطار تحليله للعلاقة بين الإسلام والحداثة، هذا مجملها :

« المشاريع الإيمانية الكبرى (الأديان) لا تؤسس لحداثات كبرى إذ أن بعض وجوه الحداثة هو تجاوز الإعاقات التي سببتها هذه المشاريع . بالتالي لا يعني أن تتوفر معاني أو قيم و مقومات أن تكون عامل انقاد . لقد كانت القطيعة مع كثير من جوانب المشروع الإيماني في الغرب أساسا في بنية الحداثة الغربية ، و البحث عن تمحلات تثبت فساد حداثة الغرب التي أنبتت على القطيعة مع الدين في بعض جوانب الحياة السياسية من خلال فصل الدين عن الدولة ، لا يعني أن الدين استطاع إثبات فشل الحداثة أو افتقارها له ، أو امتلاكه لمشروع حداثي أفضل . فالأفضلية ليست لمن يملك المقومات و الإمكانيات و إنما لمن يملك المكنزمات و يقوم بالفعل فيحول ما يكون بالقوة إلى ما يكون بالفعل.»[1]

7.1.2.الوسائط الإعلامية و ظاهرة التحول الديني :

تختلف مسارات التحول الديني باختلاف التجارب ، فكل حالة تعاملنا معها إلا وكان لها مسار و طريقة معينة في تعرفها على الدين الذي يراد التحول إليه وجمع معلومات حوله ، عموما يمكننا تقسيم هذه المسارات إلى عنوانين كبيرين ، الأول ما يسمى بالمسار الفردي (La démarche individuelle) ،يقترن هذا المسار بمبادرة فردية لا تتدخل فيها عناصر خارجية ، و هي استجابة لحاجة داخلية يشعر بها مستقبل المتحول تجعله يبحث عن أنظمة تفسير جديدة لكل ما يحيط به من أزمات و من تناقضات رغبة في تحقيق إشباع نفسي، عاطفي أو معرفي. لكننا في دراستنا هذه لم نصادف هذا الشكل من التحول الديني باستثناء حالة واحدة و كانت خارج مجتمع البحث ، والتي اقترن فعل تحولها برغبة داخلية في المعرفة وفي تحديد انتماءها الديني بعيدا عن الاستسلام

[1]حسن ابراهيم ، أحمد ، المرجع السابق، ص179.

لمفاهيم ومبادئ و معتقدات موروثة التي لم تختارها بشكل إرادي ، فتحولها هو تعبير صريح عن رغبتها في تحديد هويتها الدينية و هي حالة المتحول الانجيلي "عبد السلام ". ما عادا ذلك فكل الحالات التي تعاملنا معها اقترن تحولها بنشاط تبشيري إما عن طريق اتصال فيزيائي مباشر مع الشخص الذي يحمل الرسالة التبشيرية ، أو عن طريق ما يمكننا تسميته بالاتصال الافتراضي من خلال الفضائيات و الانترنيت إلى جانب القنوات الإذاعية التي تمارس نشاط تبشيري خفي أو ظاهر .[1]

إن الانتشار الواسع لوسائل الاتصال يخدم بما لا يدع مجال للشك النشاط التبشيري فيمكن للرسالة التبشيرية أن تصل إلى عدد كبير من الأشخاص في اللحظة ذاتها ودون أن تخضع للرقابة الرسمية ، فإذا كانت الدولة الجزائرية تمنع التبشير بموجب قانون 2006 الخاص بتنظيم الشعائر الدينية لغير المسلمين ، فهي بذلك لم تتعامل إلا مع بعد تقليدي كلاسيكي فيما يخص مسألة التبشير أو "التنصير" لا يمكننا مقارنته بحجم العروض التبشيرية التي تقدمها الأقمار الصناعية و الانترنيت التي أصبحت متاحة لفئات عريضة من المجتمع، فما فعلته الدولة الجزائرية في هذا المجال هو أنها عملت بمقتضيات السيادة الوطنية ، التي تستوجب الحفاظ على العناصر الأساسية للمجتمع الجزائري و في مقدمة هذه العناصر الدين الإسلامي الذي تتعهد بالحفاظ عليه ، لكن هذا يبقى أمر صعبا في ظل عولمة وسائل الاتصال التي لا تعترف بحدود الدولة الوطنية ، حري بنا في هذا السياق ذكر بعض الإحصائيات تتعلق بعدد المحطات الإذاعية و التلفزيونية المسخرة للأغراض التبشيرية ، فقد نشرت المجلة الدولية للبحوث الأثرية الأمريكية أن عدد هذه المحطات في سنة 1990 يقدر بحوالي 2160 . و في آخر تقرير إحصائي لعمليات التنصير العالمي

[1] ما تم تقديمه في هذه الصفحة هو خلاصة للعمل الميداني، ومن واقع احتكاكنا بمجتمع البحث.

يعرض مخططا للتنصير حتى 2050 و الذي يقد عدد المحطات الإذاعية و التلفزيونية بـ 10 ألاف محطة . [1]

على رئس هذه القنوات التلفزيونية التبشيرية " التنصيرية " نذكر:

- قناة SAT7 وهي أول قناة مسيحية يستقبل بثها من منطقتي شمال ايفريقيا والشرق الأوسط .
- قناة المعجزة، تعتمد هذه القناة في بث برامجها باللغة العربية إضافة إلى بث بعض البرامج باللهجة القبائلية و غالب ما تحاول تقديم الأمازيغ في صورة المضطهدين .
- قناة الأخبار السارة، قناة الحياة، قناة "Berbère TV " أطلقت هذه القناة في عيد الميلاد لسنة 2005 إضافة إلى قنوات أخرى كقناة فوكس الأمريكية...الخ .

إن هذه القنوات وجدنا أن لها حضور كبير في تجارب التحول الديني لدى مجتمع البحث الذي تعاملنا معه ، فهي الوسيط بين الشخص الذي يملك عوامل ومحفزات التحول الديني وبين الجهة المستقبلة له وهي الكنيسة، تعرض هذه القنوات إضافة إلى النشاط التبشيري الكثيف خدمات من بينها أرقام الهواتف للتواصل مع الراغبين في التعرف واعتناق المسيحية وإيصالهم إلى اقرب كنيسة بالنسبة لمكان سكناهم عبر ولايات الوطن ، إضافة إلى تقديم استشارات والإجابة عن التساؤلات التي يطرحها مستقبل المتحول و تمكينه من الإنجيل الذي لا يمكنه الحصول عليه من جهة أخرى ، كل هذه الخدمات تعرض بصفة سخية و مجانية . إلى جانب الفضائيات نجد الانترنيت بحيث أنشأت بتاريخ 1997 اتحاد التنصير عبر الانترنيت الذي يعقد مؤتمر سنوي يحضره ممثلو الإرساليات و القائمون على الصفحات التنصيرية على الشبكة الدولية .[2]

تستعمل هذه القنوات و مواقع الانترنيت لغات العولمة الكبرى و في مقدمتها الانجليزية و اللغات و اللهجات المحلية في إستراتيجية لاستمالة عدد كبير من المتلقين ، عن طريق الاهتمام بثقافتهم و

---

[1] رحمون ، نعيمة ، حريش، حدة ، أساليب و وسائل التنصير المعاصرة في العالم (الجزائر نموذجا) ، مذكرة لنيل شهادة الليسانس ، في مقارنة الأديان ، جامعة الحضارة و الشريعة الإسلامية ، 2010 ، ص 78.

[2] **نفس المرجع السابق** ،ص 90.

هوياتهم كالامازيغ في شمال ايفريقيا الذي تخصص لهم برامج ناطقة بلغتهم و قد تكون قناة بكاملها لهم كقناة "Berbère TV" . إن هذا الاهتمام الذي توليه هذه القنوات يعطي شعور بالتقدير لدى المتلقي "مستقبل المتحول " فيمكن أن يجد اعتراف بثقافته ضمن هذه القنوات بشكل يرضي رغبته في إثبات هويته الامازيغية .فيما يتعلق بدور الوسائط الإعلامية و على رئسها الانترنيت في مسارات التحول الديني يذكر (Franck Fregosi) السوسيولوجي المختص في تفسير التحولات الدينية نحو الإسلام في فرنسا التالي : «Google a remplace l'imam du quartier»[2]

[2] Le Quotidien, jeudi 19 Septembre, 2013, n°5723 , P19.

2. 2. مطالب الاعتراف : بين الاجتماعي ، السياسي و الاثني ؛

2.2 .1.البحث عن إعادة لاندماج الاجتماعي :

التحليل الكلاسيكي الذي يقدمه علماء الاجتماع في المجال الديني ، يستند على فكرة استحالة وجود معتقدات خالصة ، و إنما كل معتقد إلا وهو مزيج بين الخاص والعام ، فالمتحول الديني يقوم بإلغاء مجموعة من المعتقدات واستدعاء أخرى، مما يهيئ له الاندماج ضمن الجماعة la Communauté التي تصبح تشكل هويته الشخصية والدينية ، فتصبح الجماعة هي من يمثله ومن يمثلها . هذا ما يمكننا استخراجه من خطاب المبحوثين من الاستخدام المتكرر لضمير الجماعة في عرض مطالبهم **:[نحن نفضل أن تكون بلادنا...]،[فنحن نطالب بمكان لممارسة الشعائر...]** ، **[...نحن لا نطالب الحكومة...]** .[1]

يشير (Ariane Bodin) للارتباط بين الخاص والعام في فعل التحول الديني على النحو التالي :

« La conversion individuelle est toujours à envisager dans un cadre collectif. »

إن المتحول كحالة فردية يعيش في وضعية شبه السرية، إذ كل الحالات التي تعاملنا معها لم تشهر تحولها باستثناء لمحيطها القريب ، و لهذا فلا مجال للحديث عن مطالب فردية وإنما يصبح التضامن الموجود بين أعضاء الجماعة (الدينية) هو من يحرك هذه المطالب . إن هذا البعد الجمعي " la dimension communautaire " بين أعضاء الكنيسة الانجيلية الذي يأخذ الطابع الديني نجده يتجسد من خلال المطالب التي يتقدم بها كل متحول انجيلي .

[1] **حصلنا على هذا الأجزاء من المقابلات من حالات الدراسة التي تعاملنا معها .**

يسعى المتحول في الدرجة الأولى حسب "أليفيه روا" إلى إعادة الاتصال بمحيطه الذي ينبذه لاختراقه محرما مرتبط بقداسة دينية ، فبالنسبة للحالات التي تعاملنا معها ترى أن تحولها تعبير عن خيار شخصي، وترفض فكرة توريث الديني كما تورث الصفات الوراثية ، هذا التصور الذي يحمله المبحوثين يجعلهم يسعون إلى إعادة الاتصال في مجتمعهم الذين لم ينفصلون عنه بحثا فعلا عن اندماج فعلي (أو لاستمالت أشخاص أو زبائن آخرين) .

إن السعي لتجديد الصلة بالمجتمع مع حالة القطيعة التي يعيشها الشخص المتحول على مستوى المعتقدات الدينية التي يتبناها محيطه هو رهان صعب ، خاصة مع عبارات الوصم التي تلازم المتحول بمجرد إقدامه على فعله، كأن يقال مثلا أنه "مطورني" ، "خداع" ، "بايع دينه" و غيرها من النعوت التي يرى المتحول أنها يمكنها أن تفقد فعاليتها بالنظر إلى وضعيته المادية التي لم تتغير ، أو بعبارة أخرى لم يقبض ثمن اعتناقه للمسيحية - على الأقل في الظاهر- :

[... في الأول كانوا يظنون أننا أصبحنا مسيحيين من أجل التأشيرة ، ومع الوقت تحققوا أنها مجرد إشاعات ، فأنا أصبحت منذ 20 سنة مسيحي لم أغادر يوم الدشرة ، ولم أكسب سيارة فاخرة ،نحن عندما اعتنقنا المسيحية لم ننسحب من المجتمع ،في الأول كانوا يعتبرونا خطر على المجتمع لأن المسيحية شيء جديد و مع الوقت لاحظوا أننا لم ننفصل عليهم عندما تكون جنازة نذهب، أو عمل تطوعي و إذا وجد رفض ليس من جانبنا ونحن نتفهم رفضهم لنا .] [1]

إن البحث عن الاندماج الاجتماعي يكون تحديدا عند المتحولين الذين يعيشون إيمانهم بشكل شبه علني ، وهي حالات نجدها بكثرة في منطقة القبائل (تيزي وزو) ، أين يصرح الشخص أنه مسيحي بأقل عقدة من غيرها من الولايات نظرا أن الذاكرة الجماعية لسكان المنطقة لا زالت تحتفظ بإرث تاريخي حول وجود حالات من التحول الديني ، التي كانت تتم تسجل أساسا لصالح الكنيسة الكاثوليكية في المرحلة الاستعمارية (ارجع إلى الفصل الثاني) ما جعل المجتمع المحلي يتعامل مع الأشخاص المتحولين بأقل عقدة من غيره، و يتأقلم مع الظاهرة - هذا ما أفادتنا به الزيارة التي

[1] **المبحوث مولود ، المقابلة السابقة .**

قمنا بها إلى الولاية ، بحيث يمكن أن يدلك أي شخص على متحول ديني يعرفه في الحي أو في الدشرة وعلى أماكن الكنائس و أسمائها إذا أمكن - ، و أسباب أخرى يرجعها المبحوثين إلى مناخ الحرية المتوفر في القبائل ، و أن القبائلي الأمازيغ الرجل الحر لا يخشى أن يعبر عن انتمائه الديني كما سبق وأن عبر عن مواقفه السياسية ومطالبه الهوياتية . يعبر عن هذا التصور بخطاب مباشر المبحوث "جيلالي"،أحد القائمين على الكنيسة الانجيلية في ولاية "تيزي وزو" :

[...نحن القبائل " النيف والخسارة [1] فنحن نعبر بسهولة ونستطيع أن نقول أنه لدينا نوع من الضمان في أن نعبر بشكل حر . أنا أسألك الآن ، لماذا كانت أول حركة احتجاجية منذ الاستقلال في القبائل ؟!] [2]

2.2.2 .البحث عن اعتراف سياسي :

بالنظر إلى محدودية انتشار ظاهرة التحولات الدينية إلى حد الآن ، فأكثر الإحصائيات تفاؤلا لا يمكنها أن تضع هذه الجماعة (المتحولون الإنجيليون) محل مطالب سياسية طموحة ، كأن يكون لها مثلا أحزاب سياسية تمثلها ، و يقتصر مطالب التمثيل لديها على الجانب الإداري من خلال اتحاد الكنائس البروتستنتينية EPA ، لكن قد يجدون في الأحزاب اللائكية المتواجدة على الساحة كحزب التجمع الوطني من أجل الديمقراطية RCD سندا في حمل مطالبهم وهذا ما تحقق فعلا في منطقة القبائل " تيزي وزو " بعد أن أصبح هذا الحزب على رئيس الدائرة أعطى للمسيحيين في الولاية رخصة توسيع الكنيسة بعد مدة من وضع الطلب لدى الجهات المختصة .

إن المطالب التي يتقدم بها المبحوثين تركز أساسا على المجال التنظيمي الخاص بهم كجماعة دينية ،المرتبط أساسا بأماكن العبادة –الكنائس– التي تعتبر في أولوية مطالبهم إلى حد الساعة . هذا ما يمكننا إرجاعه إلى الدور الذي تلعبه الكنيسة ، كفضاء رسمي يعطي الممارسات الدينية

---

[1] "النيف و الخسارة " هو مثال مترجم من اللغة الأمازيغية ، و الذي يعنى أن القبائلي لا يرضخ رغم الضغوطات أو الاكراهات التي تمارس عليه و لا يرضى بالحقرة " الظلم " مهما كانت الجهة التي تمارسه

[2] المبحوث جيلالي المقابلة السابقة .

الطابع القانوني في حالة اعتمادها من السلطات الرسمية ، نتحدث هنا عن اللجنة التي تم استحداثها داخل وزارة الشؤون الدينية بموجب قانون تنظيم الشعائر 2006 المادة 9 منه .

تدخل الكنيسة في إطار الجمعيات ذات الطابع الديني لغير المسلمين التي يتحدد إنشائها و الترخيص لها بشروط ، أهمها العدد الذي يبقى إلى حد الآن محل جدل ، فقانون 2006 لم يرد فيه تحديد بشكل واضح العدد القانوني في تأسيس الجمعيات الدينية لغير المسلمين ، في المقابل نجد القائمين على الكنيسة الانجيلية يرون أن عدد15 كافي لتأسيس أي جمعية وذلك بموجب الجمعيات ولكن هذا القانون يصبح معلق عندما يتعلق الأمر بالمسيحيين.

[..نحن نفضل أن تكون بلادنا عادلة وديمقراطية تعطي للمسيحي ما تعطيه للمسلم " فغلام الله " هو وزير الشؤون الدينية وليس الإسلامية ، أي كل الديانات ولكن للأسف نرى أن للمسلمين في كل شارع مسجد لدرجة أننا لا ننام ...لكن المسيحيون لا يعطوهم ولو حتى قطعة أرض أو مكان صغير أو حتى أبنية قديمة لم يعطوها لنا ...][1]

يعتبر مطلب ترخيص الكنائس أو البنايات الخاصة بالعبادة مطلب يعني الجهات الرسمية بالدرجة الأولى ، إذا ما نظرنا إلى طبيعة (الطائفة) الانجيلية التي لا تعترف بقداسة الأماكن ففي حالة عدم وجود الكنائس تكفي ما يسميه المبحوثين " les cellules de prière " في إحياء العبادة و هذا ما يشكل عائق أمام مراقبة الظاهرة وتنظيمها بالنسبة للقائمين على السلك الديني في الجزائر .

إن وجود مسيحيين جزائريين في بلد يعتبر فيه الإسلام دين الدولة، بغض النظر عن وجودهم التمثيلي بالنسبة لعدد السكان العام، إلا أنهم موجودين ولا يمكننا تجاهل مطالبهم فيما يخص الإشكالات التي تترتب عن المادة الدستورية التي سبق وان أشرنا إليها : "الإسلام دين الدولة " و هي إشكالات ميدانية ملموسة و التي يسعى المسيحيين المتحولون- حالات الدراسة - أن يتكيف معها :

[1] **المبحوث عميروش ، المقابلة السابقة .**

نتحدث هنا عن الحالة الشخصية التي تستمد من الشريعة الإسلامية خاصة في حالة الزواج ، الطلاق و التي يتم الاكتفاء عند المبحوثين على العقد المدني، ثم يتم الإعلان عن الرباط المقدس داخل الكنيسة التي توفر له أجواء الاحتفال الديني بطقوس كتابية انجيلية بروح تضامنية التي تسعى الجماعة الدينية أن تعيشها وأن تعوض العروسين عن الأجواء العائلية التي افتقداها بفعل تحولهما [1] . أما فيما يخص مسألة الإرث ، يتوقف الحصول على الإرث بالنسبة للمتحول الديني على مدى تقبل و تفهم الأسرة للفرد المتحول واحترام خياراته ، وفي حالة وجود هذا التفهم لا يتم اللجوء إلى القضاء ، الذي يستند على الشريعة الإسلامية في تقسيم الميراث ، و الاكتفاء بتسوية الميراث بشكل عائلي ودي.لقد صادفنا في خارج عينة الدراسة حالة المبحوث (خالد في الأربعينات) الذي يقطن في أحد الدشرات في ولاية "تيزي وزو" ، لم يحرم من الميراث الذي تم تقسيمه بشكل ودي ، ذلك أن العائلة تفهت موقفه واعتبرت تحوله أمر شخصي.

على مستوى أخر يعتبر تدريس التربية الإسلامية بالنسبة لأولاد - المولودون جدد- اشكال مطروح بقوة في سياق شامل ، وهو كيف يمكن توريث القطيعة إلى أبناء المتحولون كما اصطلح عليه أوليفيه روا ، الذي يبقى أمر صعب مع إلزامية تدريس التربية الإسلامية في المدارس الجزائرية ، التي يعتبرها المبحوثين أمر مفروض في دولة تدين بالإسلام وهو ما يشكل موقف رفض بالنسبة لحالات الدراسة .

نذكر في هذا الصدد خطاب المبحوث (N/A) : **[...لا يمكنني أن أتقبل أن تقول أن الإسلام ديني الدولة لأن الدولة ليست شخص معنوي، فهل من المعقول أن تقول أن هذه المؤسسة مسلمة! فأنا أتقبل أن يقال مثلا أن غالبية الجزائريين يدينون بالإسلام.]** [2]

---

[1] **هذا النص هو عبارة خلاصة لملاحظاتنا التي استطعنا جمعها من واقع حضورنا لمراسيم الزفاف الانجيلي داخل الكنيسة الانجيلية بوهران .**

[2] **المبحوث (N/A) ، المقابلة السابقة .**

يسعى المبحوثين إلى التكيف مع الوضعية القانونية " الإسلام دين الدولة " ، وهذا ما عبر عليه المبحوث (أرزقي 67 سنة) على النحو التالي : [...**نحن نريد أن نعيش في مجتمعنا، نحن لسنا ضد الدولة أو ضد قوانين البلد ، نحن لا نريد ديانة أخرى في البلاد.**] [1]

عادة ما يتم تقديم التكيف الذي يقدمه المتحول الديني في قالب ديني يحاول من خلاله إظهار حالة الرضي و الاقتناع بخياره في التحول ، حتى و إن تحمل في سبيل خياره هذا أقصى درجات الرفض و هذا ما يمكن أن نسجله بالنسبة لكل حالات الدراسة :

[...نطالب أن نعيش إيماننا في حرية ، عموما نحن أحسن من غيرنا في الحرية...نحن راضيين بما نحن فيه مهما كان هناك من ضعف ، أو مشاكل فإيماننا لا يخضع إلى شروط حتى وان سجنا أو قتلنا نحن لا نحتاج إلى اعتراف، فنحن نبحث عن الله.] [2]

[...نحن لا نطالب الحكومة و إنما نحن نطالب من الرب (saigneur) هو الذي يستطيع أن يلبي مطالبنا هو الذي يعطينا ،و قبل هذا من أجل أن تبني في الكنيسة هذا ممنوع و لو بنقودك ، لأن القوانين تطبق و لأني لما أصنع ملف فيه طلب بناء هذا من حق أعطني الرد و هو لا يردون لأنهم يعتبرون الرد اعتراف رسمي و هذا هي بلادنا نحن نريد فقط أن يتركوني بسلام ، و لكن في الخارج يعطون الحقوق لغير المسيح بناء المساجد و أماكن الصلاة لكل أحد الحق أن نقول لهم لا تعطوا المسلمين بناء مساجد لأن في تلك البلدان يعرفون حقوق الإنسان يعبد من يشاء .] [3]

[... ليست مسألة حق، فنحن نعتقد في الاه موجود الله هو يعطينا الحق ... الدولة قاهرة لا تحترم القانون، فنحن مضطهدين من طرف الدولة بالقانون.] [4]

---

[1] المقابلة رقم 2 ، تمت بتاريخ 1 سبتمبر2012 ، بمقر الكنيسة الانجيلية بوهران .

[2] المقابلة رقم (04) تمت داخل الكنيسة الانجيلية بتزي وزو بتاريخ2013/04/16

[3] مقابلة جانبية مع "سعيد" أحد القائمين على الكنيسة الانجيلية بتيزي وزو ، تمت بتاريخ 2013/04/15.

[4] المبحوث (N/A) ، المقابلة السابقة .

3.2 .2. مطالب الاعتراف : من الجماعة الدينية إلى الجماعة الاثنية

إذا عدنا إلى مجموعة الخطابات التي حصلنا عليها ، يمكننا أن نسجل نقطة في غاية الأهمية : أن المطالب التي يتقدم بها المبحوثين كجماعة دينية تسعى للحصول على اعتراف رسمي يتم ربطها بمطالبهم كجماعة اثنية لم تحصل هي الأخرى على مطالبها .

إن التحديد الذي قدمه (محمد حربي) في تناول مصطلح الجماعة الاثنية قد يوفي الغرض في هذا المجال : «... الاثنية هي تحول الهوية الثقافية إلى وسيلة إستراتيجية ، من خلال مسار المسمى بالإستراتيجية الهوياتية ، هذه الإستراتيجية هي إرادة معبر عنها بوضوح من خلال الالتزام السياسي باستغلال الرأسمال المتوفر من الرموز ذات الطابع الهوياتي حتى يتم تفعيل هوية كامنة ، و تحولها إلى اثنية و إسقاطها كوسيلة في الحقل السياسي.» [1]

إن الجماعة الاثنية تنمي في أفرادها القدرة الإدراكية مبكرا كجزء من عملية التنشئة الاجتماعية للحفاظ على كيانها الجمعي و تراثها الثقافي و لتكريس مصالح ومزايا مكتسبة ، و يتزايد الوعي الاثني عند هذه الجماعة كنتيجة لإحساسها بالاضطهاد[2] . إن هذا البعد في تحديد مفهوم الجماعة الاثنية و التحديد الذي قدمه (محمد حربي) نجدهما يأطران الخطابات التي يتقدم بها جل المبحوثين في سياق تقديمهم لمطالبهم كجماعة دينية :

[أنا شخصيا أعتقد في الصلاة.لكن هذا لا يمنع من رغبتنا في تأسيس الجمعيات التي تمثلنا...أن نكون أحرار ،الأمازيغي هو الرجل الحر. نحن نحب الحرية و أعطينا الدم من أجلها ... نحن وطنيون .] [3]

[... بالطبع كلنا يعلم ما نواجهه من تمييز كأمازيغ قبل كل شيء، و كمسيحيين أيضا في مجتمع لا يتقبل أفراده الذين هم في الأغلبية عرب و مسلمون لا يتقبلون من يختلف عنهم.][4]

---

[1] Mohamed. HARBI, **L’Algérie et son destin**. Ed. Arcantaire. Paris ,19 92, P76.

[2] أنتوني غندز ، المرجع السابق ، ص 355 .

[3] **المقابلة رقم 12 ، تمت بتاريخ 2013/04/14 بمقر الكنيسة الانجيلية ،تيزي وزو .**

[4] **المبحوث جمال، المقابلة السابقة .**

في السياق ذاته و بالرجوع إلى طبيعة المطالب التي حملتها الحركة البربرية بعد الاستقلال في الدفاع عن الهوية والثقافة الامازيغية ، يمكننا أن نستخرج عامل صلة بينها وبين المطالب التي يتقدم بها المبحوثين . فلقد حملت هذه الحركة البربرية مشروع سياسي علماني وهذا ما أشار إليه الباحث(كمال شعشوع) في تحديد خصائص الحركة المطلبية البربرية : « ظهرت هذه المطالب في بدايتها عفوية تحمل الطابع لائكي ، و نادر في تاريخ الحركات الاجتماعية والسياسية الجزائرية لا يتم الاستناد أو استدعاء الرموز الدينية بما فيها النصوص والشخصيات الدينية .» [1]
من الجدير الذكر أن الحركة الأمازيغية استنبطت مبدأ العلمانية وفصل السلطات من بنية المجتمع الأمازيغي الذي كانت تفصل فيه السلطتين الدينية ، والتي يتولاها الفقيه عن السلطة الدنيوية التشريعية التي تتولاها تاجماعت[2]، وسلطة تنفيذية تتكلف بها المحاكم العرفية، كما استفادت من المبدأ العلماني الدوناتي نسبة إلى القس الأمازيغي "دوناتوس" الذي ثار على الكنيسة والحكومة الرومانيتين، اللتان كانتا تستخدمان الدين لاضطهاد الأمازيغ ، و نهب أموالهم وثرواتهم تحت ذريعة تمويل أعمال الكنيس، إن هذا البعد العلماني في طرح المشروع السياسي نجده حاضر بقوة في خطاب المبحوثين :

[...إن الإسلام دين الدولة باعتبارنا قبائل غير قابلين به قبل أن نكون مسيحيين، فنحن كقبائل مضطهدين لا يحترم هويتنا، نحن لسنا عرب ، أنا لست عربي ...لقد أدخلونا في قالب واحد.] [3]

إن المشروع السياسي العلماني [4] الذي يتقدم بها المبحوثين يشكل بالنسبة لهم الحل الذي لا بد أن تتبناه الدولة في التعامل مع كل فئات المجتمع بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية و الاثنية.

---

[1] Kamel, Chachoua, Op cit .P1.

[2] **تاجماعت :أي الجماعة وهي عبارة تنظيم تقليدي متشكل من مجلس القرية في منطقة القبائل.يقول المبحوثين أن دوره راجع مقارنة بالماضي فأصبح حضوره يقتصر على المسائل الشكلية .**

[3] **المبحوث** (N/A) ،**المقابلة السابقة .**

[4] **تبلور الاتجاه العلماني في الغرب كرد فعل لتعنت الكنيسة في رفضها أن يكون لغير رجالها شأن في بحث مسائل العقيدة ،مما اضطر المدنيين إلى التحول بطاقاتهم إلى مجالات رفضوا بدورهم أن يكون للكنيسة دخل فيها . أما عن طرح المسالة العلمانية في المجتمعات الإسلامية فقد أثارت**

في السياق ذاته يطرح المبحوثين فشل مشروع الإسلام السياسي في الجزائر الذي لم يتوصل لتحقيق التقدم واحتواء جميع عناصر المجتمع ، فالتداخل بين السياسي والديني يؤدي إلى استغلال الدين لمصالح و صراعات سياسية وهذا ما عبر عليه المبحوث (مولود) :

[...على هذا الأساس فنحن مع الدولة العلمانية ... لأن الدين يصبح يوظف لمصالح سياسية و أثناء الانتخابات لحشد الناخب باللعب على مشاعرهم.] [1]

[... أرى أن بعض الناس يعملون جاهدين من أجل قمع الممارسة الشعائرية للمسيحيين ، رغم أن المسيحية عكس الإسلام لا تتدخل في السياسة ، لأن المسيحية تبحث عن النجاة و الحصول على الحياة الأبدية ، ليس همها البحث عن الحكم و السلطة و الهيمنة .][2]

مواقف مختلفة مرتبطة بطبيعة الدين الإسلامي (كون الإسلام دين ودنيا ، وان الإسلام لا يعرف كنيسة أو رجال دين و يشجع الكافة على النظر في علومه و الاشتغال بها) و بفهم المشروع العلماني في حد ذاته بين قابلية تعايشه مع الإسلام أو كمشروع مناقض له .

[1] **المبحوث مولود ، المقابلة السابقة .**

[2]**حصلنا على هذا الخطاب من إحدى الحوارات التي دارت بيننا وبين أحد المتحولون الانجيليون .**

- خلاصة :

إن الحديث عن تجربة التحول الديني بكل ما يحيط بها من مؤثرات اجتماعية وسياسية و نفسية ... الخ ، يبقى دائما محل خصوصية " intimité " وبالتي يصعب على الباحث الوصول دائما إلى إجابات صريحة ، وخاصة أن المبحوث يستعمل حسب تعبير "ريمون بودون" آليات الحجب . لقد أتاحت لنا المقاربة الأنثروبولوجية أن نحتك بحالات الدراسة لمدة أربعة أشهر وأن نسجل مجموعة من الملاحظات و المعطيات التي تصل إلى حد التضارب ، فحالة "عبد الحق " (أنظر الجدول، المقابلة رقم 20) نموذج في تناقض المعطيات الذي اكتشفناه في سياق البحث الانتروبولوجي مع الحالة ، في حين أن الاعتماد على تقنية المقابلة لوحدها لا يقدم لنا أي أساس متين للتحليل ، لكن عموما الزيارات المتكررة لميدان الدراسة أمدتنا بمعطيات خصبة بالاعتماد على الملاحظة بالمشاركة ، حاولنا توظيفها إلى جانب الخطابات التي حصلنا عليها من الحالات التي تعملنا معها بالشكل الذي يجيب على إشكالية الدراسة ، و التأكد من الفرضيات المطروحة و التي سوف يتم مناقشتها في العنصر اللاحق بناءا على المعطيات التي ثم إدراجها في هذا الفصل و الفصلين السابقين .

مناقشة الفرضيات وتقديم النتائج

سنحاول الإجابة عن الإشكال المطروح من خلال وضع الفرضيات التي اعتمدنا عليها على محك المعطيات الميدانية، مع كل ما تحتويه من مؤشرات ، دلالات ورموز استخرجناها من سياق المقابلات مع حالات الدراسة والملاحظة بالمشاركة فإذا كان الميدان قد أمدنا بمعطيات لا يمكننا جمعها إلا عن طريقه فانه قد وضعنا في حالة ارتباك، مع أن الأمر يتعلق بفرصة ممتازة من أجل الارتباك اللصيق بالواقع الاجتماعي :

- مناقشة فرضيات الدراسة و تقديم النتائج :

- أولا : الحديث عن ظاهرة التحول الديني المسيحي المرتبطة بالبعد القبائلي يستدعي بالتأكيد الرجوع إلى قراءة تاريخية إبان المرحلة الاستعمارية في منطقة القبائل المتعلقة بالجهود التبشيرية للكنيسة الكاثوليكية . إن حالات التحول الديني وجدت في هذه المرحلة لعوامل تحددها الباحثة الجزائرية "كريمة ديرش" بالظروف الاجتماعية والاقتصادية القاسية التي شهدتها المنطقة بفعل التواجد الاستعماري، فعلى قاعدة من الفقر و البؤس لعبت الأسطورة القبائلية دورها في تحديد عوامل التحول الديني في المرحلة الكولونيالية - ارجع إلى الفصل الثاني- إن هذه الأطروحة و إن كانت قد فسرت ظاهرة التحول الديني المسيحي في الجزائر المستعمرة ، إلا أنها غير قادرة اليوم بالنظر إلى المعطيات التي يفصح عليها الميدان أن تقدم تفسير متكامل للظاهرة- على محدوديتها قديما وحديثا - .

- ثانيا : بقراءة بسيطة للمجال الديني في الجزائر يمكننا أن نستخلص نتيجة مفادها عدم استقلالية الديني كليا عن السياسي . فلقد أستثمر الرأس المال الرمزي الذي يقدمه الدين الإسلامي، سواء لخدمة إستراتيجية شرعنة Légitimation السلطة (خاصة في تبرير الخيارات الاقتصادية) أو الاحتجاج السياسي (حركة الإسلام السياسي) ، ذلك بواسطة تأويل النصوص الدينية التي شكلت مورد للمشروعية و من ثم أعتبر استثمارها رهانا أساسيا للفاعلين السياسيين (محمد أركون)، على هذا الأساس لا يمكننا التغاضي عن البعد السياسي في تحديد و تفسير عوامل التحول الديني . هذا البعد الذي يعتبر حسب ما كشفت عنه الدراسة محرك ضمني (كامن) لا يصرح به المبحوث في سياق الحديث عن تجربته في التحول التي يقدمها بهالة من العبارات الدينية و مشاعر المحبة ، التي تخفي خطاب سياسي لا يتم الكشف عنه إلا عندما (يستفز) المبحوثين بأسئلة متعلقة بمطالبهم في الاعتراف كجماعة دينية تسعى إلى التعبير الحر عن انتماءها الديني،

و التي يتم ربطها بمطالبهم في الاعتراف بالهوية والثقافة الامازيغية وان كان هذا يتوقف على ثقافة كل مبحوث وقدرته على إنتاج خطاب سياسي بدون حرج أو تحفظ. إن مطلب الاعتراف لازال قائما إلى حد الساعة وان كان اليوم يبدوا بأقل حدة أو بعبارة أدق مستتر يظهر في أشكال تعبيرية مختلفة قد يكون التحول الديني شكلا منها. فلقد ساهمت الاحتجاجات والمطالب المستمرة التي شهدتها المنطقة في تشكيل ثقافة سياسية نضالية عند القبائلي مرتفعة مقارنة بمناطق أخرى في الجزائر ، أنتجت هذه الثقافة تمثلات معارضة للنظام السياسي الذي يعتبر في نظر المبحوثين قامع لثقافتهم ولغتهم- على الأقل مستوى الإدراك الذاتي- و موقف مضاد لكل ما يرمز إلى الدولة، وباعتبار أن الدولة عرفت نفسها بهوية عربية إسلامية عن طريق الدساتير والمواثيق المتتابعة وعن طريق الخطاب الرسمي والمناهج الدراسية على سبيل المثال لا الحصر، فيتلخص البحث هنا عن هوية دينية جديدة ، أو تحيين هوية دينية قديمة (تاريخية) ولتكن المسيحية واعتبارها مناسبة للهوية القبائلية، ذلك في سبيل التحرر التام من كل ما يرمز إلى الدولة وفي مقدمته الإسلام .

- ثالثا : إن هذا البديل (المسيحية) الذي اختاره المبحوثين يمنح لهم فضاء للتعبير عن هويتهم داخل الكنيسة بلغتهم الحاضرة بقوة في الصلاة و التسبيح، قراءة الأناجيل و الموعظة التي تعرض بالأمازيغية ،فهي من جهة تلبي حاجتهم في الاعتقاد الذي لا يمكن الاستغناء عنه ، لأنهم في حاجة دائمة لأنظمة تفسير غيبية ما ورائية تفسر الأشياء الخارجة عن إرادتهم وتعطيهم الراحة النفسية، و في الوقت نفسه لا تحرمهم من لغتهم و ثقافتهم التي ناضلوا من أجلها منذ الاستقلال.

إن الهوية الدينية الجديدة التي تبناها المبحوثين و إن كانت تشكل بالنسبة لهم البديل غير المصرح به للخروج من حالة الإقصاء و التهميش الرسمي لهويتهم و ثقافتهم ، فهي تهيئ لهم بالموازاة الاندماج في سياق عالمي يشهد تنامي ظاهرة التحولات الدينية المرتبطة بحركات جديدة لها أتباع من كل أنحاء العالم كالحركة الانجيلية عندما يتعلق الأمر بالتحول نحو المسيحية ، في إطار

قوانين و معايير دولية عالمية تدافع عن حرية الاعتقاد و التعبير عنها وممارستها مما يمنح لها الحق في حماية أي شخص يستنجد بها ، وهو ما يمكننا أن نسجله على سبيل المثال من خلال قضية كريمو المتحول القبائلي الذي أخذت مسألة توقيفه قضائيا بعدا دوليا - بعد أن وجه له الاتهام بشهادة سائق طاكسي بسب الدين الإسلامي- عن طريق تدخل منظمات الدفاع عن حقوق الإنسان التي تشكل السند الخارجي في وجه أي تجاوز يتعرض إليه المسيحيون في الجزائر وغيرها من الدول التي توصف بالقامعة للحريات الفردية بدرجات تحددها هيئات ومنظمات دولية ، في شكل تقارير سنوية تضع أداء هذه الدول محل تقييم فيما يخص تعاملها مع ما يسمى بالأقليات الدينية .

- رابعا : إن ظاهرة التحول الديني الانجيلي حسب ما أفصحت عنه الدراسة الميدانية تمس فئات اجتماعية مختلفة سواء فيما يتعلق بعامل السن ، فداخل الكنيسة الانجيلية نجد متحولون من كل الشرائح العمرية (ارجع إلى الجدول الخاص بحالات الدراسة) . أما فيما يخص الجنس فيمكننا أن نسجل ملاحظة مهمة أن العنصر الذكوري أكثر حضورا من العنصر الأنثوي الذي نجده أكثر تحفظا في الحديث عن تجربته في التحول الديني وهو ما جعل المرأة شبه غائبة في هذه الدراسة . على مستوى آخر تمس ظاهرة التحول الديني أشخاص من أوساط اجتماعية مختلفة فقد صادفنا أثناء هذه الدراسة مبحوثين ينتمون إلى أسر تحض برأس مال رمزي في المجتمع حسب تصريحات المبحوثين كشرفة أو كأصحاب زوايا أو قائمين عليها (حالة المبحوث أمقران) و من انتماءات مهنية متنوعة، فقد تعاملنا مع مبحوثين يتمتعون بمراكز وظيفية محترمة كأساتذة ، مهندسون ، أصحاب مشاريع خاصة وحرفيون ... الخ ، فالظاهرة اليوم لم تعد تمس فقط الأشخاص المهشمين اجتماعيا سواء تعلق الأمر بالانتماء العائلي أو الدخل المادي أو المركز الاجتماعي المهني ، وان كان ذلك لا يلغي وجود حالات من التهميش المرتبط بالإقصاء و الحرمان العاطفي الأسري (حالة المبحوثين موح ، بلعيد) ، فتجارب التحول الديني لا يفسرها بشكل كامل عامل البحث عن الترقية الاجتماعية المادية ، حتى

وان كانت الأطروحة الرسمية والإعلامية فيما يتعلق بالأموال التي يحصل عليها المتحولون (المتنصرون) لها ما يصدقها بالنظر إلى ما توصلنا إليه في الدراسة من حالات استفادت بعد تحولها من مورد رزق (المبحوثين موح ، لويزة ، بلعيد) ، و إن كان يصعب التصريح بذلك إلا ما استطعنا استخراجه من مؤشرات . كما قد تدخل عناصر أخرى في تحديد عوامل التحول الديني ، كحالات الشفاء التي تقدمها الكنيسة الانجيلية (حالة المبحوثين سليمان، يسين) ، عن طريق الموهبة التي يحضى بها القس التي تبقى مطلب الكثيرون من ما يقصدون الكنيسة الانجيلية ، إما طلب في شفاء عضوي من أمراض غالب ما تكون مزمنة (السل، القرحة المعدية ، السرطان) ، أو من الأمراض النفسية و العصبية ، بغض النظر عن مدى مصداقية هذا البعد إلا أنه حاضر في شهادات التحول الديني و من واقع ملاحظاتنا الميدانية . و يبقى هذه البعد يطرح استفهام كبير كوننا لا نستطيع التأكد منه بالاعتماد على تقنية المقابلة لوحدها وإنما يتطلب ذلك ملازمة الحالة ومعرفتها عن قرب وتتبع مراحل العلاج التي خضعت لها كالإطلاع على التقارير الطبية مثلا. لكن يبقى هذا أمر صعب إن لم يضع المبحوث كل ثقته في الباحث .

- خامسا: إن حالات الدراسة التي تعاملنا معها وان كانت تختلف في المستوى الدراسي بين متوسط ، ثانوي وجامعي، إلا أنها تشترك في نفس المستوى و الوعي الديني الذي نجده عامل يفرض نفس في تحديد أسباب التحول . فغالبية حالات الدراسة تخلط بين ما هو ثقافي موروث في التعامل مع الظاهرة الدينية وما ينتجه من سلوكيات ، و بين ما هو عقدي (الخلط بين العقيدة و السلوك) ، من خلال استقراءها النقدي للواقع الاجتماعي و كل ما يستدل به من ظواهر سلبية في المجتمع (الطلاق ، الفقر، البطالة ، الفساد...) هذا الذي يعكس بالنسبة للمتحول صورة الإسلام كمرجعية عقدية فكرية وثقافية أساسية و اعتباره مسئول عن هذا الخلل خاصة وأنه (الإسلام) عامل مشترك بين غالبية أفراد المجتمع ، فالتحول الديني هنا يكون تعبير عن نقد غير مباشر لواقع معاش وتصورات وممارسات سلبية يرفض المتحول الاستسلام لها ،

فهو عن طريق اعتناقه للمسيحية انتقل إلى واقع جديد يعيد فيه ترتيب علاقته بالمجتمع بناءا على تصورات جديدة اكتسبها من الجماعة التي أصبح ينتمي إليها كالمحبة، الأخوة وغيرها من المفاهيم الإنسانية التي تتجاوز الحدود الوطنية و التي تجمع كل المسيحيين داخل الكنيسة من كل ربوع الكرة الأرضية .

- سادسا : إننا لا نستطيع التوقف عند سبب واحد أو تحليل أحادي لدوافع و محددات التحول الديني، ذلك لأن الظاهرة مركبة و أسبابها متعددة و متداخلة بعضها طاف على السطح و جلها غائص في الأعماق . فمن هذه الأسباب ما هو ديني و منها ما هو اجتماعي ، و منها ما هو اقتصادي ، ومنها ما هو سياسي ، و منها ما هو نفسي ، ومنها ما هو فكري... الخ ، فالتحول الديني قد يرتبط بدوافع خارجية وقد يكون رهين العوامل الذاتية . وعلى هذا الأساس لا يستطيع الباحث في علم الاجتماع لوحده تحليل و فهم الظاهرة . إن حالة المبحوث (عبد الحق) - نموذج يجسد تضافر العوامل المختلفة التي تحرك فعل التحول الديني بين الإقصاء الاجتماعي و الاضطراب النفسي و الصراع و التناقض الفكري بين الواجب و الواقع و بين العقيدة والسلوك .

- خاتمة عامة :

إن ظاهرة التحولات الدينية في الجزائر تحصل اليوم في إطار تغيرات عالمية أكثر عمقا، مرتبطة بالعولمة التي جعلت الظاهرة الدينية مستقلة عن سياقها الثقافي ، بفعل اجتياح وسائل الاتصال الحديثة و في مقدمتها الأنترنيت الفضاءات المغلقة ، والتي وضعت مفهوم الدولة الوطنية بكل ما تحمله مجتمعاتها من خصوصيات حضارية مادية وغير مادية وعلى رئسها الدين - كعنصر لا يمكن إغفاله في ثقافة أي مجتمع مع التفاوت في درجة فاعليته من مجتمع إلى أخر- في رهان ملموس بين الحفاظ على الهوية أو الهويات المحلية و بين الانفتاح على الأخر الذي أصبح يفرض نفسه بقوة .

التعامل اليوم مع الظاهرة الدينية في هذا السياق (المعولم) يخضع لمبادرات فردية تعيد النظر في الموروث الديني بناءا على توجهات و مبادئ عالمية تقوم عليها حركات دينية جديدة ، وهو ما تعكسه الحركة الانجيلية التي تسجل لصالحها أغلبية التحولات الدينية عندما يتعلق الأمر بالتحول إلى الديانة المسيحية . إن هذه الأطروحة يمكننا أن نلحظها بوضوح في المجتمعات الغربية التي تسودها مفاهيم الحداثة و الفر دانية وكل ما أنتجه الفكر الغربي في احتكاكه مع واقعه و خصوصياته . أما بالنسبة لمجتمع كالمجتمع الجزائري ، فيمكننا أن نستدعي أطروحة موازية تقدم لنا عناصر أخرى في التحليل قد تكون أكثر تعبيرا عن واقعه وسياقاته ، التي تتشابه و تشترك فيها المجتمعات العربية الإسلامية و مجتمعات أخرى أصطلح عليها بالعالم الثالث، وهي أطروحة "الهيمنة الثقافية " التي تقوم على مبدأ المغلوب مولوع بتقليد ثقافة الغالب (بالتعبير الخلدوني)، هذا الأخير الذي فرض نموذج حضاري وحاول تعميمه و تقديمه على أنه الحل الذي يمكنه أن يخرج هذه المجتمعات من تخلفها الذي تتسبب فيه فهمها وتعاملها مع ثقافتها وفي مقدمتها الدين ، الذي يجب أن يستبدل لأنه لم يعد قادرا على مواكبة التقدم بدين أخر ، والسؤال الذي يتقدم به من يدافعون على هذا التوجه ، ماذا قدم الإسلام للمجتمعات التي تدين به ؟ و في الموازاة ماذا قدمت

المسيحية للمجتمعات التي تدين بها ؟ . حول هذه النقطة يجدر الإشارة أن الإسلام يشكل مركز صراع و سجال عنيفين في المجتمع العربي الإسلامي المعاصر، و يكاد تقدير المواقف فيه تختلف من النقيض إلى النقيض . فهناك من يعتبر الإسلام السبب الأول في التخلف و الاستبداد و الانهيار العربي و لا يقبل أقل من إزالتها من الوجود شرطا للتقدم الاجتماعي والسياسي ، و هناك من يعتقد أن تخلف العرب والمسلمين و تراجعهم و هزيمتهم أمام الأمم الأخرى نابع من التخلي عن الإسلام و يدعو إلى تطبيق الشريعة و العودة إلى الدين والى السياسة الدينية والشرعية، باعتبارها الشرط الضروري للخروج من الوضع الراهن .

إن النموذج الحضاري الذي يراد تصديره وجعله نمطي لإخراج الدول الإسلامية من تخلفها تقوم عليه الولايات المتحدة الأمريكية بدعم من الدوائر السياسية في البيت الأبيض- ارجع إلى الفصل الأول- وهو باختصار نموذج "المسيحية الانجيلية " بقيادة العناصر الفعالة في الحركة الانجيلية العالمية من جامعات ، معاهد و منظمات رسمية وغير رسمية... الخ ، التي تأخذ في الظاهر الطابع الإنساني و الخيري وتعمل في الباطن لأهداف تبشيرية ، وان كان بعضها يصرح بطموحه المخطط لها في إيصال المسيحية الانجيلية الحقيقية على الشاكلة الأمريكية إلى كل ربوع الكرة الأرضية. و منه فالحديث عن البعد السياسي في ظاهرة التحول الديني هو طرح موضوعي سواء تعلق الأمر بموضوع دراستنا أو ظاهرة في مجملها، فكل تحول ديني إلا ويبحث عن اعتراف اجتماعي و سياسي ، و مطلب الاعتراف في حد ذاته يخرج الظاهرة من فضائها الخاص إلى الفضاء العام، الذي يتطلب تنظيمه بناءا على خصوصية محلية لم تعتاد التعامل مع ما يسمى بالتعددية في المجال الديني، على المستوى الرسمي والعام هذا من جهة ، و من جهة أخرى القوانين و المعايير الدولية التي تفرض نفسها تحت بند الدفاع عن حقوق و الحريات الدينية ، و بالتالي تصبح تطرح شيا فشيا مسألة الأقليات و كيفية التعامل معها .

إن طرح ظاهرة التحول الديني على محك الدراسة السوسيولوجية يحتمل أراء مختلفة و يتطلب نقاشات عميقة ، قد تكون محل إشكالات بحثية في دراسات لاحقة ، لكن الشيء المؤكد و الذي لا يمكننا إغفاله هو ما يحدث اليوم على الساحة الدولية من التلاعب بملف الأقليات الدينية إذا اعتبرانا أن حجم الظاهرة سوف يتطور نحو إنتاج أقلية دينية مادام عناصر انتشارها موجودة نتحدث تحديدا عن التبشير الذي تعتقد فيه الحركة الانجيلية ... أم نحن فعلا أمام أقلية دينية خاصة وأن الإحصائيات الدقيقة التي تجعلنا نقدر الظاهرة تغيب عنا ؟ و إلا فحرية الاعتقاد أمر لا يمكننا مناقشته أو التشكيك فيه مادام أنه يعكس إرادة الشخص الخالصة في تحديد هويته الدينية ، تماما كما يحدث في الغرب بالنظر إلى حجم التحولات التي تتم اليوم إلى الإسلام، ففي فرنسا كأقرب نموذج غربي إلينا تقدر حالات التحول نحو الإسلام بـ 400 شخص يعتنق الإسلام سنويا أي ما يقترب من العشرات يوميا .[1]

أخيرا ، إن النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة الاستكشافية لا تعبر إلا عن الحالات التي تعاملنا معها ، و لا يمكننا تعميمها نظر للمنهج المستخدم (دراسة الحالة)، إلا أنها تشكل قاعدة معطيات أساسية حول الظاهرة للباحثين الذين سوف يتطرقون لهذا الموضوع في مناسبات لاحقة . إن عوامل التحول الديني الانجيلي قد لا تكون إجاباتها في متناولنا على المدى القصير و الآني ، لكن علينا ألا نخطئ على الأقل في طرحها ، بالتركيز على مظاهرها السياسية و الأمنية و الردعية .

[1] Le Quotidien-jeudi 19 Septembre, 2013, n°5723 ,P19.

قائمة المراجع و المصادر

I. المراجع :

- المراجع باللغة العربية :

1- إبراهيم حسن، أحمد ، الإسلام بين الإشكالية و الحل (سجلات فكرية مع شعار الإسلام هو لحل) ، النايا للدراسات و النشر ، الطبعة الأولى ، 2010.

2- أركون ، محمد ، الفكر الإسلامي نقد و اجتهاد ، ترجمة :هاشم صالح ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1993.

3–إكرام لمعي وآخرون، مفهوم الأخر في اليهودية والمسيحية ، دار الفكر، دمشق ، 2008 .

4–أنتوني ،غدنز، علم الاجتماع ، ترجمة : فايز الصياغ ، المنظمة العربية للترجمة ،الطبعة الأولى ، بيروت ، 2005.

5- الخواجة، محمد ياسر، البحث الاجتماعي أسس منهجية وتطبيقات علمية ، مصر العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الأولى، 2010 .

6- الخطيب،أحمد، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر .

5- الهرماسي،عبد الباقي وآخرون،الدين في المجتمع العربي،مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ، لبنان ، 2001 .

7- برحو، صلاح الدين ، ظاهرة الإرهاب السياسي ،منشورات كلية العلوم القانونية و الاقتصادية و الاجتماعية ،مراكش ، المغرب ، 1996 .

8- ترابي ،حسن وآخرون ، الإسلاميون و المسألة السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت ، لبنان ، 2000.

9- جابي ،ناصر ، الجزائر سنوات بوتفليقة (مقالات في السياسة و الاجتماع) دار الأمة للطباعة و النشر والتوزيع ، الجزائر، 2013 .

10- حسين عبد الحميد، رشوان،أصول البحث العلمي، مؤسسة شباب الجامعة،مصر،الإسكندرية، 2008 .

11- روا ،أوليفيه،الجهل المقدس (زمن دين بلا ثقافة) ، ترجمة : صلاح لأشمر،دار الساقي، 2012.

12- روا ،أوليفيه، تجربة الإسلام السياسي، ترجمة : نصيرة مروه،دار الساقي، الطبعة الثانية 1996 .

13- طوالبه،حسن ،العنف من منظور الإسلام السياسي (مصر و الجزائر نموذجا)، عالم الكتاب الحديث ، أربد ، الأردن ، 2005.

14- عبد العزيز زينب ، تنصير العالم، دار الكتاب العربي، دمشق، الطبعة الأولى، 2004.

15- عبد الغني ،عماد ، منهجية البحث في علم الاجتماع (الإشكاليات ، التقنيات ،المقاربات) ،دار الطليعة للنشر ، بيروت ، 2007.

16- فيلهم شيفر، هاينريش ،صراع الأصوليات(لتطرف المسيحي،التطرف الإسلامي والحداثة الأوروبية) ، ترجمة :صلاح هلال مركز المحروسة ،القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2012 .

17- محمد، صالح عثمان ، النصرانية والتنصير، أم المسيحية والتبشير دراسة مقارنة حول المصطلحات والدلالات، مكتبة ابن القيم، الطبعة الأولى، المدينة المنورة، 1989.

18- مزيان ،سعيدي، النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر (1867-1892)، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة الصندوق الوطني لترقية الفنون و الآداب، 2009.

19- مناصرة ،عز الدين ، المسألة الامازيغية في الجزائر والمغرب، دار الشروق للنشر والتوزيع عمان ، الأردن،الطبعة الأولى ،1999 .

▪ المراجع باللغة الفرنسية:

20-BENAROUROS Zohra, AIT IDIR Amokrane, MIDJEK Fella, **L'ISLAMISME POLITIQUE** : La Tragédie Algérienne, Ed AL FARAB,2002.

21-Boumezbar, Abdelhamid, Azine Djamila, **L'ISLAMISME ALGERIEN (de la genèse au terrorisme)** ,Ed CHIAB, 2002.

22-BOURDIEU, Pierre, **Sociologie de L'Algérie** , puf, Paris, 1961.

23-BOUVIER ,Pierre **,La socio-anthropologie**, Ed ARMAND COLIN ,Paris, 2000.

24-Charles-Robert Ageron, **Les Algériens musulmans et la France (1871-1919**), Paris, PUF, 1968.

25-DOURARI, Abderrezak **, Les malaises de la société algérienne d'aujourd'hui : Crise de la langues et crise d'identité** , Ed LA CASBAH , ALGER .

26-GUEMRICHE, Salah, **Le christ s'est arrêté à Tizi-Ouzou (enquête sur les conversions en terre d'islam)**, Ed DANOEL ,2011

27-HARBI, Mohamed**,** , **L'Algérie et son destin**. Ed. Arcantaire.. Paris ,19 92.

28-LAURENT, Testoit , DORTIER , Jean- François**, La religion, unité et diversité**, Ed SCIENCE HUMAINES, 2005.

29-MARTINE, Segalen**, Ethnologie (Concepts et Aires Culturelles),** ARMAND COLIN, Paris 2011.

30-MAYER, Jean-François**, Les Courants religieux à l'horizon 2037 (religion entre mondialisation et individualisation**, Religioscope, Numéro 332, 2007.

31-MERZOUK, Mohamed, **Pratiques et représentations religieuse en Algérie** document de travail, université d'Oran, U.R.A.S.C. 1987.

32WILLAIME, JEAN-PAUL , **Sociologie des religions**, Ed PUF , France ,2005.

33- Weil , Patrick, l**e statut des musulmans en Algérie coloniale Une nationalité française Dénaturée in La Justice en Algérie 1830-1962**, La Documentation française, Collection Histoire de la Justice, Paris, 2005.

II. المقالات :

- المقالات باللغة العربية :

1-ألقرامي ،أمال، من دواعي الارتداد عن الإسلام لدى المثقفين المعاصرين ، دراسات إسلامية مسيحية ، العدد 20 ، مراكش، 1994.ص ص 31-36.

2- تشوار، جيلالي ، حق الأشخاص في اختيار ديانتهم وموقف الدساتير والقوانين المغاربية للأسرة منه، المجلة الجزائرية للعلوم القانونية الاقتصادية والسياسية ، العدد 03−2010 ، جامعة الجزائر، كلية الحقوق ، ص ص 257−281 .

3-صالحي ،محمد إبراهيم ،الدين بوصفه شبكة دلالية : مقاربة كليفورد غيرتز"الإسلام ملاحظا"، ترجمة :مرضي مصطفى، مجلة انسانيات، العدد 50،أكتوبر − ديسمبر، 2001 ص ص 29− 42.

المقالات باللغة الفرنسية :

4-Amrouche, Nassim**, De la rededication amazighe : d'une contestation locale a une rededication globale,** L'ANNEE DU MAGHREB ,ED CNRS, 2009,PP145-160.

5-BOUAYED ,Anissa, **compte-rendu de l'ouvrage de Karima Direche–slimani : chrétiens de Kabylie 1873-1954 :(une action Missionnaire dans l'Algérie coloniale, Paris , Ed Bouchene 2004,153 pages**,Bibliographie,annexes (textes et iconographie) ,revue Insaniyat n°25-26 Juillet- décembre, 2004 , P P 314-317 .

6-DECOBERT, Christian, **Conversion, Tradition, Institution**, Arch. de Sc. soc. Des Rel., 2001, 116 (octobre-décembre), PP 67-90.

7- Colonna ,Ugo , **La compagnie de jésus en Algérie (1840-1880), L'exemple de la mission de Kabylie (1863-1880)**, Revue Maghreb Machrek, n°135 janv. Mars 1992, PP 68-78.

8-Donegani, Jean-Marie, **Les expressions du religieux dans la société Le religieux a «la carte »** : une individualisation des pratiques et des croyances, Revue Cahier français, n°340, PP44-48.

9-GEORGES, Naol , L**es chrétiens dans le monde arabe et la Question de , l'Apostasie en Islam** revue Maghreb machrek ,numéro 209 , 2011**,**PP109-119.

10-Metref,Arezki,**La question berbère : quand le politique capture l'identitaire**, Revue Monde arabe Maghreb Machrek , N° 154 oct.-déc. 1996. PP25-30.

11-Prudhomme, Claude**, Eglises chrétiennes au Maghreb**, Revue LES CAHIERS DE L'ORIENT, N° 48, 1997, PP 55-63.

12-SALEM,Chaker , **Quelques évidences sur la question berbère**, revue CONFLUENCES Méditerranée n° 11 ,1994 , PP 103-111.

13-Salhi, Mohamed ,Brahim, **Entre Communauté et Citoyenneté : le local en contestation. Le cas de la Kabylie**, ANNUAIRE DE L'AFRIQUE DU NORD, CNRS Ed, XLI-2003 ,Paris , PP 11-36.

14-SEBASTIEN, FATH, **Les ONG évangéliques Américaines**, revue science humaines, N° 155, 2004.PP 20-22.

15-Stéphane, Papi , **Le contrôle étatique en Algérie : un héritage de l'époque coloniale,** Revue L'ANNEE DU MAGHREB Ed CNRS, 2010 , VI, Paris,499-501.

16- Colonna ,Ugo , **La compagnie de jésus en Algérie (1840-1880), L'exemple de la mission de Kabylie (1863-1880)**, Revue Maghreb Machrek, n°135 janv. Mars 1992 ,PP 68-78.

17-WILLIAMS, Patrick, , **Le miracle et la nécessite : a propos du développement du Pentecôtisme chez les Tsiganes, Revue** ARCHIVESS DE SCIENCES SOCAILES DES RELIGIONS , N° 73 , Janvier- mars 1991 , PP81 -95.

***** Les articles en ligne :

18-André, Corten, **La société civile en question: Pentecôtisme et démocratie**, Revue Tiers Monde(En ligne) n° 18 ,2005/1 - 1http://www.cairn.info/revue-tiers-monde-2005-1-page-167.htm.

19-Chachoua, Kamel « **Le piège : Kabyle de langue, Arabe de religion** », Revue *des* mondes musulmans et de la Méditerranée [En ligne], 124 | novembre 2008, mis en ligne le 12 octobre 2011, consulté le 30 janvier 2013 : URLhttp://remmm.revues.org/6028 .

20-DIRECHE, Karima, « **Dolorisme religieux et reconstructions identitaires » Les conversions néo- évangéliques dans L'Algérie contemporaine**, Article disponible en ligne à l'adresse **:** http://www.cairn.info/revue-annales-2009, PP 1137-1162.

21-DIRECHE, Karima**,** « **La mondialisation des espaces néo-évangéliques au Maghreb »,** revue Méditerranée Numéro116-2011, PP59-65.-Enligne-**:** http://www.cairn.info/revue-annales**.**

22-Jean-Cassien, Biller**, la conversion peut-elle etre une liberté** ? Revue Cahier d'études du religieux. Recherches interdisciplinaires, N°6 consulte /15 07/2013.

(في محاولتنا الحصول على الرابط لم نجد المقال)

23-Mohammed Cherif, Mouna « **La conversion ou l’apostasie entre le système juridique musulman et les lois constitutionnelles dans l’Algérie indépendante** Cahier d’études du religieux Recherches interdisciplinaires **[En ligne]**, Numéro spécial | 2011, mis en ligne le 07 février 2011, consulté le 13 février 2013 :URL :http://cerri.revue.org/809 ;10.4000/cerri.809.

24-Moussaoui, Abderrahmane « **Direche- slimani Karima, Chrétiens de la Kabylie 1873-1954 une action missionnaire dans l’Algérie coloniale**. Paris. Ed Bouchene, 2004 ,153. » Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée - En ligne- 107-110 / septembre 2005 , mis en ligne le 12 janvier 2006 , consulté le 03mars 2013 . URL : http://remmm.revues.org/2845.

3- الأطروحات :

- باللغة العربية :

1- راجعي، مصطفى، التدين وثقافة النمو الاقتصادي في الجزائر، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع التنمية، جامعة وهران، 2009−2010.

2- ثومي أم الخير، الخطاب الإعلامي و الازدواجية الثقافية بالجزائر، ، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع ، جامعة وهران ، كلية العلوم الاجتماعية ، قسم علم الاجتماع ، وهران 2009−2010.

3- رحمون ، نعيمة ،حريش، حدة، أساليب و وسائل التنصير المعاصرة في العالم(الجزائر نموذجا) ، مذكرة لنيل شهادة الليسانس ، في مقارنة الأديان ، جامعة الحضارة و الشريعة الإسلامية، 2010 ، ص 78.

- باللغة الفرنسية :

4-Brigitte, Fleury, **Etude de la conversion religieuse d’un point de vue communicationnel: le cas de Roger Garaudy**, l'Université du Québec. 2004 .[Thès en ligne] classiques.uqac.ca/contemporains/.../Etude_**conversion**_Garaudy.pdf.

5-Massière, Géraldine, **La conversion religieuse : Approches épistémologiques et polysémie d'un concept**, Université de Montréal, Septembre, 2007.[Thèse en ligne]https://www.erudit.org/bitstream/000936dd/.../Conversion_WP_mossiere..

6-Massière, Géraldine**, Des femmes converties à l'islam en France et au Québec** : religiosités d'un nouveau genre, Département d'anthropologie, Faculté des arts et des sciences, Novembre, 2009.

7-Mezouar.M .**La religion et le lien social en Algérie**.[Thèse en ligne] www.univ-tlemcen.dz/thèse/mezouar.pdf

8-Sahri, Samia**, Etude des pratique et des conduites religieuse chez les convertis au christianisme en Kabylie**, Université mouloud Mammeri, Tizi- Ouzou, 2011.

9-Ronchon, Claude, **Abus sexuels et conversion religieuse Une approche narrative fondée sur la triple mimèsis de Paul Ricœur**, Université de Montréal, Décembre 2009.

4- القواميس والموسوعات :

1-MOEZZI, Mohammad, Ali Amir**, DICTIONNAIRE DU CORAN**, CENTRE NATIONAL DU LIVRE, 2007.

2- Universalise Religion , Ed Elisabeth GRAF , 2010.

5- مواقع الانترنيت :

1-http://www.ipastorale.ca/bibliovirtueelle/conversion/ pagiguere.htm9/2013.

2-D. Benchenouf, sur le site de tahia bladi.

6- المقالات الصحفية

- الصحافة الناطقة باللغة العربية :

قانون تنظيم الشعائر الدينية لغير المسلمين الصادر في الجريدة الرسمية بتاريخ 1 مارس 2006 الموافق ل1 صفر 1427، العدد 2.

النهار – الاثنين 16 أوت 2010 .

الوطن – الأربعاء 22 ماي ،2013 .

- الصحافة الناطقة باللغة الفرنسية :

- El Watan - vendredi 17 mars 2006.

- El Watan - jeudi 29 mai 2008.

- El Watan- vendredi 11 novembre, 2011.

- Le Quotidien-jeudi 19 Septembre, 2013.

الملاحق

الجدول رقم 2 : عرض حالات الدراسة

/	الاسم	السن	تاريخ الدخول إلى المسيحية	الحالة العائلية	النشاط	المستوى الدراسي
01	أمقران	50	1983	متزوج	مهندس، متقاعد	جامعي
02	أرزقي	67	1984	متزوج	مهندس سابق	جامعي
03	عميروش	34	1992	متزوج	قس	جامعي
04	مسعود	50	1992	متزوج	قس	جامعي
05	سليمان	47	1992	متزوج	N/A	متوسط
06	صالح	40	1994	متزوج	قس	ثانوي
07	مبحوث(x) N/A	**في الأربعينات**	N/A	متزوج	بناء	متوسط
08	فريدة	48	N/A	متزوجة	ربة في البيت	N/A
09	مجيد	50	1998	متزوج	بناء	متوسط
10	يسين	36	2000	متزوج	مطبعي	متوسط
11	مموح	49	2005	متزوج	مهندس متقاعد	جامعي
12	عبد النور	في الأربعينات	2001	متزوج	صاحب مشروع خاص	N/A
13	موح	26	2006	أعزب	أعمال خاصة	متوسط
14	ماسينيسا	33	2011	أعزب	أعمال خاصة	متوسط
15	لويزة	في السبعينات	N/A	متزوجة	N/A	ابتدائي
16	جمال	في الأربعينات	1995	متزوج	راعي في الكنيسة	N/A
17	مولود	في الأربعينات	1992	متزوج	مدرس في الابتدائي	جامعي
18	رزقي	في الثلاثينات	N/A	متزوج	عامل بأجرة	ثانوي
19	جيلالي	في الأربعينات	1999	متزوج	شرطي سابق	ثانوي
20	عبد الحق	23	2011	أعزب	عامل بالأجرة	متوسط

ملاحظة : لقد استعملنا أسماء المبحوثين ومعلوماتهم الشخصية في سياق التحليل، مع العلم أن البعض منهم تحفظ في إعطائنا كل معلوماته الشخصية، و على هذا الأساسي استعملنا N/A للدلالة على المعلومة التي لم نستطع الحصول عليها .

دليل المقابلة :

1.التحول الديني من خلال شهادة التحول :

- ما هي قصتك مع المسيح ؟
- كيف كانت علاقتك بالإسلام قبل التحول ؟
- كيف كانت علاقتك بمحيطك قبل التحول ؟
- ماذا أضافت لك المسيحية ؟

2.تعريف المبحوث لهويته الدينية:

- ما هي المسيحية في رأيك ، أو كما تؤمن بها؟

3. التحول الديني و الفضاء العام :

- هل تشعر كمؤمن مسيحي جزائري بالتمييز على أساس ديني ؟
- كيف تعيش تجربتك الدينية الجديدة ؟
- هل تعرضت للحرمان من عملك بسبب أنك مسيحي ؟
- NJƙ5Ʈh ǑơǒƖdž!ƒ LJdžǍdž!ƒ ƘŬƓƷƬǉƒ Džnj5ƙƙ ƓnjǈǊ ăƧƙ ƔƒƨơǊ ǍǊ ƘƓǒƻdžŋ ƧƑƒƨŋ!ƒ Ǒ5 ǁƓǈNj ýNj þ ĭƧƑƒƨŋ LJƱƒǍdž‡
- هل تعتقد أن الدستور الجزائري يكرس مبدأ المواطنة للجميع ؟
- ما هي النقاط المواد التي ترى أنها تخل بمبدأ المواطنة الكاملة في الدستور الجزائري
- كيف تفسر قانون تنظيم الشعائر الدينية لغيرا لمسلمين 2006 ؟
- ما هو رأيك في قانون الأسرة الجزائري ؟

- ما رأيك في محتوى المادة الإسلامية في المدرسة الجزائرية ؟
- هل هناك موضوعات تود أن نتطرق إليها ؟

المعلومات الشخصية

- الاسم :
- الحالة الاجتماعي :
- الأصل الاجتماعي:
- المهنة :
- المستوى الدراسي :

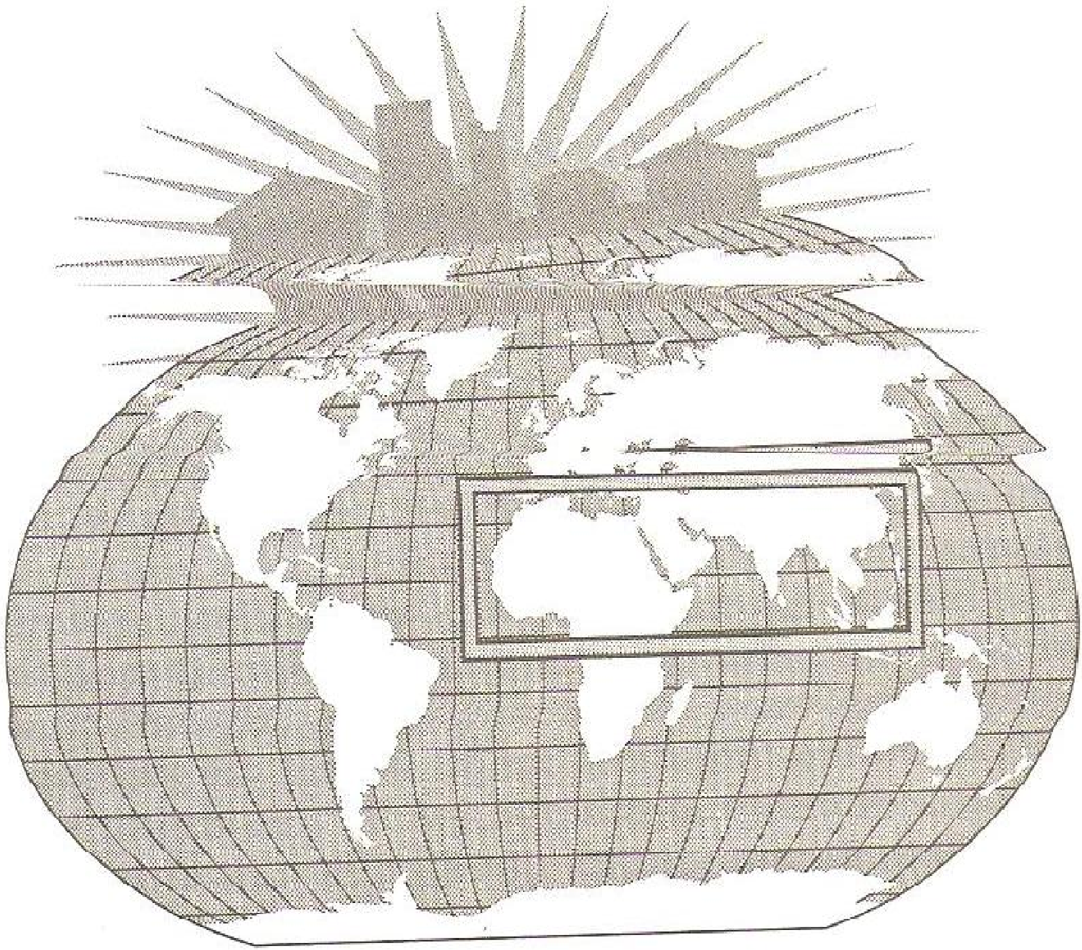
دليل المقابلة الموجه لمدير الشؤون الدينية بوهران:

باعتباركم سيدي تمثلون الرؤية الرسمية لوزارة الشؤون الدينية على المستوى المحلي.

- ما هو دور مديرية الشؤون الدينية في التعامل مع النشاط التبشيري / التنصيري ؟
- ما هو سبب غياب إحصائيات رسمية حول عدد المسيحيين في الجزائر ؟
- كيف تفسرون ظاهرة التحول الديني في المجتمع الجزائري ؟
- ما هي الإجراءات التي يتم اتخاذها عندما يرغب شخص في الدخول إلى المسيحية ؟
- هل يمكن للوزارة أن تتكفل بحالات التي ترغب في العودة إلى الإسلام و ماهو طبيعة التكفل ؟

الشكل رقم 1

النافذة 40/10



[Source : GUMRICHE, Salah, LE CHRISTE S'EST ARRETE A TIZI-OUZOU, Éditions, Denoël, 2011.]

الفهرس

الملخص

حاولنا من خلال هذه الدراسة الاستكشافية تسليط الضوء على ظاهرة التحولات الدينية التي تخترق المجتمع الجزائري ، و التي يشكل التحول الديني الإنجيلي جانبا منها . فالحقل الديني في الجزائر في السنوات القليلة الماضية أصبح مفتوح على معطيات جديدة بفعل ظاهرة العولمة التي تنشط انتشار حركات دينية جديدة كالحركة الإنجيلية العالمية .

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة على أشكال متعلق بتحديد عوامل التحول الديني عند مجتمع بحث محدد وهو : المتحولون الإنجيليون من الأصول القبائلية، ومحاولة من جانبنا إلى تقديم تحليل سوسيو سياسي للظاهرة في السياق الجزائري (الثقافي،السياسي،الاجتماعي ،الديني ...الخ) .

أسفرت هذه الدراسة على العديد من النتائج ، أهمها : التحول إلى المسيحية بالانضمام إلى الكنيسة البروتستنتينية الإنجيلية يمثل فضاء بديل لإنتاج و إعادة تنظيم العلاقة مع المجتمع فيما يخص النماذج الأسرية ، الاجتماعية و السياسية . الحضور المتضمن (الكامن) للبعد السياسي في تفسير عوامل التحول الديني الخاصة بحالة المتحول الديني ذو الأصول القبائلية . يشكل التحول الديني شكل من أشكال التعبير على النقد الموجه للمجتمع.

الكلمات المفتاحية :

الإسلام؛ المسيحية؛ التحول الديني؛ المتحول؛ الحركة الإنجيلية؛ شهادات التحول؛ العولمة؛ الهوية الدينية؛ الهوية الثقافية؛ الهوية الإثنية.

نوقشت يوم 06 مارس 2014